الشيخ كاظم المصباح

دولة الإمام المهدي
و
عصر الظهور

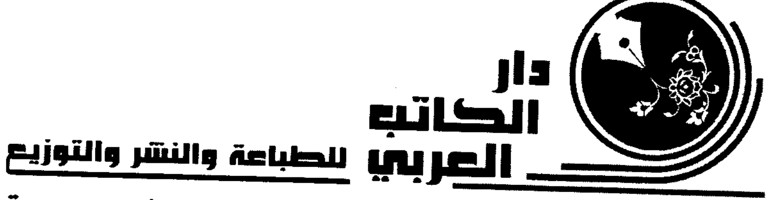




دولة الإمام المهدي عليه السلام

وعصر ظهوره

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



هاتف: ٠٣/٢٥٧٩٨٤ ـ فاكس: ٠١/٥٥٣٤٥٦ ـ ص.ب: ٢٥/٣٥٥ ـ غبيري ـ بيروت
Daralkatebalarabi@hotmail.com

دولة الإمام المهدي عليه السلام

وعصر ظهوره

تاليف

الشيخ كاظم مصباح



المقدمة

تعريف موضوع الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، ثم الصلاة والسلام على خاتم رسله وخير بريته ومبلغ رسالاته أبي القاسم محمد وعلى آله المنتجبين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، من الأولين إلى الآخرين إلى قيام يوم الدين.

يطرح كتابنا هذا على بساط البحث موضوعاً عقائدياً مهماً طالما استثمرته الأقلام المأجورة للطعن بالطائفة الشيعية والاستهزاء بها من خلال تحريفه وتشويه معالمه وتسويف أدلته وتفسيرها بما ينسجم مع أهوائها وطموحات أسيادها المستكبرين الهادفة إلى تقويض مذهب أهل البيت عليهم السلام واجتثاث جذوره ومحو آثاره.

فموضوع «دولة الإمام المهدي وعصر ظهوره» المراد بحثه في هذا الكتاب لا يقل أهمية عن موضوع إثبات وجوده وكيفية انتظاره، لأنه يكمل جميع الأبحاث المتعلقة بقضية الإمام المهدي عليه السلام ويلم بجميع أبعادها السياسية والاجتماعية وأهدافها الرسالية والإنسانية..

يشتمل هذا الكتاب على جزءين يتناول الجزء الأول منه موضوع حتمية ظهور المهدي عليه السلام وعلائم ظهوره الاجتماعية والكونية والوقائع التي تسبق ظهوره منها الحروب والفتن المدمرة التي ستلتهم ثلثي البشرية ولا تبقي مها إلا الثلث المشبع بالبؤس والحرمان الذي طالما كابد أشد المآسي والمحن طيلة فترة غيبة الإمام المهدي عليه السلام ، وصبر على ما أصابه من المصائب والكوارث حتى تكحلت نواظره بطلعة المنقذ والمصلح العالمي وحضي بعدله ورفاه دولته المباركة.

وسيضم الجزء الأول من هذا الكتاب ثلاثة فصول يتناول الفصل الأول الأدلة القرآنية والروائية الدالة على حتمية ظهور المهدي عليه السلام وقيام نهضته العالمية وانتصارها بمحق الظلم والطغيان ونشر القسط والعدل وإنقاذ البشرية من ظلمات العصور الجاهلية الحديثة.

ويتناول الفصل الثاني موضوع الرد على جميع شبهات المنكرين لظهور الإمام المهدي عليه السلام والمشككين فيه والساخرين من الطائفة الشيعية لانتظارهم إمامهم الموعود منذ ألف ومائة عام واصفين إياهم بالجنون وعدم التعقل بدون دليل يذكر.

وأما الفصل الثالث فسيطرح على بساط البحث علائم الظهور الحتمية وغيرها، والحوادث التي تسبق ظهور الإمام المهدي عليه السلام كظهور السفياني وخروج الدجال ووقوع الفتن والحروب.

وفي نهاية هذا الفصل يتم ذكر أصحاب الإمام المهدي عليه السلام وقادة جيشه مع ذكر صفاتهم وعدتهم والحروب التي يخوضونها ضد أعدائه كالسفياني والدجال، وذكر أهداف نهضته الرسالية الهادفة.

ويبحث الجزء الثاني موضوع دولة الإمام المهدي عليه السلام ومشقاته ضمن ثلاثة فصول أيضاً. يتناول الفصل الأول سيرة الإمام ومزايا دولته وسعتها ومكان عاصمتها وفتوحاتها ومدة بقائها.

ويذكر الفصل الثاني أهم إنجازات دولة الإمام المهدي عليه السلام وعطاءاتها كالتقدم العلمي والازدهار الاقتصادي وتحقيق الأمن والاستقرار وإيجاد حالة التآلف والتآخي بين المسلمين وتوثيق العلائق الاجتماعية وتحقيق الوحدة الإسلامية بأحسن صورها وأفضل أشكالها.

ويختص الفصل الثالث بذكر موضوعات متفرقة ذات علاقة بدولة الإمام عليه السلام وانعكاساتها الإيجابية على المجتمع البشري بمختلف طوائفه وأديانه وشرائحه الاجتماعية.

موجبات الكتاب وأهميته

إن أهمية هذا الكتاب تكمن بالدرجة الأولى في تفنيد حجج المنكرين لحتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام والمشككين به والمسوفين له الذين استثمروا هذه القضية واتخذوا منها ذريعة للتهجم على الطائفة الشيعية والاستهزاء بها لأنها آمنت بوجود الإمام المهدي عليه السلام وحتمية ظهوره في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت جوراً وظلماً استناداً إلى الدلالة القرآنية والروائية التي اعترف الكثير من علماء المسلمين بتواترها.

وسترى عزيزي القارئ من خلال مطالعة الأبواب المختصة بذلك

أن المنكرين لحتمية ظهور الإمام المهدي والمشككين فيه يختلفون في النفي والإثبات، فبعضهم ينفي وجود الإمام المهدي عليه السلام ويثبت حتمية ظهوره بالإجماع وتواتر الأخبار، والبعض الآخر ينفي الوجود وحتمية الظهور في آن واحد من خلال تضعيف الأخبار الدالة على ذلك والتشكيك في إمكانية حصول ذلك عقلاً، ومنهم من قال: لا مهدي إلا عيسى بن مريم اعتماداً على رواية ضعيفة لفظها الكثير من أقرانه ونظرائه من علماء إخواننا أبناء العامة إن لم نقل: أجمعوا على ضعفها وعدم الاعتماد عليها. . .

ربما يجهل البعض خطورة هذا الاختلاف بين علماء المسلمين حول قضية الإمام المهدي عليه السلام ونهضته، ولا يدرك ما يترتب عليه من آثار سيئة وأخطار جسيمة على حاضر المسلمين ومستقبلهم.

لا ريب أن هذا الاختلاف الذي يستهين به البعض ولا يعير له أدنى اهتمام يورث الفرقة والتخاصم والعداء بين المسلمين ويجعلهم فرقاً متناحرة يسخر بعضها من بعض، ويؤجج نار الأحقاد الطائفية وهذا ما يُسعد أعداء الإسلام ويمكنهم من توسيع دائرة نفوذهم ونهب خيرات المسلمين وثرواتهم بدون مقاومة أو معارضة تذكر. .

إن تسويف قضية حتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام من خلال إثارة الشكوك والاختلاف يؤدي إلى زرع اليأس والقنوط في نفوس المؤمنين به ويطفي جذوة الأمل المتوقدة فيها، فبدلاً من أن يعد المؤمنون أنفسهم لاستقبال منقذهم ومحررهم من قيود الذل والعبودية ومن ظلمات الجهل والتخلف تراهم أكثر الناس إقراراً

بالواقع الفاسد وإذعاناً لمشيئة أعداء الإسلام من المستكبرين وعملائهم الرجعيين نتيجة لحالة اليأس والقنوط التي تنتابهم وتشل إرادتهم وتحجم نشاطهم الرسالي وتمنعهم من أداء دورهم بالشكل المطلوب..

ونحن نسعى من خلال كتابنا هذا أن نبحث الموضوع المشار إليه من جميع جوانبه وإزالة غبار الشكوك والريب عنه وذلك بذكر جميع الأدلة الثبوتية التي تساعد على إثبات الموضوع على نحو الحقيقة واليقين لعلنا بذلك نسد ثغرة طالما حاول أعداء الإسلام النفوذ منها لإيجاد الفرقة والتخاصم بين المسلمين، وبذا نستطيع أن نعيد الأمل إلى نفوس المنتظرين بلهفة واشتياق ليوم خلاصهم وتحررهم من قيود الذل والعبودية..

لا تنحصر أهمية هذا الكتاب وموجباته في الرد على شبهات وافتراءات المرتدين والمنكرين والمشككين في حتمية ظهور المهدي عليه السلام وقيام دولته المباركة فحسب وإنما سيرد أيضاً على حجج المتخاذلين ومبررات سكوتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وابتعادهم عن ساحات جهاد أعداء الإسلام وعدم مشاركتهم في إحباط مخططاتهم الجهنمية الهادفة إلى سحق الإسلام الأصيل المتجسد بمذهب أهل البيت واجتثاث جذوره ومحو آثاره.

إن تخلف هؤلاء عن أداء واجباتهم والسعي لإعداد أنفسهم وتمهيد الأرضية الصالحة لنهضة إمامهم المهدي عليه السلام لا يعد ولاءً له بل هو أكثر ضرراً من جحود أعدائه وإنكار وجوده، لأنهم يعتقدون

بضرورة الاستسلام لأعداء الإسلام وعدم مقاومتهم، والتزام الصمت إزاء مفاسدهم ومنكراتهم بحجة أن تفشي الظلم وشيوع الفساد يؤدي إلى الإسراع في ظهور المهدي عليه السلام وإعلان نهضته.

إن مفهوم الانتظار السلبي الذي يحمله هؤلاء يُولد صدفة وبدون مؤثر خارجي، بل هناك عوامل شتى ساهمت في إيجاده وترسيخه في أعماق نفوسهم وقد مرت الإشارة لتلك العوامل بشكل مفصل في كتاب (الإمام المهدي ومفهوم الانتظار) ولا حاجة لذكرها هنا. ومن أراد الاطلاع عليها فليراجع الكتاب المذكور.

فأهمية كتابنا وموجباته تتلخص في تفنيد حجج وشبهات الاتجاهين المذكورين والرد عليها، وثبات الأدلة الدالة على حتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام وقيام دولته، وبعث الأمل في النفوس التي طال عليها الانتظار، وكاد اليأس أن يتسرب إلى أعماقها من جراء التشويش والتحريف الذي مارسته الأقلام المأجورة بهدف طمس معالم نهضة الإمام المهدي عليه السلام وتضعيف أدلتها وإظهارها بمظهر الخرافة والاستهزاء بمن يؤمن بها.

تفنيد أكاذيب وافتراءات وعّاظ السلاطين

ولكي يطلع القارئ العزيز على ما روجته أقلام وعاظ السلاطين من أكاذيب حاولوا بها تشويه قضية الإمام المهدي عليه السلام وتحويلها إلى أسطورة خرافية لا بد لنا أن نذكر نموذجين من هذه الأكاذيب لنثبت بها صدق ما ذهبنا إليه من أن الأقلام المأجورة غمرت قضية الإمام المهدي عليه السلام بأكاذيبها وتهمها الملفقة لغرض إخفاء حقائقها

وتغيير معالمها وتشويه صورتها بالشكل الذي يصعب على العاقل التصديق بها والإيمان بصحتها وحتمية وقوعها..

النموذج الأول:

قال القرماني في كتابه (الصراع بين الإسلام والوثنية): وإن أغبى الأغبياء، وأجمد الجامدين هم الذين غيبوا إمامهم في السرداب، وغيبوا معه قرآنهم ومصحفهم، ومن يذهبون كل ليلة بخيولهم وحميرهم إلى ذلك السرداب الذي غيبوا فيه إمامهم ينتظرونه وينادونه ليخرج إليهم، ولا يزال عندهم ذلك منذ أكثر من ألف عام[١].

وقال ابن كثير في كتابه (النهاية): المهدي الذي يكون في آخر الزمان وهو أحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وليس الذي تزعمه الرافضة، وترتجي ظهوره من سرداب سامراء..[٢].

وقال في مكان آخر من كتابه: يخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما يزعمه جهلة الرافضة..[٣].

وقال ابن بطوطة في رحلته: إن مكان السرداب في الحلة[٤].

إن المتأمل في النصوص المذكورة أعلاه يستشف منها شدة الحقد الذي يكنّه هؤلاء لشيعة أهل البيت عليهم السلام بحيث يطفو على

---

(١) الصراع بين الإسلام والوثنية ١: ٣٧٤.
(٢) النهاية ١: ٣٤، وانظر كتاب المهدي عند أهل السنة ١: ٣٩٦.
(٣) النهاية ١: ٣٩، وانظر كتاب المهدي عند أهل السنة ١: ٣٠١.
(٤) رحلة ابن بطوطة ٣: ١٩٨.

فلتات لسانهم بشكل صريح فيصفون الشيعة بالغباء والجمود والجهل ولا يتورعون عن ممارسة السب والشتم لتمرير أكاذيبهم وافتراءاتهم وتهمهم الملفقة على السذج من الناس المضلّلين والمخدوعين بأزيائهم العلمائية المقدسة.

فالحقد الأسود المكنون في صدورهم على شيعة أهل البيت عليهم السلام أفقدهم صوابهم وساقهم إلى التسافل والانحطاط الأخلاقي فصار الكذب وتلفيق التهم، ووضع الأحاديث، والسب والشتم من أهم الوسائل التي يستخدمونها في تشويه وتحريف عقائد الشيعة الإمامية ومنها قضية الإمام المهدي عليه السلام التي أجمع علماء المسلمين باستثناء ابن خلدون وابن الوليد البغدادي على حتمية ظهوره.

ولا غرابة في ذلك لأن الإمام الذي يأتمون به هؤلاء هو كذّاب مفتر لا يتورع عن تلفيق التهم وممارسة السب والشتم ضد أقدس وأعلم شخصية بعد رسول الله وهو صنو الرسول وزوج البتول وأبو السبطين الحسن والحسين بطل الإسلام ومحطم الأصنام، أول المسلمين إسلاماً وأقدمهم إيماناً، وأشجع الصحابة وأكثرهم علماً وزهداً وتقوى، وأقومهم قسطاً وعدلاً ذلك هو بطل ساحات الجهاد وحامل لواء رسول الله في ثلاث وثمانين غزوة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأظن أن القارئ العزيز عرف إمام هؤلاء قبل أن أصرح باسمه وهو معاوية بن أبي سفيان الذي جعل الكذب والسب والشتم سنة

يستنُّ بها المسلمون طيلة فترة الحكم الأموي البغيض. وهو الذي أمر أئمة الجمعة والجماعة أن يسبوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على منابر المسلمين ويقنتوا به في صلواتهم اليومية حتى أصبح ذلك السب سنة يستوحش المصلون من عدم ذكرها ويشعرون بالإثم والعصيان. فإذا نسي الإمام أن يقنت بالسب تعالت أصوات المصلين لتذكره بها ـ السنة السنة ـ. . .

وقال العلامة الأميني في كتابه (الغدير) في معرض رده على أكاذيب وعاظ السلاطين: وفرية السرداب أشنع وإن سبقه إليها غيره من مؤلفي أهل السنة لكنه زاد في الطنبور نغمة بضم الحمير إلى الخيول وادعائه اضطراد العادة في كل ليلة واتصالها منذ أكثر من ألف عام، والشيعة لا ترى أن غيبة الإمام في السرداب، ولا هم غيبوه فيه، ولا أنه يظهر منه، وإنما اعتقادهم المدعوم بأحاديثهم أنه يظهر بمكة المعظمة تجاه البيت، ولم يقل أحد في السرداب: إنه مغيب ذلك النور، وإنما هو سرداب دار الأئمة بسامراء. . .[١].

أضف لذلك أن عقيدة الشيعة راسخة في أن إمامهم ما غاب غيبته الكبرى، إلا بإذن الله وإشاءته، ولا يظهر في آخر الزمان إلا بإذن الله أيضاً، فلذا تراهم يدعون الله ليل نهار بدعاء الفرج كي يأذن الله بظهوره ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فمن المستحيل أن يتصرف الشيعة تصرفاً يخالف ما يعتقدون به

---

(١) الغدير ٣: ٣٠٨.

فيذهبون بخيولهم وحميرهم إلى السرداب الذي غيبوا فيه إمامهم منذ أكثر من ألف عام ينتظرونه وينادونه ليخرج إليهم كما يزعم القرماني.

فهل هناك كذب أكثر افتضاحاً من هذا وأشنع منه، إذ كيف يمارس الشيعة هذا العمل ويرتكبون مثل هذه الحماقات ولمدة ألف عام دون أن تتصدى لهم السلطة الحاكمة وتضع حداً لممارساتهم غير الموزونة. مع العلم أن كل الحكومات التي حكمت العراق منذ عصر الغيبة الكبرى إلى يومنا هذا كانت حكومات سنية وكان بعضها ناصبية معادية لأهل البيت عليهم السلام. فمن غير المعقول أن ترى تلك الجموع المحتشدة بباب سرداب الغيبة مع خيولهم وحميرهم في كل ليلة ولا تتصدى لهم وتمنعهم من مواصلة ممارساتهم الصبيانية التي لا يقرها من له ذرة من العقل.

ويعلم الجميل أن سكان سامراء من إخواننا أبناء العامة وأن الشيعة بعيدون عنها فكيف تسنى لهم مع شحة الوسائل وبدائيتها أن يحضروا في كل ليلة مع دوابهم بباب السرداب ليندبوا إمامهم وأهل سامراء يرون تلك المشاهد المخالفة لعقائدهم وأعرافهم تتكرر في كل ليلة ولا يبادرون لوضع حد لها ومنع حصولها.

إن كلاماً كهذا لا يصدقه المجانين ناهيك عن ذوي العقول والبصائر فلم يصر فقهاء السوء على مواصلة منهج القرماني في سرد هذه القصص الخرافية المفتعلة دون أن يفكروا في عواقبها الوخيمة التي ستفقدهم ثقة الناس وتزعزع إيمانهم بالإسلام وتسوقهم نحو الكفر والعصيان.

ومما يؤسف له أن يتدنّى مستوى بعض علماء المسلمين إلى هذا الحد من الانحطاط الأخلاقي بحيث يمارسون أسوأ أنواع الكذب ويلفقون التهم ضد الطائفة الشيعية ولم نرَ من يتصدى لهم ويمنعهم عن ممارسة هذا المنهج اللاأخلاقي الذي يوجد الفرقة والتباغض والتناحر الطائفي الممقوتة.

النموذج الثاني:

مما جاء في باب علائم الظهور خروج دابة من الأرض تكلم الناس وهذا ما أشارت له الآية ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ وقد استثمر هذا الموضوع أسوأ استثمار الكذابون والوضاعون فصوروا الدابة تصويراً غير معقول حيث جعلوا لها وبراً وريشاً وضخّموا حجمها بشكل مهول لا يصدق به أحد. وسنترك المجال هنا لابن دحية (رضي الله عنه) ليحدثنا عما قرأه حول هذا الموضوع.

قال ابن دحية (رضي الله عنه)...: قد قرأت أكثر كتب المقرئ الفاضل أبي عمر عثمان بن سعيد بن عثمان توفي سنة أربع وأربعين وأربع مائة. فمن تأليفه كتاب (السنن الواردة بالفتن وغوايلها، والأزمنة وفسادها، والساعة وأشراطها) وهو مجلد مزج فيه الصحيح بالسقيم، ولم يفرق فيه بين نسر وظليم، وأتى بالموضوع وأعرض عما ثبت من الصحيح المسموع، فذكر الدابة في الباب الذي نصه (باب ما روي أن الوقعة التي تكون بالزوراء وما يتصل بها من الوقائع والآيات والملاحم والطوام وأسند ذلك عن عبد الرحمن عن سفيان الثوري،

عن قيس بن مسلم، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة... وذكر خروج الدابة قال: قلت: يا رسول الله وما الدابة؟ قال: ذات وبر وريش عظمها ستون ميلاً ليس يدركها طالب ولا يفوتها هارب...[(١)]

محمد بن زكريا الغلابي قال في الرد على مثل هذه الأخبار: أبو الحسن الدارقطني كان يضع الحديث على رسول الله ﷺ وعظم هذه الدابة المذكورة وطول يأجوج وماجوج على تلك الصورة يدل على وضع هذا الحديث بالتصريح، ويقطع العاقل بأنه ليس بصحيح لأن مثل هذا القدر في العظم والطول يشهد على كذب واضعه في المنقول، وأي مدينة تسع طرقاتها دابة عرضها ستون ميلاً ارتفاعاً وأي سبيل يضم يأجوج وماجوج، وأحدهم طولاً وعرضاً مائتان وأربعون ذراعاً، لقد اجترأ هذا الفاسق على الله العزيز الجبّار بما اختلقه على نبيه المختار، فقد صح عنه بإجماع من أئمة الآثار أنه قال: من كذّب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار...[(٢)]

فهذان نموذجان مما افتعلته أقلام السلاطين ضمن حملتها الإعلامية التشويهية والتحريفية التي استهدفت نسف القضية المهدوية من جذورها من خلال التشويه والتحريف وإثارة الشكوك من حولها، كما حاولت من قبل نسف القضية الحسينية وطمس معالمها، والقضايا الإسلامية الأخرى بتجريدها من مضامينها الجوهرية، ومحتواها الإنساني، وأهدافها الرسالية، وتحويلها إلى قصص خرافية تشمئز منها

---

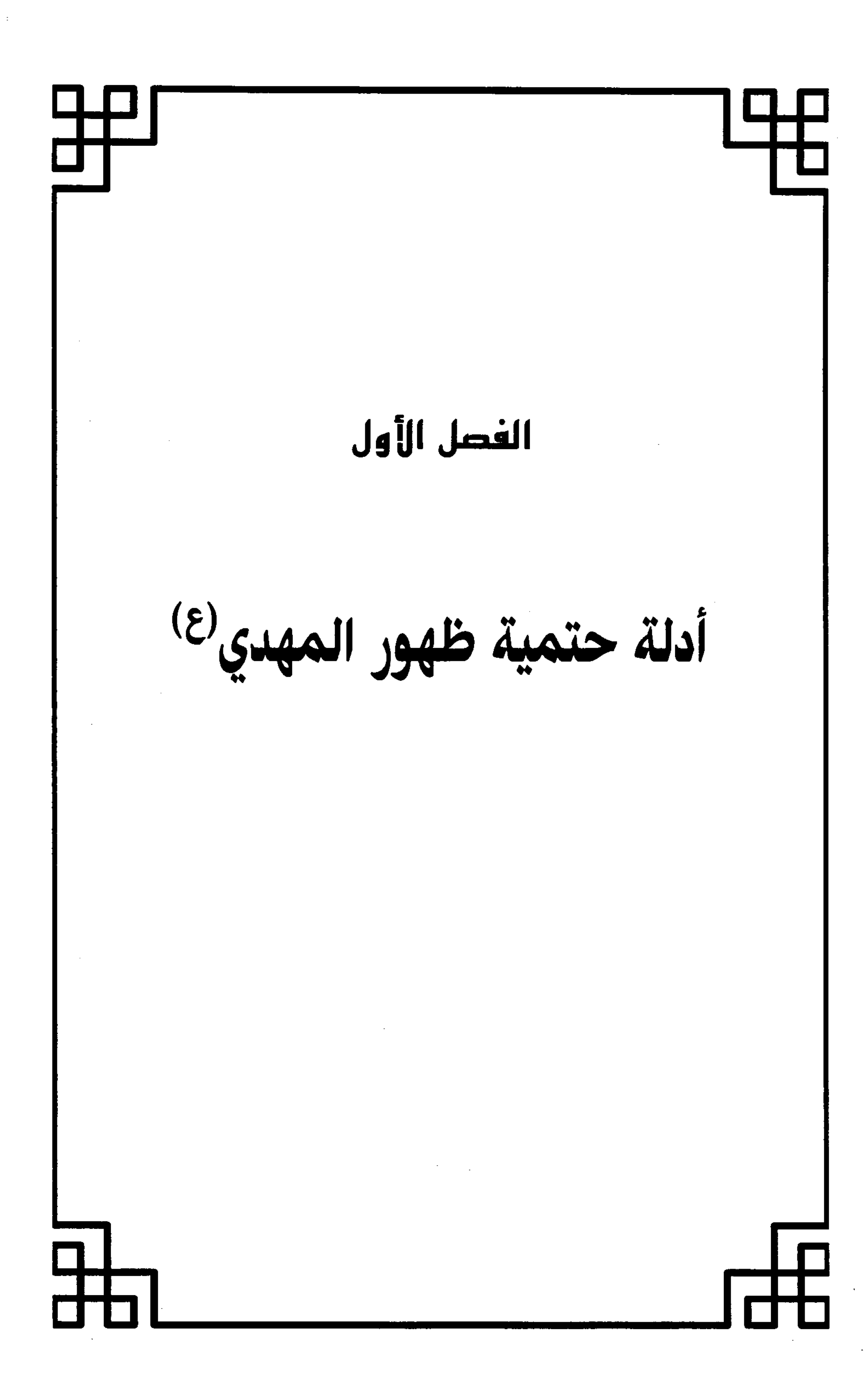
(١) التذكرة للقرطبي: ٦١٣، وانظر كتاب المهدي عند أهل السنة ١: ١٩٧.
(٢) التذكرة للقرطبي: ٦١٣، وانظر كتاب المهدي عند أهل السنة ١: ١٩٨.

النفوس وتعرض عن ذكرها ومطالعة فصولها. وبذكر هذه الافتراءات والتشويهات والرد عليها نختم مقدمة الكتاب ونشرع في تدوين موضوعاته ومحاور بحثه حسب التسلسل المذكور فيها.

وخلاصة هذه المقدمة هي تعريف الكتاب وذكر موضوعاته ومحاور بحثه، وإثبات حتمية ظهور المهدي عليه السلام وقيام دولته، والرد على الشبهات والشكوك التي أثارتها الأقلام المأجورة حول الموضوع المذكور، ودحض الأكاذيب والافتراءات والتهم المختلفة التي نسجتها أقلام فقهاء السوء بهدف تحريف وتشويه مضامين النهضة المهدوية، وتضعيف أدلتها، وإخماد جذوة الأمل المتوقدة في قلوب منتظري الإمام عليه السلام ورواد نهضته التي ستملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً..

الجزء الأول





الفصل الأول

أدلة حتمية ظهور المهدي(ع)



الدليل الأول: إخبار الله تعالى بقيام القائم(ع)

هنالك عدد غير قليل من آيات الكتاب الكريم ذكرت ظهور القائم وقيام دولته المباركة. انتخبنا بعض هذه الآيات لتكون دليلاً قرآنياً يدل على حتمية ظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان، وزوال الظلم والجور باندثار النظم الوضعية الطاغوتية، ونشر العدل والقسط في كل أرجاء الأرض، وتحرير البشرية قاطبة من أغلال الذل والعبودية وإنقاذها من ظلمات الجهل والتخلف.

الآية الأولى: في سورة الأنفال قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[1] عن أبي جعفر عليه السلام لم يجئ تأويل هذه الآية ولو قام قائمنا بعد سيرى من يدرك ما يكون من تأويل هذه الآية ليبلغن دين محمد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل حتى لا يكون شرك على ظهر الأرض[2].

جاء في تفسير الصافي حول الآية المذكورة وعن القمي: أي

---

(١) سورة الأنفال آية: ٣٩.

(٢) إلزام الناصب ١: ٦٤.

كفر قال: وهي ناسخة لقوله: كفوا أيديكم، ولقوله: ودع أذاهم ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم الأديان الباطلة[١].

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام: لم يجئ تأويل هذه الآية إلاّ بعد أن رخّص لهم رسول الله صلى الله عليه وآله لحاجته وحاجة أصحابه فلو جاء تأويلها لم يقبل منهم ولكنهم يقتلون حتى يوحد الله وحتى لا يكون شرك[٢].

وفي المجمع والعياشي عن الصادق عليه السلام: لم يجئ تأويل هذه الآية ولو قام قائمنا بعد سيرى من يدركه ما يكون من دين محمد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك على ظهر الأرض كما قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فيجازيهم على انتهائهم عنه وإسلامهم[٣].

وفي تفسير البرهان ذكر الروايات المارة الذكر وأضاف رواية طويلة في تفسير قوله: (وقاتلوهم...) جاء فيها: ... ولا يبقى في الأرض قرية إلا نودي فيها شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله وهو قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ ولا يقبل صاحب هذا الأمر الجزية كما قبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قول الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ

(١) تفسير الصافي ٢: ٣٠٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: يقاتلون والله حتى يوحد الله ولا يشرك به شيئاً...[1]

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[2] عن أبي عبد الله عليه السلام: والله ما أنزل تأويلها حتى يخرج القائم فإذا خرج القائم لم يبقَ كافر بالله، ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه حتى لو كان كافر في بطن صخرة قالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله[3].

في تفسير الصافي: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ليظهر دين الحق على سائر الأديان ولو كره المشركون. ونقل عن القمي: نزلت في القائم من آل محمد عليه السلام قال: وهو الذي ذكرناه مما تأويله بعد تنزيله، وفي الإكمال عن الصادق عليه السلام في هذه الآية والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم فإذا خرج القائم عليه السلام لم يبقَ كافر بالله العظيم ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه...

وفي الكافي عن الكاظم عليه السلام: في هذه الآية هو الذي أمر رسوله صلى الله عليه وآله بالولاية لوصيه، والولاية هي دين الحق ليظهره على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام والله متم ولاية القائم ولو كره

---

(١) البرهان ٢: ٨٣ الطبعة الحجرية.

(٢) سورة التوبة آية: ٣٣.

(٣) إلزام الناصب ١: ٦٤.

الكافرون بولاية علي عليه السلام قيل: هذا تنزيل قال: نعم هذا الحرف تنزيل وأما غيره فتأويل.

وفي حديث مناجاة موسى عليه السلام ربه وقد ذكر محمداً صلى الله عليه وآله قال: فتحت كلماتي لأظهرن دينه على الأديان كلها ولأعبدنّ بكل مكان.

وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام: وغاب صاحب هذا الأمر بإيضاح الغدر له في ذلك لاشتمال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدّهم عداوة، وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها ويظهر دين نبيه على يديه على الدين كله ولو كره المشركون.

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام في هذه الآية أن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد عليه السلام فلا يبقى أحد إلا أقر بمحمد صلى الله عليه وآله.

وفي العياشي عنه عليه السلام ما معناه قال عليه السلام: وفي خبر آخر قال: ليظهره الله في الرجعة، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أظهر ذلك بعد؟ قالوا: نعم، قال: كلا فوالذي نفسي بيده حتى لا يبقى قرية إلا وتنادي بشهادة أن لا إله إلا الله ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله بكرة وعشياً.

وعن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: إذا خرج القائم لم يبق مشرك بالله العظيم ولا كافر إلا كره خروجه[1].

---

(١) تفسير الصافي ٢: ٣٣٧، وراجع تفسير البرهان ٢: ١٢١.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾[١] عن أبي جعفر عليه السلام: قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلوكم كافة حتى لا يكون شركٌ ويكون الدين كله لله فقال: ولم يجئ تأويل هذه الآية ولو قد قام قائمنا بعد سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية وليبلغن دين محمد ما بلغ الليل حتى لا يكون شرك على ظهر الأرض كما قال الله تعالى[٢].

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[٣]. عن الصادق عليه السلام: في الكتب كلها ذكر الله أن الأرض يرثها عبادي الصالحون قال: القائم عليه السلام وأصحابه. وعن أبي جعفر عليه السلام: أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ـ هم أصحاب المهدي في آخر الزمان...[٤]

وفي تفسير الصافي عن المجمع قوله: ويدلّ على ذلك ما رواه الخاصّ والعام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[٥].

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٦].

---

(١) سورة التوبة الآية: ٣٦.
(٢) إلزام الناصب ١/ ٦٥.
(٣) سورة الأنبياء الآية: ١٠٥.
(٤) إلزام الناصب ١: ٧٦.
(٥) تفسير الصافي ٣: ٣٥٨.
(٦) سورة النور الآية: ٥٥.

عن أبي عبد الله عليه السلام: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ولده، وليمكنن دينهم الذي ارتضى وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، قال: عني به ظهور القائم[١].

في الصافي عن القمي أنه قال: نزلت في القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله. وقال صاحب تفسير الصافي أقول: تبديل خوفهم بالأمن يكون بالقائم أو مجموع ذلك معاً يكون به فلا ينافي الخبر السابق.

وفي المجمع المروي عن أهل البيت عليهم السلام: أنها في المهدي من آل محمد عليه السلام.

قال: وروى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام: أنه قرأ الآية وقال: هم والله شيعتنا أهل البيت يفعل ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهدي هذه الأمة وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

قال: وروي مثل ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته.

وفي الإكمال عن الصادق عليه السلام في قصة نوح وذكر انتظار المؤمنين من قومه الفرج حتى أراهم الله الاستخلاف والتمكين، قال:

---

(١) إلزام الناصب ١: ٧٨.

وكذلك القائم عليه السلام فإنه تمتد أيام غيبته ليصرح الحق عن محضه ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسّوا بالاستخلاف والتمكين والأمر المنتشر في عهد القائم عليه السلام قال الرّاوي: فقلت: يا ابن رسول الله فإن هذه النواصب تزعم أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي؟ فقال: لا لا يهد الله قلوب الناصبة متى كان الدّين الذي ارتضاه الله ورسوله متمكناً بانتشار الأمر في الأمة وذهاب الخوف من قلوبها وارتفاع الشك من صدورها في عهد واحد من هؤلاء وفي عهد علي عليه السلام مع ارتداد المسلمين والفتن التي كانت تثور في أيامهم والحروب التي كانت تنشب بين الكفار وبينهم[(١)].

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[(٢)] عن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام: أن فرعون وهامان ههنا هما شخصان من جبابرة قريش يحييهما الله تعالى عند قيام القائم عليه السلام من آل محمد في آخر الزمان فينتقم منهما بما أسلفنا والروايات في أن هذه الآية نزلت في الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله كثيرة ذكرها جلها السيد الأجل المحدث البحراني في تفسير البرهان وغيره[(٣)].

وفي تفسير الصافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: هم آل

---

(١) تفسير الصافي ٣: ٤٤٣.
(٢) سورة القصص آية: ٥.
(٣) إلزام الناصب ١: ٨١، تفسير البرهان.

محمد (صلوات الله عليهم) يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزهم ويذل أعداءهم.

وفي نهج البلاغة قال عليه السلام: لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها وتلا عقيب ذلك: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ... الآية﴾.

وفي المعاني عن الصادق عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله نظر إلى علي والحسن والحسين عليهم السلام فبكى وقال: أنتم المستضعفون بعدي إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَنُرِيدُ... الآية﴾ فقيل للصادق عليه السلام: ما معنى ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: معناه أنكم الأئمة بعدي إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً... الآية﴾ ثم قال: هي لنا أو فينا.

وفي الإكمال والغيبة أن القائم عليه السلام لمّا تولّد نطق بهذه الآية[1].

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[2] عن علي بن الحسين عليه السلام: أنه الحق قيام القائم عليه السلام وفيه نزلت ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[3].

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٨٠.
(٢) سورة الذاريات آية: ٢٣.
(٣) إلزام الناصب ١: ٩٤.

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[١] عن أبي جعفر عليه السلام في القائم عليه السلام وأصحابه.

وعن الصادق عليه السلام: العامة يقولون: نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله لما أخرجته قريش من مكة، وإنما هو القائم عليه السلام إذا خرج يطالب بدم الحسين عليه السلام وهو قوله: (نحن أولياؤكم في الدم وفي طلب الدية)[٢].

الآية التاسعة: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[٣].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: أخذ الله الميثاق على النبيين وقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى وإن هذا محمداً رسولي وإن علياً أمير المؤمنين والأوصياء من بعده ولاة أمري وخزان علمي وإن المهدي أنتصر به لديني وأظهر به دولتي فأنتقم به من أعدائي وأعبد به طوعاً وكرهاً، قالوا: أقررنا ربنا وشهدنا ولم يجحد آدم ولم يقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي ولم يكن لآدم عزيمة على الإقرار وهو قول الله تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً[٤].

الآية العاشرة: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟

---

(١) سورة الحج آية: ٣٩.
(٢) إلزام الناصب ١: ٧٦، الصافي ٣: ٣٨٠.
(٣) سورة طه آية: ١١٥.
(٤) إلزام الناصب ١: ٧٤.

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾(١).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: هذه لآل محمد المهدي وأصحابه يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الدين، ويميت الله عزّ وجلّ به وأصحابه البدع والباطل كما أمات السفهة الحق حتى لا يرى أثر من الظلم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولله عاقبة الأمور(٢).

وفي تفسير الصافي عن القمي عن الباقر عليه السلام: فهذه لآل محمد (صلوات الله عليهم) إلى آخر الآية، والمهدي عليه السلام وأصحابه يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها ويظهر الدّين، ويميت الله به وبأصحابه البدع والباطل كما أمات الشقاة الحق حتى لا ترى أين الظلم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر(٣).

مداليل الآيات:

أولاً: دلت الآيات العشر المارة الذكر بشكل صريح على حتمية انتصار الإسلام في نهاية المطاف وقيام دولته العادلة التي ستهيمن على مشارق الأرض ومغاربها، وتزيل كل مظاهر الكفر والشرك والظلم والجور، وتنقذ المستضعفين من متاهات الجهل والتخلف، وتجعل الإسلام الدين الوحيد الذي يحكم العالم برمته.

---

(١) سورة الحج آية: ٤١.
(٢) إلزام الناصب ١ : ٧٦.
(٣) تفسير الصافي ٣: ٣٨٢.

وبما أن البشرية لم ترَ مصداقاً لهذا الوعد الإلهي منذ ابتداء الإسلام إلى يومنا هذا فلا بد أن يتم تحقيقه على يد الفاتح العظيم وهو الإمام المهدي عليه السلام كما أشار الأئمة لذلك، وإلا ستفقد الآيات المذكورة مصداقيتها وهذا خلاف ما وعد الله به عباده الصالحين وحاشا لله أن يخلف وعده فتأمل.

ثانياً: أكدت الآيات المارة الذكر على أن المراد بالمستضعفين والأئمة الوارثين وعباد الله الصالحين الوارد ذكرهم في الآيات هم آل محمد عليهم السلام بشكل عام والإمام المهدي عليه السلام بشكل خاص، ولكن زعم البعض من الناصبة ـ أي الذين ينصبون العداء لأهل البيت عليهم السلام ـ أنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان (رض) وعلي بن أبي طالب عليه السلام.

فرد الإمام الصادق عليه السلام على هذا الزعم بقوله: لا يهد الله قلوب الناصبة متى كان الدين الذي ارتضاه الله ورسوله متمكناً بانتشار الأمر في الأمة، وذهاب الخوف من قلوبها، وارتفاع الشك من صدورها في عهد واحد من هؤلاء، وفي عهد علي عليه السلام مع ارتداد المسلمين والفتن التي كانت تثور في أيامهم والحروب التي كانت تنشب بين الكفار وبينهم.

صدق إمامنا الصادق متى استقرت الأوضاع السياسية والأمنية في زمن واحد من هؤلاء بحيث سيطر الإسلام وظهر على الأديان فلم يبق كافر أو مشرك على سطح الأرض إلا وأخضعه لسلطته وألهمه دعوته..

ففي زمن أبي بكر (رض) واجه حروب الردة والعصيان التي نشبت في أماكن متعددة من الوطن الإسلامي، واستثمر تلك الظروف المضطربة ليوجه ضربة قاضية لأحد الرموز الإسلامية البارزة المضطربة ليوجه ضربة قاضية لأحد الرموز الإسلامية البارزة والموالية لعلي بن أبي طالب عليه السلام والمعتقد بولايته، والطاعنة بشرعية السقيفة وخلافة أبي بكر ذلك هو مالك بن نويرة الذي خوله رسول الله صلى الله عليه وآله جمع زكوات المنطقة التي هو فيها..

فاستعان بخالد بن الوليد ونظائره للقضاء عليه ومحو وجوده السياسي ومكانته الدينية والاجتماعية. وتمكن خالد بالغدر أن يقتل مالكاً وأفراد عشيرته في ليلة واحدة ويدخل بزوجته ويفعل من المنكرات والقبائح التي ما زال المسلمون يشم روائحها النتنة إلى يومنا هذا.

وفي زمن عمر بن الخطاب (رض) خاض الحروب مع الكفر في أماكن متعددة من العالم وسيطر على العراق والشام وبلاد فارس بسببها.

وبالرغم من أن تلك الفترة كانت تعد من أفضل الفترات التي مر بها الإسلام حيث الفتوحات التي أدت إلى توسيع رقعته إلا أنه لم يتمكن فيها من فرض سيطرته التامة على العالم أجمع وإظهار دعوته على الأديان كلها، ولم يتم فيها الأمن والاستقرار الذي وصفته الآيات القرآنية المارة الذكر..

وواجه المسلمون في زمن عثمان معضلات عصيبة، ومشكلات شائكة منشؤها انحراف حكام الولايات الذين يتم تعيينهم من قبله.

وتجسّد هذا الانحراف في إجراءات تعسفية جائرة تمثلت في مصادرة أموال الناس ومقاطعاتهم الزراعية والاستحواذ على بيت مال المسلمين، وفي ممارسات لا أخلاقية من قبيل التجاهر بشرب الخمور واقتراف الرذائل والموبقات.

ففي هذه الفترة العصيبة المظلمة المتسمة بالاضطرابات وعدم الاستقرار بدلاً من أن تتركز دعائم الإسلام وتقوى شوكته نرى أن أعمال الولاة المنافقين وممارساتهم المنافية لأبسط القيم والأخلاق الإسلامية أدت إلى تضعيف عقائده ومبادئه في نفوس الكثير من المسلمين، وجعلته على حافة الانهيار.

وكانت حصيلة تلك الإجراءات الجائرة والممارسات اللاأخلاقية حصول فتنة التهمت الكثير من المسلمين وأودت بحياة عثمان نفسه، ومهدت السبيل لمعركة الجمل الطاحنة التي ذهب ضحيتها أكثر من سبعين ألف من المسلمين.

وواجه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في زمن خلافته حروب الناكثين والقاسطين والمارقين فكانت حرب الجمل وصفين والنهروان التي تمخضت عنها حروب ومآسٍ أخرى لا حصر لها ومنها مأساة الطف التي ذبح بها الحسين بن علي وأبناؤه وإخوته أبشع ذبحة عرفها التاريخ.

ولم يرَ المسلمون الأمن الذي وعدهم الله به في الآيات المذكورة بعد انقضاء مدة حكم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بل استمرت القلاقل والفتن والحروب في جميع الأعصار التي مرّت بها الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا.

نتبين مما تقدم صحة كلام الإمام الصادق وصواب تفسيره في أن المراد بالمنقذ والمحرر والمصلح الذي عنته الآيات غير هؤلاء الأربعة ومن أعقبهم في حكم البلاد الإسلامية، وإنما هو المهدي الذي يظهر الإسلام على الأديان كلها ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويحقق الأمن والاستقرار، وهذا ما أشار له الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام في جملة من أحاديثهم وفي تفسير الآيات النازلة في المهدي عليه السلام وحتمية ظهوره وقيام دولته، حيث ذكرت النصوص المذكورة اسمه ونسبه وشمائله حتى لا يلتبس الأمر على أحد من المسلمين.

ثالثاً: ودلت الآيات العشرة أيضاً والنصوص الواردة في تفسيرها على أن الذي يقوم بهذه النهضة العظيمة ويقضي على عروش الظلم والطغيان وينشر القسط والعدل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويميت الله به وبأصحابه البدع[1] ويحيى بهم السنة، ويمحق الباطل والضلال ويحق الحق حتى يظهر دين الله على الأديان كلها.

---

(١) البدعة: نذكر هنا جملة من البدع التي روجها الخلفاء ووعاظ السلاطين وحكام المسلمين خلال أربعة عشر قرناً. ومن هذه البدع بدعة صلاة التراويح وإتمام الصلاة بالسفر وتغيير فصول الأذان بإدخال لفظة (الصلاة خير من النوم) وإسقاط (حي على خير العمل) ووجوب الصوم في السفر، وبدعة التفاضل بالعطاء والنهي عن المتعتين: متعة الحج ومتعة النساء والتكتف بالصلاة وسب الإمام علي والزهراء وابنيهما على منابر المسلمين مدة طويلة والقنوت بلعنهم أثناء الفرائض اليومية، وتحديد مهور النساء وبيع أمهات الأولاد، ومنع الزهراء من إرث أبيها خلافاً لما نص عليه القرآن الكريم، وجعل الخلافة ملكية وراثية وغيرها من البدع التي لا تعد ولا تحصى. راجع كتاب النص والاجتهاد وغيره من الكتب التي ذكرت ذلك.

وهذا ما لا يرى له المسلمون مصداقاً في جميع العصور والحكام الذين حكموا البلاد الإسلامية خلال أربعة عشر قرناً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان جميع أولئك الحكام باستثناء الإمام علي يحرفون الأحكام ويزيدون وينقصون فيها. ويبتدعون أحكاماً غير مستنبطة من القرآن والسنة وفق ما تقتضيه الأهواء والمصالح.

فبدلاً من أن يميتوا البدعة ويحيوا السنة سعى أولئك الحكام الجائرون إلى نشر البدع وتحريف الأحكام على نطاق واسع بحيث لو ظهر الحجة عليه السلام وباشر في تنفيذ أحكام القرآن كما هي قال الناس: جاءنا بقرآن جديد.

فإذا ثبت أن جميع أولئك الحكام باستثناء البعض منهم كانوا مبتدعين ومحرفين ثبت بأن المراد بالمهدي الذي يهدي الأمة إلى دين الحق ويميت البدعة ويحيي السنة غير أولئك الحكام الجائرين. وإن الآيات المذكورة لم تعنِ أحداً منهم، وإنما عنت المهدي من آل محمد الذي بشر به الرسول الأكرم أمته في مواطن شتى وذكر صفاته وأوصافه في مئات الأحاديث المختصة به.

الدليل الثاني: إخبار الرسول(ص) والأئمة الأطهار بقيام القائم من طرق العامة

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي[1].

وذكر نحوه مع اختلاف لفظي يسير وإضافة قوله ﷺ: واسم أبيه اسم أبي[2].

وعن عبد الله بن مسعود أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: لو لم يبقَ في الدنيا إلا ليلة لملك فيها رجل من أهل بيت النبي ﷺ. وفي حديث آخر قال: لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لطول الله تلك الليلة حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وعن عبد اله قال: قال رسول الله ﷺ: لو لم يبقَ من الدنيا

---

(١) المهدي عند أهل السنة ١ : ٨٢ عن المعجم الكبير، ص ٧٨ وص ٧٩ و٨٠.
(٢) المهدي عند أهل السنة ١ : ٧٩ عن المعجم الكبير، ص ٨١ عن المعجم أيضاً.

إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي[(١)].

وعن عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: والذي بعثني بالحق بشيراً لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي عليه السلام فينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه، وتنير الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب[(٢)].

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يفتح القسطنطينية وجبل الديلم. ولو لم يبقَ إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يفتحها[(٣)].

عن حذيفة (رضي الله عنه) قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر ما هو كائن، ثم قال: لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي اسمه اسمي. فقام سلمان (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله من أيّ ولدك هو؟ قال: من ولدي هذا. فضرب بيده على ظهر الحسين عليه السلام[(٤)].

وفي كتاب عون المعبود في شرح سنن أبي داود عن عبد الله

---

(١) المهدي عند أهل السنة ١ : ٨١، جامع الأصول من أحاديث الرسول ١١ : ٤٨.

(٢) المهدي عند أهل السنة ١ : ٢٢٦ رواه عن فرائد السمطين، كمال الدين ١ : ١٤٩، غاية المرام: ٦٩٢.

(٣) المهدي عند أهل السنة ١ : ٢٣٢، السمطين: ٣١٨، ورواه ابن ماجه في أبواب الجهاد تحت رقم (١٠٠٠) وفي فضائل الخمسة ٣: ٣٣٠.

(٤) المهدي عند أهل السنة ١ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠، ورواه المحب الطبري في ذخائر العقبى: ١٣٦.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم... لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي[1].

وفي سنن أبي داود عن أبي الطفيل، عن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لو لم يبقَ من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً[2].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يملك سبع سنين[3].

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحاً، قال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس، ويملأ الله قلوب أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم غناءً ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً...[4].

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط عن ابن عمر (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) المهدي عند أهل السنة ٢: ١٧٦، عون المعبود: ٣٧٠.
(٢) سنن أبي داود في كتاب المهدي: ١٠٧، وانظر المهدي عند أهل السنة ١: ٤١، جامع الأصول ١١: ٤٩، تذكرة ابن الجوزي: ٣٦٤.
(٣) سنن أبي داود في كتاب المهدي: ١٠٧، وانظر المهدي عند أهل السنة ١: ٤١، جامع الأصول من أحاديث الرسول ١١: ٤٦، مختصر سنن أبي داود ٦: ١١٠.
(٤) مجمع الزوائد ٧ عن المهدي عند أهل السنة ١: ٣٢٠.

أخذ بيد علي عليه السلام فقال: سيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي، فإنه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي[1].

وأخرج الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم عن أبي سعيد الخدري: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يخرج من أهل بيتي يقول بسنتي، ينزل الله له القطر من السماء، وتخرج له الأرض من بركتها، تملأ الأرض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعمل على هذه الأمة سبع سنين، وينزل بيت المقدس[2].

وأخرج أحمد وأبو نعيم عن أبي سعيد قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: لا تنقضي الدنيا حتى يملك الأرض رجلٌ من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله جوراً، يملك سبع سنين[3].

وأخرج أبو نعيم عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً اسمه اسمي وخلقه خلقي يكنى أبا عبد الله[4].

وأخرج الحارث بن أبي أسامة وأبو نعيم، عن أبي سعيد قال:

---

(١) الحاوي للفتاوى للسيوطي في أخبار المهدي: ١٣٠، انظر كتاب المهدي عند أهل السنة ١: ٣٦١.

(٢) الحاوي للفتاوي في أخبار المهدي ٢: ١٣١، انظر كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٦٢.

(٣) الحاوي للفتاوي في أخبار المهدي ٢: ١٣٢، انظر كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة ١، ٣٦٣.

(٤) الحاوي للفتاوي في أخبار المهدي ٢: ١٣٢، انظر كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٦٣.

قال رسول الله ﷺ: لتملأن الأرض ظلماً وعدواناً، ثم ليخرجن رجل من أهل بيتي حتى يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً[١].

وأخرج أبو نعيم عن حذيفة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ويح هذه الأمة من ملوك جبابرة كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلا من أظهر طاعتهم؟ فالمؤمن التقي يصانعهم بلسانه ويقوّمهم بقلبه، فإذا أراد الله أن يعيد الإسلام عزيزاً قسم كل جبار عنيد، وهو القادر على ما شاء أن يصلح أمة بعد فسادها، يا حذيفة لم لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي، تجري الملاحم على يديه، ويظهر الإسلام، لا يخلف وعده وهو سريع الحساب[٢].

وأخرج (ك) الحاكم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاءٌ شديد من سلطانهم حتى تضيق الأرض عنهم، فيبعث الله رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأرض شيئاً من بذرها إلا أخرجته، ولا السماء شيئاً من قطرها إلا صبته يعيش فيهم سبع سنين أو ثماني أو تسعاً[٣].

---

(١) الحاوي للفتاوي في أخبار المهدي ٢: ١٣٢، انظر كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٦٣.

(٢) الحاوي للفتاوي في أخبار المهدي ٢: ١٣٣، انظر كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٦٤.

(٣) الحاوي للفتاوي في أخبار المهدي ٢: ١٣٥، انظر كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٦٦.

أخبار النبي والأئمة(ع) بقيامه من طرق الخاصة

في البحار عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقوم الساعة حتى يقوم القائم الحق منّا وذلك حين يأذن الله عز وجل له، ومن تبعه نجا ومن تخلف عنه هلك، ألا عباد الله فا.توه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله وخليفتي[1].

وفيه عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء... «إلى أن قال»: وبالقائم منكم أعمر أرضي بتسبيحي وتقديسي وتهليلي وتكبيري وتمجيدي، وبه أطهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى وكلمتي العليا، وبه أحيي عبادي وبلادي بعلمي...[2].

وفيه عن النبي صلى الله عليه وآله: لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمر أمتي رجل من ولد الحسين عليه السلام يملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[3].

«وفيه» قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه: والذي نفسي بيده لا بد لهذه الأمة من مهدي عليه السلام وهو والله من ولدك[4].

وفي كتاب كنز الواعظين للفاضل المحدث البرغاني، عن غيبة النعماني مسنداً عن إبان بن عثمان، عن الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي: ألا أبشرك ألا أخبرك يا علي؟ فقال:

---

(١) عن البحار في إلزام الناصب ١: ١٧٠.
(٢) عن البحار في إلزام الناصب ١: ١٧١.
(٣) عنه في إلزام الناصب ١: ١٧١.
(٤) المصدر السابق.

بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: كان جبرائيل عندي آنفاً وأخبرني أن القائم الذي يخرج في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً من ذريتك من ولد الحسين عليه السلام...[١].

وفي إثبات الهداة للشيخ الحر العاملي (ره) عن الأصبغ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: فكرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يكون لغيبته حيرة يضل فيها أقوام ويهتدي آخرون إلى أن قال: أولئك خيار هذه الأمة مع خيار أبرار هذه العترة[٢].

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال بعد أن ذكر أسماء الأئمة الأحد عشر: ثم ابنه القائم بالحق مهدي أمتي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً هؤلاء خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي، من أطاعهم فقد أطاعني، ومن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يمسك الله عزّ وجلّ السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها[٣].

عن سليم بن قيس الهلالي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في مخاطبته للزهراء عليها السلام في مرضته الأخيرة: ... وابناك حسن وحسين سبطا أمتي وسيدا شباب أهل الجنة، ومنا والذي نفسي بيده

(١) عنهما في إلزام الناصب ١ : ١٧٣.
(٢) عنه في إلزام الناصب ١ : ١٧٤.
(٣) كمال الدين ١ : ٢٥٨.

مهدي هذه الأمة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. . .[١]

وعن ثابت بن دينار، عن سيد العابدين علي بن الحسين، عن سيد الشهداء الحسين بن علي، عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي، وآخرهم القائم الذي يفتح الله عزّ وجلّ على يديه مشارق الأرض ومغاربها[٢].

روى جابر الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: منا مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل وأغار بعضهم على بعضهم فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً فيبعث الله عند ذلك مهدينا التاسع من صلب الحسين يفتح حصون الضلالة وقلوباً غفلاً، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[٣]، وبهذا المضمون أخبار كثيرة.

عن علي بن علي الهلالي، عن النبي صلى الله عليه وآله ـ إلى أن قال: إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن، وتقطعت السبل وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً، ولا صغير يوقر كبيراً

---

(١) كمال الدين ١ : ٢٦٤.
(٢) كمال الدين ١ : ٢٨٢.
(٣) البحار ٥٢ : ٢٦٦، وانظر الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢٠٧، طبع الكويت مكتبة دار الإرشاد.

فيبعث الله عزّ وجلّ عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان يملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً[1].

نكتفي بهذا القدر مما روته العامة والخاصة من الأخبار الدالة على حتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام وقيام دولته المباركة التي ستضم مشارق الأرض ومغاربها.

دلائل الروايات

نستخلص من مضامين الروايات المارة الذكر سواء التي نقلت من طرق العامة أو الخاصة الأدلة التالية:

أولاً: يستفاد من قوله صلى الله عليه وآله: لا تذهب الدنيا... أو قوله صلى الله عليه وآله: لو لم يبق من الدنيا... أو لو لم يبق من الدهر إلا ليلة أو إلا يوم يطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ولدي المهدي، يستفاد من تلك العبائر حتميّة ظهور المهدي وقيام دولته حتى لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد. وهذا ما أجمعت عليه روايات الفريقين بشكل صريح لا غموض فيه إذ باستطاعة أي إنسان تجاوز مرحلة الأمية أن يدرك ذلك بدون أدنى تأمل وعناء.

وبتعاضد الروايات والآيات المارة الذكر يصبح دليل حتمية ظهور الإمام دليلاً قطعياً لا ريب فيه ومحل إجماع علماء المسلمين قاطبة

---

(١) عقد الدرر الفصل الثالث من الباب التاسع: ٢١٧، وانظر كتاب المهدي وظهوره: ٢٠٧.

باستثناء نفر قليل ممن لا علم له بالرواية والدراية سنذكر أسماءهم وشبهاتهم ونترك المجال للعلماء ليردوا عليهم ويفندوها بالأدلة القطعية المقنعة.

ثانياً: أجمعت روايات الفريقين على أن المهدي من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته من ولد فاطمة بضعته. غير أنه أشارت بعض تلك الروايات أن المهدي من صلب الحسين إلا أن هذا الأمر ليس موضع إجماع العلماء لأنهم اختلفوا في تحديد نسبه هل إنه حسني أو حسيني؟ وسبق أن بحثنا ذلك في كتابنا (الإمام المهدي حقيقة لا خيال) وأثبتنا فيه أن المهدي عليه السلام الإمام التاسع من صلب الحسين عليه السلام.

ثالثاً: دلت الروايات المذكورة على أن الإمام المهدي عليه السلام لا يظهر حتى يشمل الظلم والجور مسلمي العالم أجمع بحيث تضيق الأرض بهم ولا يجد أحدهم ملجأ يلجأ إليه وهذا لا خلاف فيه. ومعنى هذا أن ظهور الإمام يكون مسبوقاً بحكومات ظالمة جائرة فاسقة فاجرة، وفتن كثيرة وحروب مدمرة واضطرابات لا حصر لها. وهذا ما ستذكره الروايات في موضع علائم الظهور والوقائع التي تسبقه بشكل مفصل.

تواتر الأحاديث الدالة على حتمية الظهور

قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد

التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم...[١].

ولا شك في أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة سلفاً عن خلف، إلا من لا يعتد بخلافه[٢].

وقال السيد محمد صديق في كتابه (الإذاعة): منها المهدي الموعود المنتظر الفاطمي، وهو أولها، والأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرة جداً، تبلغ حد التواتر، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد[٣].

وقال الشيخ العلامة محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي في كتاب [لوائح الأنوار البهية، وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية]: وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير ما ذكر منهم بروايات متعددة، وعن التابعين ومن بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي.

فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة، ونقل العلامة الشيخ المرعي في كتابه [فوائد الفكر] عن محمد بن الحسين أنه قال: قد تواترت

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢٠ عن كتاب لوائح الأنوار.
(٢) الإذاعة: ١٤٥، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ١٠٣.
(٣) الإذاعة: ١١٣، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٧٠.

الأحاديث واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وآله بمجيء المهدي، وإنه من أهل بيته صلى الله عليه وآله[١].

وقال القاضي الشوكاني في الفتح الرباني: الذي أمكن الوقوف عليه من الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر خمسون حديثاً وثمانية وعشرون أثراً تم سردها مع الكلام عليها، ثم قال: وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع، انتهى[٢].

وممن نص على تواتر أحاديث المهدي أيضاً الحافظ شمس الدين السخاوي في فتح المغيث والحافظ جلال الدين السيوطي في الفوائد المتكاثرة في الأحاديث المتواترة واختصاره الأزهار المتناثرة وغيرهما من كتبه، والعلامة ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة وغيره من مصنفاته، والمحدث الزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية وجم غفير من الحفاظ النقاد والمحدثين المتقنين لفنون الأثر.

وذكر القنوجي في الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة أن القاضي أبا عبد الله محمد بن علي الشوكاني ألف في إثبات تواتر أخباره كتاباً سماه (التوضيح في تواتر ما في المنتظر والدجال والمسيح...[٣].

وقد حكى عن غير هؤلاء التواتر الشيخ عبد المحسن العباد في

---

(١) الإذاعة: ١٤٦، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ١٠٤.

(٢) تحفة الأحوذي لشرح جامع الترمذي ٦: ٤٨٥، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢٠٣.

(٣) إبراز الوهم المكنون: ٤٣٤، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢٣٠.

مجلة الجامعة الإسلامية العدد الثالث السنة الأولى فذكر منهم الحافظ أبا الحسين محمد بن الحسين الإبري السجزي صاحب كتاب مناقب الشافعي، ومحمد البرزنجي...

وممن حكى تواتر أحاديث المهدي من المتأخرين الشيخ محمد ابن جعفر الكناني المتوفي سنة ١٣٤٥هـ قال في كتابه [نظم المتناثر من الحديث المتواتر]: وقد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، ثم قال: والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة وكذا الواردة في الدجال وفي نزول سيدنا عيسى عليه السلام[1].

هؤلاء بعض من قال بتواتر أحاديث المهدي وحتمية ظهوره من علماء المسلمين المتقدمين والمتأخرين. وباعتقادي أن هذا يكفي للتدليل على تواتر أحاديث المهدي عليه السلام لأنه لا يسعنا أن نذكر كل من قال بتواترها لأن علماء المسلمين من الفريقين أقروا بذلك ما عدا نفراً قليلاً لا يتجاوز عدد أصابع اليد ضعفوها وأنكروا ظهوره استناداً إلى رواية ضعيفة مفادها أن لا مهدي إلا عيسى بن مريم.

وسنذكر حجج أولئك وشبهاتهم بالتفصيل ثم الرد عليها وتفنيدها وإثبات حتمية الظهور إن شاء الله فيما يأتي.

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٠٢ نقلاً من مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٣ السنة ١٣٨٨ هـ شباط ١٩٦٩م.

الدليل الثالث على حتمية ظهور الإمام المهدي: هو الإجماع

مما لا ريب فيه أن علماء الشيعة مجمعون على وجود الإمام المهدي عليه السلام وعلى حتمية ظهوره. وقد أشار الكثير من علماء إخواننا السنة إلى ذلك الإيمان وكونه جزءاً من عقيدتهم وفيما يلي نشير إلى بعض عبائرهم وأقوالهم الدالة على ذلك.

وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير ما ذكر منهم (رضي الله عنهم) بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي.

فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة وكذا عند أهل الشيعة...[1].

وقال آخر: لا شك في أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة سلفاً عن خلف، إلا من لا يعتد بخلافه.

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢١.

وليس القول بظهوره بناء على أقوال الصوفية ومكاشفاتهم أو أهل التنجيم، أو الرأي المجرد، بل إنما قال به أهل العلم لورود الأحاديث الجمة في ذلك[١].

وجاء في كتاب (عون المعبود شرح سنن أبي داود) قوله: واعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت عليهم السلام يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي[٢].

وفي كتاب (التاج الجامع للأصول) جاء فيه: اشتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً أنه في آخر الزمان لا بد من ظهور رجل من أهل البيت يسمى المهدي...[٣].

وقال صاحب كتاب (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون): أما بعد فإن الساعة آتية لا ريب فيها، قريبة مقبلة بما فيها وإن لإتيانها أعلاماً ولقيامها أشراطاً ألا وإن من أعلامها الصريحة وأشراطها الثابتة الصحيحة ظهور الخليفة الأكبر والإمام العادل الأشهر، الذي يحيي الله به ما درس من آثار السنة النبوية واندثر، ويميت به ما شاع من ضلالات أهل البدع وذاع وانتشر... إلى أن قال: وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الآثار، وشاع ذكره

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ١٠٣.
(٢) عون المعبود ١١: ٣٦١، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ١٦٧.
(٣) التاج الجامع للأصول ٥: ٣٤١، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢١٨.

وانتشر خبره بين الكافة من أهل الإسلام على مر الدهور والأعصار. فالإيمان بخروجه واجب واعتقاد ظهوره تصديقاً لخبر الرسول محتم لا ريب كما هو مدون في عقائد أهل السنة والجماعة من سائر المذاهب، ومقرر في دفاتر علماء الأمة على اختلاف طبقاتها...(١).

وجاء في مجلة التمدن الإسلامي جواباً على سؤال أحد القراء: وخلاصة القول: إن عقيدة خروج المهدي عقيدة متواترة عنه ﷺ يجب الإيمان بها لأنها من أمور الغيب، والإيمان بها من صفات المتقين(٢).

وقال الشيخ عبد المحسن العباد في مجلة الجامعة الإسلامية في معرض رده على ابن خلدون وغيره ممن أنكر ظهور الإمام المهدي: إن أحاديث المهدي الكثيرة التي ألف فيها مؤلفون وحكى تواترها جماعة واعتقد موجباً أهل السنة والجماعة وغيرهم من الأشاعرة تدل على حقيقة ثابتة بلا شك هي حصول مقتضاها في آخر الزمان... وقال في مكان آخر: وإذاً فإن أحاديث المهدي على كثرتها وتعدد طرقها وإثباتها في دواوين أهل السنة يصعب كثيراً القول بأنه لا حقيقة لمقتضاها إلا على جاهل أو مكابر أو من لم يمعن النظر في طرقها وأسانيدها ولم يقف على كلام أهل العلم المعتد بهم فيها، والتصديق بها داخل في الإيمان بأن محمداً ﷺ رسول الله، لأن من الإيمان به ﷺ تصديقه فيما أخبر به، وداخل في الإيمان بالغيب الذي

---

(١) إبراز الوهم المكنون: ٤٣٣، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢٢٩.
(٢) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٣٩١.

امتدح الله المؤمنين به بقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ وداخل في الإيمان بالقدر...[1].

وقال ابن باز تعليقاً وتعقيباً على محاضرة الأستاذ عبد المحسن العباد التي نشرتها مجلة الجامعة الإسلامية: ونص أهل العلم الموثوق بهم على ثبوتها ـ يعني أحاديث المهدي عليه السلام ـ وتواترها. وقد رأينا أهل العلم أثبتوا أشياء كثيرة بأقل من ذلك، والحق أن جمهور أهل العلم بل هو الاتفاق على ثبوت أمر المهدي، وأنه حق، وأنه سيخرج في آخر الزمان.

أما من شذّ عن أهل العلم في هذا الباب فلا يلتفت إلى كلامه في ذلك[2].

وقال في عدد آخر من مجلة الجامعة الإسلامية الشيخ عبد المحسن العباد في معرض رده على الشيخ ابن محمود الذي ضعف أحاديث المهدي وجعلها بدعة من بدع الشيعة: وإيضاحاً للحق ودفعاً للباطل أقول: إن علماء أهل السنة المعتد بهم في القديم والحديث مصدقون بالأحاديث الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وآله الدالة على خروج المهدي في آخر الزمان ولا ينكرها إلا شاذ عنهم، وسبق أن أشرت في مواضيع من هذا البحث إلى تسمية بعض علماء أهل السنة الذين احتجوا بأحاديث المهدي وقالوا بثبوت خروجه آخر الزمان.

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية العدد الثالث، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٣١.

(٢) مجلة الجامعة الإسلامية العدد الثالث، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٣٣.

وقد يكون من المناسب هنا تسمية عدد من هؤلاء العلماء ليتضح أن علماء أهل السنة المتبعين للنصوص الذين لا يعارضونها بالشبهة العقلية كما أنهم أهل الكمية فهم أهل الكيفية، وإن الذين شذوا عنهم ليسوا ذوي كمية ولا كيفية، وليس ذلك للمقارنة والموازنة معاذ الله.

وبعد ذكر أسماء ٢٢ عالماً من ذوي الاختصاص قال: وهؤلاء الذين ذكرتهم قطرة من بحر من علماء أهل السنة القائلين بخروج المهدي في آخر الزمان استناداً إلى الأحاديث الصحيحة في ذلك، وهم أهل الرواية والدراية وهم أهل الخبرة والاختصاص، وهم العلماء المحققون الذين يعول على حكمهم، وهم أهل الجرح والتعديل والتصحيح والتضعيف، وهم أهل العلم والدين وهم أهل الكمية والكيفية[١].

وقال الشيخ محمد الخضر حسين في معرض رده على من ضعف أحاديث الإمام المهدي عليه السلام بالجملة: والواقع أن أحاديث المهدي بعد تنقيتها من الموضوع والضعيف القريب منه، فإن الباقي منها لا يستطيع العالم الباحث على بصيرة أن يصرف عنه نظره، كما يصرفه عن الأحاديث الموضوعة. وقد صرح الشوكاني في رسالته المشار إليها آنفاً بأن هذه الأحاديث بلغت مبلغ التواتر فقال: الأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها، . . . بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول.

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٦، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٩٣ و٤٩٥.

يقول بعض المنكرين لأحاديث المهدي جملة: إن هذه الأحاديث من وضع الشيعة لا محالة، ويرد هذا بأن هذه الأحاديث مروية بأسانيدها، ومنها ما تقصينا رجال سنده فوجدناهم ممن عرفوا بالعدالة والضبط، ولم يتهم أحد من رجال التعديل والتجريح يتشيع مع شهرة نقدهم للرجال(١).

وقال الشيخ الصدوق في كتابه (كمال الدين): ثم تأملنا أخبار الرسول صلى الله عليه وآله فوجدناها قد وردت بأن الأرض تملأ قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً برجل من عترته، فدلنا هذا الحديث على أن القيامة لا تقوم على هذه الأمة إلا بعدما ملئت الأرض عدلاً، فإن هذا الدّين الذي لا يجوز عليه النسخ ولا التبديل سيكون له ناصر يؤيّده الله عزّ وجلّ كما أيده الأنبياء والرّسل لمّا بعثهم لتجديد الشرايع وإزالة ما فعله الظالمون فوجب لذلك أن تكون الدلائل على من يقوم بما وصفناه موجودة غير معدومة. . .(٢).

وأشار الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة) إلى إجماع الطائفة الشيعية على حتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام بقوله: ومما يدل أيضاً على إمامة ابن الحسن عليهما السلام زائد على ما مضى أنه لا خلاف بين الأمة أنه سيخرج في هذه الأمة مهدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. . .(٣).

---

(١) مجلة التمدن الإسلامي العدد ٣٥ و٣٦ محرم الحرام سنة ١٣٧٠ هـ، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢١٢.
(٢) كمال الدين ١: ٦٦.
(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ١٠٩.

وقفة تأمل وتدقيق في نصوص الإجماع

من تأمل بدقة في نصوص الإجماع المذكورة يرى بوضوح أن مسألة الإيمان بحتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام تعد جزءاً لا يتجزّأ من العقيدة الإسلامية الراسخة في أعماق نفوس المسلمين رغم مضي أكثر من ألف وأربع مائة سنة على بدء التبشير بها من قبل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ورغم شدة عواطف الشكوك والريب المثارة حولها.

ثم إن الإيمان بهذه العقيدة ملازم للإيمان بالغيب الذي أشارت له نصوص القرآن الكريم ووصفت معتنقيها بالمتقين..

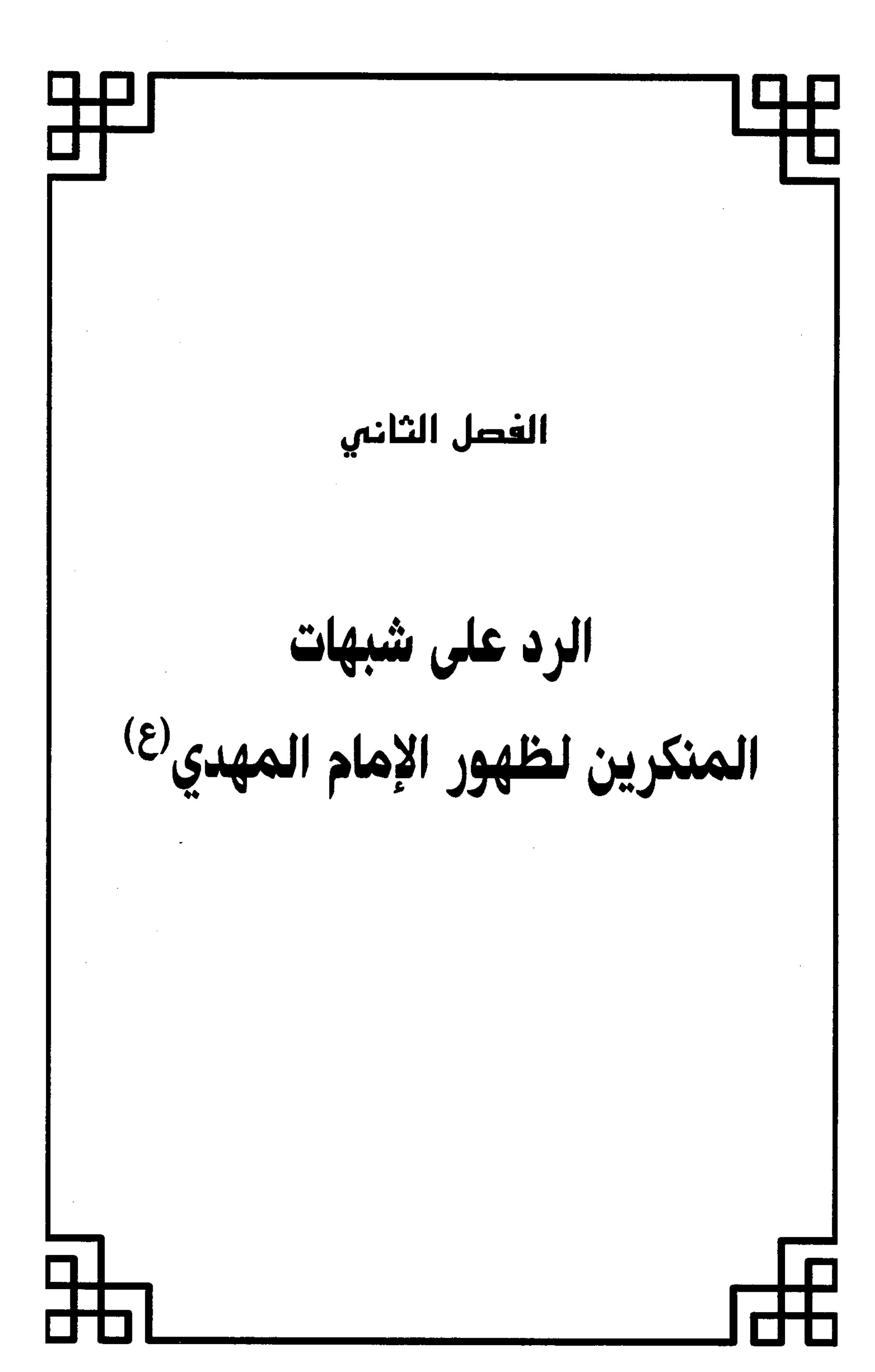
واشارت النصوص المذكورة إلى أن منشأ هذه العقيدة هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وليس منشؤها بدع الشيعة وأضاليلهم كما زعم بعض من شذ من علماء المسلمين الذين أعمى الحقد الطائفي بصائرهم وجعلهم يتخبطون خبط عشواء في إصدار أحكامهم استناداً إلى حجج واهية تثبت جهلهم وعدم معرفتهم بعلوم الرواية والدراية..

ثم يرى المتأمل فيها أيضاً أن الإجماع المستخلص منها إجماعاً مدهشاً لم يسبق له نظير في إجماعيات علماء المسلمين، إذ طالما اتفقوا على أمور سواء في الأصول أو الفروع ولكن توافقهم وإجماعهم لم يكن حرفياً كما حصل في هذه العقيدة المهدوية.

وبثبوت هذا الإجماع وبالكتاب المجيد والسنة النبوية الشريفة تم إثبات ما أردنا إثباته وهو حتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام وقيام دولته المباركة.

إن هذا الإجماع الرائع الذي استقطب كل علماء المسلمين سنة وشيعة ما عدا نفراً شاذاً، لم يترك أي مجال للخصم ليشكك بهذه العقيدة ويثير بسببها النزاع والتخاصم بين المسلمين.

ولأجل إزالة جميع الرواسب العالقة بأذهان المؤمنين التي أفرزتها أقلام المشككين والمنكرين لهذه العقيدة النيرة لا بد لنا أن نذكر بالتفصيل آراءهم وشبهاتهم وحججهم الواهية وتفنيدها بردود العلماء المتخصصين بعلوم الحديث والجرح والتعديل كي تنقى هذه العقيدة المهدوية من جميع الشوائب والشكوك لئلا يبقى ثغرة يحاول أعداء الإسلام النفوذ من خلالها لغرض تفريق المسلمين وإفساد عقائدهم.



الفصل الثاني

الرد على شبهات المنكرين لظهور الإمام المهدي(ع)

شبهات ابن خلدون والرد عليها

وأول من اتجه إلى نقد أحاديث المهدي فيما عرفنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، فقد ذكر في مقدمة تاريخه أن في من أنكروا أحاديث المهدي وتكلموا فيها، وأورد منها ثمانية وعشرين حديثاً. وقد منعه ما اعتاده من تحقيق البحث في القضايا العلمية أن يحكم عليها كما يفعل غير أهل العلم بأنها غير ثابتة، بل تصدى إلى نقدها بنقل ما قدح به أهل الفن في بعض رواتها، وأورد من بينها حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض جوراً وظلماً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي رجل يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً).

وقال: هذا الحديث رواه الحاكم قال: هذا صحيح على شرط الشيخين ـ يعني البخاري ومسلماً ـ ولم يخرجاه. وأورد فيها ما رواه الحاكم أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: (يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعاً أو

ثمانياً) ـ يعني حججاً. وقال الحاكم: في هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه يعني البخاري ومسلماً.

ثم اعترف ابن خلدون بعد بأن بعض الأحاديث خلص من النقد إذ قال: فهذه جملة الأحاديث التي أخرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان كما رأيت، لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه.

ونحن نقول: متى ثبت حديث واحد من هذه الأحاديث وسلم من النقد، كفى في العلم بما تضمنه من ظهور رجل في آخر الزمان يسوس الناس بالشرع، ويحكمهم بالعدل، إذ أريناك أن مسألة المهدي لم تكن من قبيل العقائد التي لا تثبت إلا بالأدلة القاطعة.

والصحابة الذين رويت من طرقهم أحاديث المهدي عليه السلام نحو (٢٧) صحابياً (رضي الله عنهم) منهم أبو سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأم سلمة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعمار بن ياسر، والعباس بن عبد المطلب، وتميم الداري، وابن عباس.

والواقع أن أحاديث المهدي بعد تنقيتها من الموضوع والضعيف القريب منه، فإن الباقي منها لا يستطيع العالم الباحث على بصيرة أن يصرف عنه نظره، كما يصرفه عن الأحاديث الموضوعة.

وقد صرح الشوكاني في رسالته المشار إليها آنفاً بأن هذه الأحاديث بلغت مبلغ التواتر فقال: والأحاديث الواردة في المهدي

التي أمكن الوقوف عليها، منها خمسون فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول.

يقول بعض المنكرين لأحاديث المهدي جملة: إن هذه الأحاديث من وضع الشيعة لا محالة، ويرد هذا بأن الأحاديث مروية بأسانيدها. ومنها ما تقصينا رجال سنده، فوجدناهم ممن عرفوا بالعدالة والضبط، ولم يتهم أحد من رجال التعديل والتجريح بتشيع مع شهرة نقدهم للرجال.

وقال ابن خلدون: ربما تمسك المنكرون لشأن المهدي بما رواه محمد بن خالد الجندي عن آبان بن صالح، عن الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لا مهدي إلا عيسى.

وهذا حديث مصنوع فقد نقده نقاد الأسانيد كالحاكم: إن محمد بن خالد رجل مجهول. وقال ابن عبد البر: إنه متروك، وقال الأزدي: منكر الحديث، وآخذ في مثل يقول ابن حزم: إذا كان في سند الحديث رجل مجروح بكذب، أو غفلة، أو مجهول الحالة، لا يحل عندنا القول به، ولا تصديقه، ولا الأخذ بشيء منه[١].

وجاء في هامش تحفة الأحوذي: وبالغ الإمام المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون المغربي في تاريخه في تضعيف أحاديث المهدي كلها فلم يصب بل أخطأ وما روي من رواية محمد بن المنكدر عن

---

(١) مجلة التمدن الإسلامي العدد: ٣٥ و٣٦ محرم الحرام ١٣٧٠ هـ، انظر كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢١٣.

جابر: (من كذب بالمهدي فقد كفر)، فموضوع والمتهم فيه أبو بكر الإسكاف وربما تمسك المنكرون لشأن المهدي بما روي مرفوعاً أنه قال: لا مهدي إلا عيسى بن مريم، والحديث ضعفه البيهقي والحاكم فيه أبان بن صالح وهو متروك الحديث والله أعلم كذا في عون المعبود. قلت: الأحاديث الواردة في خروج الإمام المهدي كثيرة جداً، ولكن أكثرها ضعاف، ولا شك في أن حديث عبد الله بن مسعود الذي رواه الترمذي في هذا الباب لا ينحط عن درجة الحسن وله شواهد كثيرة من بين حسان وضعاف.

فحديث عبد الله بن مسعود هذا مع شواهده وتوابعه صالح للاحتجاج بلا مرية، فالقول بخروج الإمام المهدي وظهوره هو القول الحق والصواب والله تعالى أعلم[1].

وجاء في كتاب (التاج الجامع للأصول) في الهامش: اشتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً أنه في آخر الزمان لا بد من ظهور رجل من أهل البيت يسمى المهدي يستولي على الممالك الإسلامية ويتبعه المسلمون ويعدل بينهم ويؤيد الدين، وبعده يظهر الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله أو يتعاون عيسى مع المهدي على قتله، وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة، وخرجها أكابر المحدثين كأبي داود والترمذي، وابن ماجه، والطبراني، وأبي يعلى، والبزاز، والإمام أحمد، والحاكم (رضي الله عنهم أجمعين) لقد أخطأ من ضعف أحاديث المهدي كلها كابن خلدون وغيره، وما روي من حديث: لا

---

(١) تحفة الأحوذي ٦: ٤٨٤، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢٠٢.

مهدي إلا عيسى بن مريم، فضعيف كما قاله البيهقي والحاكم وغيرهما[١].

وفي كتاب (إبراز الوهم المكنون) عن الفتوحي قال: وقد أضجع القول فيها ابن خلدون في مقدمة تاريخه حيث قال: يحتجون في الباب بأحاديث خرجها الأئمة، وتكلم فيها المنكرون وربما عارضوها ببعض الأخبار إلى آخر ما قال. وليس كما ينبغي فإن الحق الأحق بالاتباع والقول المحقق عند المحدثين المميزين بين الدار والقاع. إن المعتبر في الرواة رجال الحديث أمران لا ثالث لهما وهما الضبط والصدق دون ما اعتبره عامة أهل الأصول من العدالة وغيرها فلا يتطرق الوهن إلى صحة الحديث بغير ذلك كيف ومثل ذلك يتطرق إلى رجال الصحيحين وأحاديث المهدي عند الترمذي وأبي داود وابن ماجه والحاكم والطبراني وأبي يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة فتعرض المنكرون لها ليس كما ينبغي والأحاديث يشد بعضها بعضاً، ويتقوى أمرها بالشواهد والمتابعات وأحاديث المهدي بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار[٢].

ألف الشيخ محمد بن الصديق كتاب (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون) وعرض فيه حجج ابن خلدون ورد عليها بوجوه

---

(١) التاج الجامع للأصول ٥: ٣٤١، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢١٨.

(٢) إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون: ٤٣٥، انظر المهدي عند أهل السنة ٢: ٢٣١ ـ ٢٣٨.

متعددة لا يسعنا هنا إلا أن نذكر منه جملاً قصيرة وسطوراً قليلة في نقده لابن خلدون، والذي يطلب المزيد فليراجع الكتاب المذكور.
قال محمد بن الصديق: وقد كثر في الناس اليوم ممن يخفى عليه هذا التواتر - يعني تواتر أحاديث المهدي - ويجهله ويبعده عن صراط العلم جهله ويضله من ينكر ظهور المهدي وينفيه ويقطع بضعف الأحاديث الواردة فيه مع جهله بأسباب التضعيف وعدم إدراكه معنى الحديث الضعيف وتصوره مبادئ هذا العلم الشريف، وفراغ جرابه من أحاديث المهدي الغنية بتواترها عن البيان لحالها والتعريف وإنما استناده في إنكاره مجرد ما ذكره ابن خلدون في بعض أحاديثه من العلل المزورة المكذوبة ولمز به ثقات رواتها من التحريجات الملفقة المقلوبة مع أن ابن خلدون ليس له في هذه الرحاب الواسعة مكان ولا ضرب له بنصيب ولا سهم في هذا الشأن ولا استوفى منه بمكيال ولا ميزان فكيف يعتمد فيه عليه ويرجع في تحقيق مسائله إليه فالواجب دخول البيت من بابه والحق الرجوع في كل فن إلى أربابه فلا يقبل تصحيح أو تضعيف إلا من حفاظ الحديث ونقاده.

ثم قال: ولما لم أرَ أحداً تصدى للرد عليه فيما علمت ولا بلغني ذلك عن أحد فيما رويت وسمعت بعثني باعث الغيرة الدينية الأثرية وحثني فضل الانتصار والذب عن السنة النبوية على أن أدحض حججه الباطلة وأرد شبهه الفاسدة العاطلة، فكتبت على ضعف في الاستعداد وقلة من المواد هذه الرسالة واختطفت من أنياب العوائق هذه العجالة بعد أن فهمت مرامه وتدبرت كلامه فإذا هو مموه بشبه

واهية يعارض بعضها بعضاً مركب من مقدمات وهمية موهمة تناقض نتائجها نقضاً مؤلف من مغالطات يخيل للناظر أنها حجج قوية ترفض النزاع رفضاً محشواً بتعسفات تغض من صاحبها غضاً ومجازفات تحط من قدره وتنقص منه طولاً وعرضاً كما ستعلم ذلك وتتحققه عند عرضنا له عليك عرضاً...[(١)].

وممن رد على ابن خلدون والمنكرين لحتمية ظهور المهدي بمحاضرة مطولة هو الأستاذ عبد المحسن العباد ذكر فيها حجج ابن خلدون الواهية ورد عليها بشكل مفصل حيث ذكر أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي وأسماء الأئمة الذين خرجوها، والذين ألفوا فيها كتباً، والذين حكوا تواترها وما ورد منها في الصحيحين، وذكر من احتج بها من علماء السنة وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بها. ثم قال في كلمة ختامية: إن أحاديث المهدي الكثيرة التي ألف فيها مؤلفون وحكى تواترها جماعة، واعتقد بموجبها أهل السنة والجماعة وغيرهم من الأشاعرة تدل على حقيقة ثابتة بلا شك هي حصول مقتضاها في آخر الزمان...

ثم قال: ومعتقدهم ـ يعني أهل السنة ـ في المستقبل عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام حقيقة ثابتة بلا شك أيضاً فلا عبرة بقول من قفا ما ليس له به علم وقال: إن الأحاديث في المهدي لا يصح نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لأنها من وضع الشيعة كما تقدمت الإشارة إلى هذا في أول المحاضرة.

---

(١) إبراز الوهم المكنون: ٤٤٣ ـ ٤٤٤، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢٣٧.

وإذاً فإن أحاديث المهدي عليه السلام على كثرتها وتعدد طرقها وإثباتها في دواوين أهل السنة يصعب كثيراً القول بأنه لا حقيقة لمقتضاها إلا على جاهل أو مكابر أو من لم يمعن النظر في طرقها وأسانيدها ولم يقف على كلام أهل العلم المعتمد بهم فيها، والتصديق بها داخل في الإيمان بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله لأن من الإيمان به صلى الله عليه وآله تصديقه فيما أخبر به، وداخل في الإيمان بالغيب الذي امتدح الله المؤمنين به بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[1].

وعلّق نائب رئيس الجامعة الإسلامية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز على المحاضرة بقوله: إن الحق والصواب هو ما أبداه فضيلته في هذه المحاضرة، كما بينه أهل العلم فأمر المهدي أمر معلوم والأحاديث فيه مستفيضة بل متواترة ومتعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها كما حكاه الأستاذ في هذه المحاضرة وهي متواترة تواتراً معنوياً لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق...

ثم قال: والحق أن جمهور أهل العلم بل هو الاتفاق على ثبوت أمر المهدي، وإنه حق، وأنه سيخرج في آخر الزمان، أما من شذ عن أهل العلم في هذا الباب فلا يلتفت إلى كلامه...[2].

(١) مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٣ سنة ١٣٨٨ هـ، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢ : ٤٣١ .
(٢) المهدي عند أهل السنة ٢ : ٤٣٢ ـ ٤٣٣ .

إن هذا القدر من الردود كافٍ لتفنيد أكاذيب ابن خلدون وافتراءاته، وإثبات جهله وضلاله، وبطلان أدلته الواهية.

الرد على بقية من كذّب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي

وممّن كذّب بأحاديث الإمام المهدي وحتمية ظهوره هو الشيخ عبد الله بن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعية في دولة قطر. وحاول هذا الشخص استثمار حادثة الحرم المكي الشريف سنة ١٤٠٠ هـ لبث أكاذيبه وتخرصاته، ظناً منه أن الظرف ملائم لكي يصدق الناس بمفترياته وتلفيقاته المفضوحة التي لا تنطلي إلا على البسطاء والسذج من الناس.

وتصدى للرد على هذا المفتري سماحة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد، وبما أن الرد مطول فلا يسعنا إلا أن نذكر مقاطع مهمة منه بإيجاز واختصار لئلا يطول المقام ويسبب الملل..

قال الشيخ عبد الله بن محمود: وإن فكرة المهدي ليست في أصلها من عقائد أهل السنة القدماء فلم يقع لها ذكر بين الصحابة في القرن الأول، ولا بين التابعين.

والجواب: أن الأحاديث الكثيرة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خروج المهدي في آخر الزمان قد تلقاها عنه الصحابة (رضي الله عنهم) وتلقاها عنهم التابعون فكيف يقال: إنه لم يكن لذلك ذكر بين الصحابة في القرن الأول ولا بين التابعين وقد قال الشوكاني في كتابه التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي والدجال والمسيح كما في كتاب الإذاعة لصديق حسن خان: والأحاديث الواردة في المهدي التي

أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة جداً لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك.

وحكى الشيخ ابن محمود عن ابن القيم في (المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف) أنه يضعف الأحاديث الواردة في المهدي فقال في صفحة ٩ بعد أن أورد الأقوال التي ذكرها ابن القيم إجمالاً قال: ومن لوازم قوله ـ يعني ابن القيم ـ أن ما يزعمونه من خروج المهدي المجهول في عالم الغيب أنه لا حقيقة له.

ابن القيم لم يقل بتضعيف أحاديث المهدي

وقال ابن محمود في ص ١٩: لهذا وقبل ذلك تنبه العلماء من المتقدمين والمتأخرين لرد الأحاديث ـ أي المتعلقة بالمهدي ـ التي يتلونها ويموهون بها على الناس فأخضعوها للتصحيح والتمحيص وبينوا ما فيها من الحرج والتضعيف وكونها مزورة على الرسول ﷺ من قبل الزنادقة الكذابين، وممن انتقد هذه الأحاديث وبين معايبها العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) وقال أيضاً في ص ٢٥: وقد رأينا من يؤيد قول ابن خلدون من العلماء المتقدمين والراقين في العلم والمعرفة والاعتصام بالكتاب والسنة ومنهم العلامة ابن القيم فقد ذكر في كتابه (المنار المنيف) من أحاديث المهدي وضعفها.

والجواب أن نقول: لم يضعف ابن القيم الأحاديث الواردة في المهدي كما يقول ابن محمود، بل يبين أن ما فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع وذلك في كتابه (المنار) ولا أدري كيف خفي ذلك على الشيخ ابن محمود فنسب إليه القول بتضعيفها مع أن كلامه رحمه الله واضح وصريح في تصحيحها والقول بثبوتها، ومن ذلك أنه نقل كلام أبي الحسين الإبري المتوفى عام ٣٦٣ هـ في تواتر الأحاديث الواردة في المهدي وسكت عليه ولم يعقب. وهو قول أبي الحسين الإبري في كتاب (مناقب الشافعي) وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ وذكر المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى بن مريم يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه.

ومن ذلك نقل قول البيهقي: والأحاديث على خروج المهدي أصح إسناداً، ثم ذكر ابن القيم بعض الأمثلة لهذه الأحاديث.

ومنها أن ابن القيم قال: وفي الباب عن حذيفة بن اليمان وأبي أمامة الباهلي، وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص وثوبان وأنس بن مالك وجابر وابن عباس وغيرهم.

ثم أورد عدة أحاديث رواها بعض أهل السنن والمسانيد وغيرها منها ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف أورده للاستيناس به ثم قال ابن القيم: وهذه الأحاديث أربعة أقسام: صحاح وحسان وغرائب وموضوعة.

ومنها أنه ذكر الأقوال في المهدي وقال في ثالثها: القول الثالث: إنه رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله...[(١)].

وخلاصة ما قاله ابن القيم يثبت كذب ابن محمود وبطلان مدعياته.

ونسب هذا المفتري تهمة تضعيف أحاديث المهدي عليه السلام إلى الإمام الشاطبي صاحب كتاب (الاعتصام) زوراً وبهتاناً.

فأجابه الأستاذ عبد المحسن بقوله: إن الشيخ ابن محمود ذكر أن ممن سبق ابن خلدون في تضعيف أحاديث المهدي الإمامين ابن القيم والشاطبي وسبق إيضاح عدم صحة ما نسبه إلى ابن القيم في ذلك. أما الإمام الشاطبي فما نسبه إليه غير صحيح أيضاً فإن كلام الشاطبي عن أتباع المهدي المغربي لا علاقة له بالأحاديث الواردة في المهدي الذي يخرج في آخر الزمان والتي قال بصحتها وثبوتها العلماء من أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً...[(٢)].

ومما احتج به هذا المفتري هو قول ابن خلدون في تضعيف روايات المهدي. فأجابه عبد المحسن العباد: أولاً إن ابن خلدون اعترف بسلامة بعضها من النقد حيث قال بعد إيراد الأحاديث في المهدي: فهذه جملة الأحاديث التي أخرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه.. على أن ابن خلدون فاته الشيء الكثير من الأحاديث.

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٥، انظر الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٥٠ - ٤٥١.
(٢) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٥١.

ثانياً: إن ابن خلدون مؤرخ وليس من رجال الحديث فلا يعتد به في التصحيح والتضعيف وإنما الاعتماد بذلك بمثل البيهقي والعقيلي والخطابي والذهبي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم من أهل الرواية والدراية الذين قالوا بصحة الكثير من أحاديث المهدي، فالذي يرجع في ذلك إلى ابن خلدون كالذي يقصد الساقية ويترك البحور الزاخرة، وعمل ابن خلدون في نقل الأحاديث أشبه ما يكون بعمل المتطبب إذا خالف الأطباء الحذاق المهرة[١].

وقد أحسن الشيخ أحمد شاكر في تخريجه أحاديث مسند أحمد حيث قال: أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس له به علم، واقتحم قحماً لم يكن من رجالها.. وقال: إنه تهافت في الفصل الذي عقد في مقدمته للمهدي تهافتاً عجيباً وغلط أغلاطاً واضحة.. وقال: إن ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين الجرح مقدم على التعديل.. ولو اطلع على أقوالهم وفقهها ما قال شيئاً مما قال...[٢].

وأضاف ابن محمود افتراءً آخر إلى افتراءاته فقال: ولست أنا أول من قال ببطلان دعوى المهدي وكونه لا حقيقة لها فقد رأيت لأستاذنا الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع رسالة حقق فيها بطلان دعوى المهدي وأنه لا حقيقة لوجوده، وكل الأحاديث الواردة فيه ضعيفة جداً فلا ينكر على من أنكره.

وأجابه الشيخ عبد المحسن العباد بقوله: إن الشيخ محمد بن

---

(١) المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٤٩.
(٢) المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٥٠.

مانع رحمه الله قال: أولاً كلاماً محتملاً تضعيف أحاديث المهدي وذلك في كتابه (الكواكب الدرية) اغتراراً بكلام ابن خلدون يدل على ذلك قوله في كتابه المذكور: ومن أراد تحقيق هذه المسألة فليراجع مقدمة ابن خلدون فقد أفاد فيها وأجاد ولكنه بعد أن حدق النظر في الموضوع عاد فألف رسالة سماها «تحديق النظر بأخبار الإمام المنتظر» توجد منها نسخة خطية في دار الكتب المصرية قال فيها بعد أن ذكر كلام ابن خلدون وتعقب صاحب عون المعبود شرح سنن أبي داود عليه قال: وأقول: قول العلامة الهندي في هذه الأحاديث أقرب إلى الصواب من قول من جزم بضعفها كلها فمن صح عنده حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم منها أو من غيرها وجب عليه قبوله والاعتقاد بمدلوله، ومن علم بضعف الحديث وتيقنه لم يجب عليه شيء من ذلك.

وإذا اعتبرنا هذه الأحاديث الواردة في المهدي بخصوصها وجدنا التي لم يصرح فيها باسمه أقوى، ورأينا الضعف غالباً على ما ذكر فيها اسمه، ولهذا قلت في الكواكب لما قال السفاريني. فكلها صحت به الأخبار أي بأكثرها فإن الأحاديث التي فيها ذكر المهدي لم تصح عند علماء الحديث... إلى أن قال: فإن التي لم يذكر فيها اسمه بل ذكر نعته فيها القوي والضعيف ولهذا نعتقد ونجزم بخروج رجل من أهل البيت آخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...[1].

---

(١) المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٥٢ ـ ٤٥٣.

الرد على حجج محمد رشيد رضا المنكرة لخروج الإمام المهدي (ع)

وقال الشيخ ابن محمود في إدامة قوله في ذكر أسماء المنكرين لخروج الإمام المهدي عليه السلام: كما رأيت أيضاً لمنشئ (مجلة المنار) محمد رشيد رضا رسالة ممتعة يحقق فيها بطلان دعوى المهدي وإن كل الأحاديث الواردة فيه لا صحة لها قطعاً، وأشار إلى بطلان دعواه في تفسير المنار ونقل في ص ٦٢ والصفحتين بعدها شيئاً من كلامه في دعوى بطلان أحاديث المهدي ومنه في صفحة ٦٤ قوله: وردت أحاديث في المهدي منها ما حكموا بقوة إسناده ولكن ابن خلدون عنى بإعلالها وتضعيفها كلها ومن استقصى ما ورد في المهدي المنتظر من الأخبار والآثار وعرف مواردها ومصادرها يرى أنها كلها منقولة عن الشيعة.

فأجابه الأستاذ عبد المحسن العباد بقوله:

أولاً: اعتماد الشيخ محمد رشيد رضا على بطلان الأحاديث الواردة في المهدي مبنية على إعلال ابن خلدون لأحاديث المهدي، وسبق أن أوضحت أن ابن خلدون ليس ممن يعتمد عليه في مجال نقل الأحاديث والحكم عليها صحة أو ضعفاً، لأنه ليس من أهل الاختصاص.

ثانياً: ما ادعاه من أن الأحاديث في المهدي كلها منقولة عن الشيعة مردود بأن أحاديث المهدي عند أهل السنة مدونة في كثير من الكتب المعتمدة في السنن والمسانيد تنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق صحابته الكرام (رضي الله عنهم) أما الأحاديث عند الشيعة فهي

تنتهي إلى أئمتهم المعصومين في زعمهم، وقد تصل لرسول الله ﷺ وما صح من الأحاديث الواردة في المهدي عن رسول الله ﷺ لا علاقة له بالشيعة ولم ينقل عن الشيعة ثم إن المهدي عند الشيعة هو محمد بن الحسن العسكري صاحب السرداب، أما المهدي عند أهل السنة فاسمه مواطئ اسم رسول الله ﷺ واسم أبيه اسم أبيه، فعقيدة أهل السنة في المهدي في واد وعقيدة الشيعة في مهديهم في واد آخر.

ثالثاً: لا شك أن ما زعمه الشيخ محمد رشيد رضا في إنكار خروج المهدي في آخر الزمان خطأ واضح وأخطر منه خطؤه في إنكار رفع عيسى عليه السلام حياً إلى السماء ونزوله في آخر الزمان... ثم ذكر رد الشيخ خليل المهراس رحمه الله عليه فيما يتعلق برفع عيسى عليه السلام.

ثم قال: وما دام أن الشيخ محمد رضا سقط هذه السقطة السحيقة ـ يعني إنكاره لرفع عيسى عليه السلام حياً إلى السماء وقتله للدجال ـ في شأن عيسى عليه السلام فليس بمستغرب أن يسقط ويتردى في شأن المهدي(١).

الرد على تخرصات أحمد أمين في شأن المهدي(ع)

نقل الشيخ المفتري ابن محمود أقوال أحمد أمين ونسبها إلى نفسه دون حياء أو خجل وذكر ذلك في رسالته المتعلقة بالمهدي من غير أن يذكر اسم قائلها وبذا اقترف السرقة الأدبية بالإضافة إلى كذبه وافتراءاته ولا ندري ما سيقترفه من الجرائم بعد هذا.

---

(١) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ٢: ٤٥٤.

وكلام أحمد أمين الذي نسبه لنفسه هو: وقال أحمد أمين في كتاب ضحى الإسلام ج ٣: ٢٤١: وفكرة المهدي هذه لها أسباب سياسية واجتماعية ودينية، ففي نظري أنها نبعت من الشيعة وكانوا هم البادئين باختراعها وذلك بعد خروج الخلافة من أيديهم.

وقال في ج ٣: ٢٤٣: واستغل هؤلاء القادة المهرة أفكار الجمهور الساذجة المتحمسة للدين والدعوة الإسلامية فأتوهم من هذه الناحية الطاهرة، ووضعوا الأحاديث يروونها عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك، وأحكموا أسانيدها من طرق مختلفة فصدقها الجمهور الطيب لبساطته، وسكت رجال الشيعة لأنها في مصلحتهم.

وقال في نفس الصفحة أيضاً: حديث المهدي هذا حديث خرافة وقد ترتب عليه نتائج خطيرة في حياة المسلمين.

وقال في ص ٢٤٤: فامتلأت عقول الناس بأحاديث تروى وقصص تقص ونشأ باب كبير في كتب المسلمين اسمه الملاحم فيه أخبار الوقائع من كل لون فأخبار العرب والروم، وأخبار في قتال الترك... إلخ.

فرد الأستاذ الشيخ عبد المحسن العباد على السارق والمسروق منه بقوله: إن التابع نقل كلام المتبوع بنصه ونسبه إلى نفسه دون نسبته إلى قائله، وإن كان مثل هذا الكلام يعتبر في الحقيقة منقصة لمن ينسب إليه، ثم إن الشيخ ابن محمود يعيب جمهور الأئمة سلفاً وخلفاً أنهم يقلد بعضهم بعضاً والمقلد لا يعد من أهل العلم (في ص ٥ و٨ من رسالته)، وفي نفس الوقت يرضى لنفسه أن يقلد مثل أحمد

أمين ومحمد فريد وجدي ممن هم أجانب عن علم الحديث الشريف، فإذا كان من يقلد أهل الاختصاص مثل الترمذي والعقيلي والذهبي وابن تيمية وابن القيم وابن حجر العسقلاني وغيرهم لا يعد من أهل العلم فبم يوصف من يكون قدوته من هو أجنبي عن العلم الشرعي مثل محمد فريد وجدي وأحمد أمين؟

ومن جعل الغراب له دليلا   يمر به على جيف الكلاب(١)

مناقشة كلام أحمد أمين وتفنيد افتراءاته

ثم قال الشيخ عبد المحسن العباد بعد أن استعرض أقوال أحمد أمين: ثم إني أناقش هذا الكلام الذي اشترك في حمل وزره الأستاذ أحمد أمين والشيخ ابن محمود فأقول:

أولاً: ما قاله التابع والمتبوع من أن فكرة المهدي نبعت من عقائد الشيعة وكانوا هم البادئين باختراعها وأنهم استغلوا أفكار الجمهور الساذجة وتحمسهم للدين والدعوة الإسلامية فأتوهم من هذه الناحية الطيبة الطاهرة، ووضعوا الأحاديث يروونها عن الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك، وأحكموا أسانيدها وأذاعوها عن طرق مختلفة وصدقها الجمهور الطيب لبساطته...

هذا القول الذي قالاه يشتمل على تنقص سلف هذه الأمة أوعية السنة ونقلة الآثار، والنيل منهم، ووصف أفكارهم بالسذاجة، وأنهم يصدقون بالموضوعات لبساطتهم، ولا شك أنه كلام في غاية

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٥٨ ـ ٤٥٩.

الخطورة؛ لأن القدح بالناقل قدح بالمنقول ـ وهو الرسول ﷺ ـ وفي مقابل هذا الكلام الذي هو من أسوأ الكلام أنقل فيما يلي كلاماً لأبي بكر الخطيب البغدادي رحمه الله في أهل الحديث هو من أحسن الكلام... ثم نقل كلام البغدادي وقال: هذا ما قاله الخطيب البغدادي رحمه الله في أهل الحديث. وبعد أن يتفق ابن محمود مع أحمد أمين في هذا الكلام ينفرد الشيخ ابن محمود بلمز لأهل الحديث فيقول في ص ٢٣ من رسالته: لكن العلماء المتقدمين يغلب عليهم حسن الظن بمن يحدثهم ويستبعدون تعمد الكذب على رسول الله ﷺ من مؤمن بالله، ولهذا أكثروا من أحاديث المهدي المتنوعة والمتضاربة والمختلفة حتى بلغت خمسين حديثاً في قول الشوكاني كما نقله عنه السفاريني في (لوامع الأنوار) وأورد ابن كثير في (نهايته) الكثير منها وسأتكلم حول هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

ثانياً: قول أحمد أمين: فامتلأت عقول الناس بأحاديث تروى وقصص تقص ونشأ باب كبير في كتب المسلمين اسمه الملاحم فيه أخبار الوقائع من كل لون، فأخبار العرب والروم، وأخبار في قتال الترك... إلخ.

هذا القول فيه زيادة في الهلكة لما فيه من استنكار هذا الباب الذي اشتملت عليه دواوين السنة النبوية وهو باب الملاحم وما يندرج تحته من أحاديث عن أخبار بمغيبات وكثير من أحاديث هذا الباب موجودة في الصحيحين وفي غيرهما.

ثالثاً: ما قالاه من أن نظرية المهدي نظرية لا تتفق وسنّة الله في خلقه، ولا تتفق والعقل الصحيح، يجاب عنه بأن مثل ذلك لا يصلح أن يطلق عليه نظرية؛ لأنه من الأمور الغيبية التي هي ليست محلاً للرأي والنظر، وإنما يتوقف قبول ذلك على صحة الحديث به عن رسول الله ﷺ وقد صحت الأحاديث بخروج المهدي في آخر الزمان والعقل السليم لا يختلف مع النقل الصحيح بل يتفق معه إذ إن العقل تابع للنقل وهو معه كالعامي المقلد مع العالم المجتهد كما قال ذلك بعض العلماء، وخروج المهدي في آخر الزمان متفق مع سنة الله في خلقه فإن سنة الله تعالى أن الحق في صراع دائماً مع الباطل والله تعالى يهيئ لهذا الدين في كل زمان من يقوم بنصرته ولا تخلو الأرض في أي وقت من قائم لله بحجّته، والمهدي فرد من أمة محمد ﷺ ينصر الله به دينه في الزمن الذي يخرج فيه الدجال وينزل فيه عيسى بن مريم عليه السلام من السماء كما صحت الأخبار بذلك عن الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ[1].

هل إن خروج المهدي والاعتقاد به بدعة؟

وصف الشيخ ابن محمود القول بصحة خروج المهدي بأنه اعتقاد سيء وأنه بدعة، وأنه من محدثات الأمور، فقال في ص ١٢: وكنت في بداية نشأتي أعتقد اعتقاد شيخ الإسلام حيث تأثرت بقوله ـ يعني في صحة خروج المهدي ـ حتى بلغت سن الأربعين من العمر، وبعد أن

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٥٩ ـ ٤٦٠.

توسعت في العلوم والفنون ومعرفة أحاديث المصري وعللها وتعارضها واختلافها فبعد ذلك زال عني الاعتقاد السيء والحمد لله، وعرفت تمام المعرفة بأنه لا مهدي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد كتاب الله.

وقال في ص ١٩: ومنهم يعني الذين ردوا الأحاديث الواردة في المهدي ـ الإمام الشاطبي صاحب كتاب (الاعتصام) فقد ألحق المهدوية والإمامية بأهل البدع ويعني بالمهدوية الذين يعتنقون صحة خروج المهدي.

وقال في ص ٣٠: فبسبب مجاورتهم ـ يعني بعض أهل السنة والجماعة ـ للشيعة واختلاطهم بهم اقتبسوها منهم وإلا فإنها ليست من عقيدة أهل السنة.

وقال في ص ٣١: فهما ـ يعني الشيعة وأهل السنة الذين يصدقون بخروج المهدي ـ في فساد الاعتقاد به ـ يعني المهدي ـ سيان.

وقال في ص ٥٨: ودعوى المهدي في مبدئها ومنتهاها مبنية على الكذب الصريح، والاعتقاد السيء القبيح.

وقال في ص ٥٨ أيضاً: وقال صلى الله عليه وآله: إياكم ومحدثات الأمور، والمهدي واعتقاده هو من محدثات الأمور.

وأجابه الأستاذ عبد المحسن العباد على شبهاته بما يلي:

أولاً: جوابه أن اعتقاد خروج المهدي في آخر الزمان هو مذهب أهل السنة والجماعة قبل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعده، وسلوك ابن

محمود بعد تجاوزه سن الأربعين من العمر مسلكاً غير سبيلهم انتقال من اعتقاد مبني على التصديق بالنصوص الشرعية الصحيحة إلى اعتقاد سيء مبني على الشبهة العقلية الواهية وليس للشيخ ابن محمود في معتقده الجديد سلف من أهل العلم المعتد بهم. أما حمده الله على زوال الاعتقاد السيء عنه ـ على حد تعبيره ـ فإنه لا يحمد على مكروه سوى الله تعالى ولقد أحسن من قال:

يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى ما ليس بالحسن

ثانياً: ما نقله عن الشاطبي في الاعتصام من أنه ألحق المهدية بأهل البدع وأن في رأي الشاطبي هم الذين يعتقدون في صحة خروج المهدي جوابه: أن ما نسب إلى الشاطبي غير صحيح ومقصود الشاطبي بالمهدية أتباع المتمهدي المغربي وقد فسر مراده بالمهدية بأنهم الذين يجعلون أفعال مهديهم حجة وافقت حكم الشريعة أو خالفت وسبق إيضاح ذلك في رقم ١٢.

ثالثاً: ما ذكره من أن عقيدة أهل السنة في المهدي مقتبسة من عقيدة الشيعة وأن الشيعة وأهل السنة في فساد الاعتقاد بالمهدي سيان. جوابه أن عقيدة أهل السنة في المهدي مستقاة من الأحاديث الصحيحة في الأصول المعتمدة عندهم ولا علاقة لها بعقيدة الشيعة. . .

رابعاً: قوله ودعوى المهدي في مبدئها ومنتهاها مبنية على الكذب الصريح والاعتقاد السيء القبيح، جوابه: أن عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدي مبنية على نصوص صحيحة قال بصحتها أهل العلم المعتد بهم.

خامساً: قوله: والمهدي واعتقاده من محدثات الأمور، جوابه أن ذلك يقال: لو كان القول بخروجه آخر الزمان ليس فيه حديث صحيح عن رسول الله ﷺ أما وقد صحت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ فإن القول بأنه من محدثات الأمور يُعتبر من الزعم الباطل والقول الخاطئ، وأما الذي يعتبر من محدثات الأمور أن يأتي بعض الكتاب في القرن الرابع عشر فيسلكون مسلكاً خطيراً حادثاً هو رد النصوص الشرعية بناء على شبه عقلية فيرخون لعقولهم العنان ثم يتركونها بدون خطام أو زمام[١].

نقض إجماع المنكرين لخروج الإمام المهدي(ع)

والحاصل أن الثمانية الذين سماهم الشيخ ابن محمود في رسالته من المتقدمين والمتأخرين خرج منهم ابن القيم والشاطبي حتماً فلم يقولا بضعف أحاديث المهدي كما يزعم الشيخ ابن محمود، وخرج ابن خلدون أيضاً فإنه لم يقل بضعفها كلها فضلاً عن القول بأنها موضوعة، وخرج الشيخ ابن مانع والشيخ أبو الأعلى المودودي وبقي مع الشيخ ابن محمود من المتأخرين الذين سماهم الشيخ محمد رشيد رضا ومحمد فريد وجدي، ومن المحتمل أن يكون البلاغي ثالثاً لهم، ومع الشيخ ابن محمود أيضاً اثنان من كتاب القرن الرابع عشر قلدهم الشيخ ابن محمود ولم يسمهم في رسالته أحدهما الأستاذ أحمد أمين وقد مر ذكره والثاني محمد فهيم أبو عيبة..

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

وهؤلاء الذين بقوا مع الشيخ ابن محمود أو بقي معهم هم الذين كاد ينعقد إجماعهم على أن أحاديث المهدي مصنوعة موضوعة إذ قال الشيخ ابن محمود في ص ٣٦ من رسالته: وقد كاد أن ينعقد الإجماع من العلماء المتأخرين من أهل الأمصار في تضعيف أحاديث المهدي وكونها مصنوعة وموضوعة على لسان رسول الله ﷺ بدليل التعارض والتناقض والمخالفات والإشكالات مما يجعل الأمر جلياً للعيان ولا يخفى إلا على ضعفة الأفهام والله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

فإن هذا الإجماع المزعوم اعتمده الشيخ محمد رشيد رضا ومحمد فهيم وجدي والبلاغي وأحمد أمين وأبو عيبة والشيخ ابن محمود ونتيجته في كلام الشيخ ابن محمود: أن أحاديث المهدي مصنوعة موضوعة بدليل تعارضها وتناقضها. مما يجعل الأمر جلياً للعيان ولا يخفى إلا على ضعفة الأفهام، والوصف بضعف الفهم لم يسلم منه إلا أولئك الذين كاد أن ينعقد إجماعهم ومن لف لفهم والله المستعان. ثم إن هؤلاء الذين كادوا أن يجمعوا هم أهل العلم والدين في قول الشيخ ابن محمود في ص ٥٧ وأرجو بهذا البيان أن تستريح نفوس الجائرين ويعرفوا رأي أهل العلم والدين في هذه المشكلة التي تثار بين آن وآخر. وهم أهل الكيفية في قول الشيخ ابن محمود، فهذه الأحاديث هي التي أخذت بمجامع قلوب الأكثرين من علماء أهل السنة على حد ما قيل. والقوة للكاثر على أن الكمية لا تغني عن الكيفية شيئاً وأكثر الناس مقلدة يقلد بعضهم وقليل منهم المحققون.

وإيضاحاً للحق ودفعاً للباطل أقول: إن علماء أهل السنة المعتد بهم في القديم والحديث مصدقون بالأحاديث الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله الدالة على خروج المهدي في آخر الزمان ولا ينكرها إلا شاذ عنهم، وسبق أن أشرت في مواضع من هذا البحث إلى تسمية بعض علماء السنة الذين احتجوا بأحاديث المهدي وقالوا بثبوت خروجه آخر الزمان وقد يكون من المناسب هنا تسمية عدد من هؤلاء العلماء ليتضح أن علماء أهل السنة المتبعين للنصوص الذين لا يعارضونها بالشبه العقلية كما أنهم أهل الكمية فهم أهل الكيفية، وإن الذين شذوا عنهم ليسوا ذوي كمية ولا كيفية وليس ذلك للمقارنة والموازنة معاذ الله[1]. ثم ذكر الأستاذ عبد المحسن ٢٢ عالماً من مشاهير علماء أهل السنة ممن احتجوا بأحاديث الإمام المهدي عليه السلام بالإضافة إلى من تقدم ذكرهم[2].

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٩٢ ـ ٤٩٣.

(٢) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤١٠.

نتائج الفصل الأول والثاني
وخلاصة مضامينهما

تناول الفصل الأول الأدلة الروائية والقرآنية وإجماع علماء المسلمين قاطبة ما عدا نفر قليل شذ عنهم على إثبات حتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام وتواتر الأحاديث المتعلقة به مع نقض جميع الشبهات والشكوك المثارة حولها.

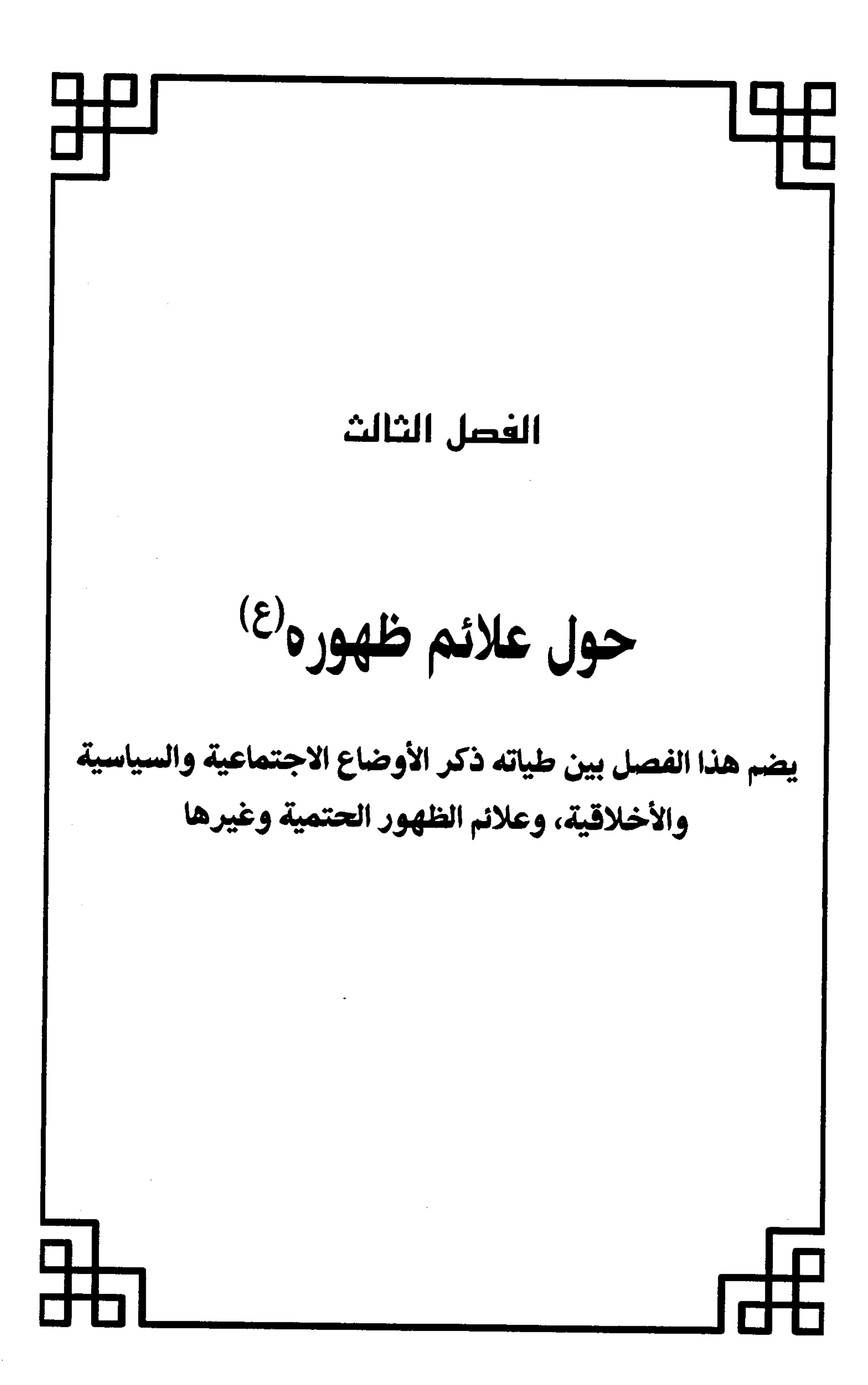
وكانت نتائج هذا الفصل كالآتي:

أولاً: ثبوت أدلة الكتاب والسنة والإجماع أكدت حتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام في آخر الزمان بشكل لا ريب فيه، وأنه سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً..

ثانياً: نقض جميع حجج المنكرين لظهوره عليه السلام بالتفصيل بأدلة علمية، وتفنيد أكاذيبهم واتهاماتهم الملفقة ضد مشاهير علماء أهل السنة والجماعة الذين دونوا أحاديث الإمام المهدي عليه السلام في مسانددهم بعد التأكد من صحة صدورها عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وسلامة أسانيدها وثبوت تواترها المعنوي واللفظي والإيمان بمقتضاها.

ثالثاً: ثبت بشكل قطعي أن أحاديث المهدي عليه السلام وحتمية ظهوره عليه السلام حقيقة ثابتة مستمدة من الأدلة القطعية وليست هي بدعة ابتدعها الشيعة الإمامية كما زعم المنكرون من وعاظ السلاطين، الذين حاولوا بكل صلافة وعناد أن ينقضوا أدلة الكتاب والسنة وإجماع علماء المسلمين بشبه عقلية وأدلة وهمية نسجتها عقول الجهلة والشذاذ بدوافع طائفية حاقدة تهدف إلى إفساد عقائد المسلمين وتفريق صفهم، وتثبيت الحكومات الرجعية الجائرة، وضمان مصالح المستكبرين، وتحقيق مآرب أعداء الإسلام ومكائدهم الشيطانية الخبيثة.

وكانت نتائج الفصل الثاني تفنيد شبهات المنكرين لخروج الإمام المهدي ونقض إجماعهم وبذا ثبتت أدلة الفصل الأول وبقي الإجماع بدون معارض يذكر.



الفصل الثالث

حول علائم ظهوره(ع)

يضم هذا الفصل بين طياته ذكر الأوضاع الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، وعلائم الظهور الحتمية وغيرها

الفساد العقائدي وارتداد الناس

تسبق علائم الظهور الحتمية فتن وابتلاءات تغمر المسلمين فتضعضع إيمانهم وتفسد أخلاقهم، وتسلب استقرارهم، وتجفف عواطفهم، وتمسخ إرادتهم، وتذهب عقولهم، فتصبح الدنيا أكبر همهم، والدين بضاعة تباع بأبخس الأثمان، وترى الكثير من الناس يصبحون مؤمنين ويسمون كافرين ويرتد الكثير منهم يهوداً ونصارى، عند ذلك تكون الموازين مقلوبة، فالمنكر معروف والمعروف منكراً، ويعير المؤمن بإيمانه كما تعير الزانية بزناها، ويعق الولد والديه ويقرب صديقه، ولا يعطف الكبير على الصغير، ولا يوقر الصغير الكبير، وتنعدم القيم الإسلامية والإنسانية، وتسود القوانين الوضعية المنحطة، ويضعف الإيمان حتى يصل إلى أدنى حد بحيث يبيع المسلم دينه بعرض الدنيا، فيقرأ القرآن ويتفقه بالدين لغير الله، فعندها تكثر الفتن والابتلاءات وتشدّد المحن والمآسي، ويشيع القتل وسفك الدم في كل مكان فعندها يمر المؤمن على قبر أخيه فيتمنى أن يكون هو الملحود مكانه..

وفيما يلي نذكر بعض تلك الأخبار التي تشير لذلك:

عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تكون فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً، تأتيكم كوجوه البقر لا تدرون أيها من أي[١].

عن عروة بن الزبير، عن كرز بن علقمة الخزاعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسأله رجل: هل للإسلام من منتهى؟ قال: نعم، أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيراً أدخل عليهم في الإسلام، قالم: ثم مه؟ قال: ثم تكون فتن كأنها الظلل، فقال الرجل: كلا والله إن شاء الله يا رسول الله، فقال رسول الله: بلى والذي نفسي بيده، ثم لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض[٢]. قال الزهري: الأسود الحية إذا نهشت نزت، ثم ترفع رأسها ثم تنصب.

- عن أبي موسى الأشعري (رض) عنه قال: إن بعدكم فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً[٣].

- عن عبد الله بن مسعود (رض) عنه صلى الله عليه وآله قال: هذه فتن قد أظلمت كقطع الليل كلما ذهب منها رسل بدا رسل آخر، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع فيها أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل[٤].

---

(١) الفتن: ١٢.

(٢) الفتن: ١٣، أخرجه أحمد في مسنده ٣: ٤٧٧، والحاكم في المستدرك ٤: ٤٥٤، والحميدي: ٥٧٤، والطبراني ١٩: ١٩٨، وأبو نعيم في الدلائل: ٤٧٩، والبغوي ١٥: ٢٩ وغيرهم.

(٣) الفتن: ١٤، أخرجه أبو داود (٤٣٦٣ ـ بتحقيقي) وأحمد ٤: ٤٠٨، والحاكم ٤: ٤٤٠.

(٤) الفتن: ١٤، إسناده حسن.

ـ عن أبي موسى الأشعري (رض) عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن بين يدي الساعة لهرجاً، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل والكذب، قالوا: يا رسول الله قتل أكثر مما يقتل الآن من الكفار؟ قال: إنه ليس يقتلكم الكفار، ولكن يقتل الرجل جده وأخاه وابن عمه[١].

ـ وعن عمرو بن العاص (رض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستكون فتن في أمتي حتى يفارق الرجل فيها أباه وأخاه، حتى يعير الرجل ببلائه كما تعير الزانية بزناها[٢]. وفي خبر آخر يعير المؤمن بإيمانه، كما يعير اليوم الفاجر بفجوره حتى يقال للرجل: إنك مؤمن فقيه[٣].

ـ عن المرحوم العطار، عن أبي عمران الجوني، عن أبي الجلد جيلان قال: ليصيبن أهل الإسلام البلاء والناس حولهم يرتعون، حتى إن المسلم ليرجع يهودياً أو نصرانياً من الجهد[٤].

ـ عن النعمان بن بشير (رض) عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن بين يدي الساعة فتناً كأنها قطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع قوم فيها أخلاقهم بعرض من الدنيا يسير، أو بعرض من الدنيا، قال الحسن:

---

(١) الفتن: ١٣، أخرجه أبو يعلى (٧٢٥٥)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة (٢١).
(٢) الفتن: ١٦.
(٣) الفتن: ٢٣.
(٤) الفتن: ٢١.

فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيتهم صوراً ولا عقول، وأجساماً ولا أحلام، فراش نار، وذبان طمع، يغدون بدرهمين ويروحون بدرهمين، يبيع أحدهم دينه بثمن عنز[١].

- عن حذيفة بن اليمان (رض) عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تكون فتنة تعرج فيها عقول الرجال حتى ما تكاد ترى رجلاً عاقلاً، وذكر ذلك في الفتنة الثالثة[٢].

- عن ابن عمر (رض) عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل على القبر فيقول: لوددت أني مكان صاحبه، لما يلقى الناس من الفتن[٣]. ونحوه جملة من الأخبار مع اختلاف يسير.

وجاء في كتاب إلزام الناصب عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: - في جواب سؤال سلمان عن علائم الظهور -: إذا قلّت علماؤكم، وذهبت قراؤكم، وقطعتم زكاتكم، وأظهرتم منكراتكم، وعلت أصواتكم في مساجدكم وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم، والعلم تحت أقدامكم والكذب حديثكم والغيبة فاكهتكم، والحرام غنيمتكم، ولا يرحم كبيركم صغيركم ولا يوقر صغيركم كبيركم فعند ذلك تنزل اللعنة عليكم...[٤].

---

(١) الفتن: ٢٤ ـ ٢٥، أخرجه أحمد: ٢٧٣، وأبو نعيم في الحلية ١٠: ١٧٠، والحاكم ٣: ٥٣١، وأبو عمرو الداني: ٥٠ دون قول الحسن.
(٢) الفتن: ٣٦.
(٣) الفتن: ٤٣، أخرجه البخاري ٩: ٧٣، ومسلم في كتاب الفتن: ٥٣.
(٤) الزام الناصب ٢: ١٣٦.

وفي حديث (فيه) عن غيبة الطوسي، عن بنت الحسين بن علي عليه السلام تقول: لا يكون هذا الأمر الذي تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضاً، ويتفل بعضكم في وجه بعض، وحتى يشهد بعضكم بالكفر على بعض...[١].

ـ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إن من أشراط الساعة: إضاعة الصلاة، واتباع الشهوات، والميل مع الأهواء، وتعظيم المال وبيع الدين بالدنيا فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره...[٢].

وفي حديث آخر قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ... ورأيت الرجل ينفق الكثير في غير طاعة الله، ويمنع اليسير في طاعة الله، ورأيت العقوق قد ظهر واستخف بالوالدين وكانا من أسوأ الناس حالاً عند الولد، ويفرح بأن يفترى عليهما... إلى أن قال: ورأيت الناس قد استووا في ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وترك التدين به، ورأيت رياح المنافقين وأهل النفاق قائمة ورياح أهل الحق لا تحرك، ورأيت الأذان بالأجر، والصلاة...[٣].

ويستمر هذا التداعي: الديني والعقائدي حتى يصبح المؤمن أعز من الكبريت الأحمر ويعود الإسلام غريباً كما بدأ غريباً وهذا ما أشار له الحديث الآتي:

---

(١) عن غيبة الطوسي في إلزام الناصب ٢: ١٣٥.
(٢) الزام الناصب ٢: ١٣٨.
(٣) الزام الناصب ٢: ١٤٥.

ـ عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء. وعن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله نحوه[(١)].

وقال صاحب كتاب الإمام المهدي عليه السلام وظهوره في بيان كلمة الغريب: أي أنه كان في أول الأمر كالغريب والوحيد الذي لا أهل له لقلة المسلمين يومئذٍ وسيعود غريباً كما كان أي يقل المسلمون في آخر الزمان فيصيرون كالغرباء، فطوبى للغرباء أي الجنة لأولئك المسلمين الذين كانوا في أول الإسلام ويكونون في آخره وإنما خصّهم بها لصبرهم على أذى الكفار أولاً وآخراً ولزومهم دين الإسلام[(٢)].

وهذا ما أشار له الرسول صلى الله عليه وآله في حديث له فقال: والذي بعثني بالحق بشيراً إن الثابتين على القول بإمامته [به] في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر[(٣)].

انقلاب الموازين والقيم الأخلاقية والاجتماعية

تغمر العالم الإسلامي قبل ظهور علائم الظهور موجة من الانحطاط الأخلاقية وانتشار المفاسد في كل ربوعه، فيتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وترى النساء كاسيات عاريات وفي الفتن داخلات، ومن الدين خارجات وعندها يكتفي الرجال بالرجال والنساء

---

(١) البحار ٥٢: ١٩١، الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢٠٨.
(٢) الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢٠٨.
(٣) الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

بالنساء ويغار على الصبيان كما يغار على النساء وتشاع المنكرات والفجور، وتنقلب موازين القيم والأعراف الاجتماعية، وتسود القيم الجاهلية فيصبح الوضيع رفيعاً والرفيع وضيعاً، والفاسق رئيس قبيلته، ويحترم الرجل مخافة شروره، ويحتقر الفاضل والعالم ويكون زعيم القوم أرذلهم وكذا تتداعى الأخلاق والقيم حتى تمتلئ الدنيا بالفسق والفجور وبالقسوة والجفاء، وبالبغض والعداء، ويصل المجتمع المسلم إلى درجة من الفساد بحيث لا يمكن إصلاحه إلا بمجيء المصلح العالمي ومنقذ البشرية من متاهات الكفر والضلال الحجة ابن العسكري أرواحنا لتراب مقدمه الفداء..

ولأجل إثبات المطالب السالفة الذكر لا بد من ذكر بعض الروايات الدالة عليها.

ـ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا اتخذ الفيء دولاً[1] والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، وزلزلة وخسوفاً ومسخاً، وقذفاً، وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع[2].

---

(١) دول: جمع دولة أي غلبة من المداولة والمناولة...

(٢) المام المهدي عند أهل السنة ١: ٢٦٥.

ورواه الترمذي.

- في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في جواب سؤال سلمان: أي والذي نفسي بيده يا سلمان إن عندها يؤتى بشيء من المشرق ويؤتى بشيء من المغرب يلون أمتي فالويل لضعفاء أمتي والويل لهم من الله، لا يرحمون صغيراً، ولا يوقرون كبيراً، ولا يتجاوزون عن مسيء خيارهم حثاً وقلوبهم قلوب الشياطين، قال سلمان: وإن هذا الكائن يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أي والذي نفسي بيده يا سلمان وعندها تكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، ويشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، ويركبن ذوات الفروج السروج... وقال صلى الله عليه وآله: أي والذي نفسي بيده يا سلمان إن عندها تزخرف البيع والكنائس وتحلى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة والسن مختلفة... وقال: وعندها يتحلى ذكور أمتي بالذهب ويكيسون الحرير والديباج ويتخذون جلود النمور صفوفاً... وقال صلى الله عليه وآله: أي والذي نفسي بيده وعندها يظهر الربا ويعاملون بالغيبة والرشا، ويوضع الدين وترفع الدنيا... وقال: وعندها تظهر القينات والمعازف ويليهم أشرار أمتي... وقال صلى الله عليه وآله: وعندها يحج أغنياء أمتي للنزهة، ويحج أوساطها للتجارة، ويحج فقراؤهم للرياء والسمعة، وعندها يكون أقوامٌ يتفقهون لغير الله، وتكثر أولاد الزنا، ويتغنون بالقرآن، ويتهافتون بالدنيا...[١].

---

(١) إلزام الناصب ٢: ١٣٩ ـ ١٤٠.

وفي روضة الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث له قال: ورأيت الصغير يستحقر بالكبير، ورأيت الأرحام قد تقطعت، ورأيت من يمتدح بالفسق يضحك منه ولا يرد عليه قوله ورأيت الغلام يعطى ما تعطى المرأة، ورأيت النساء يتزوجن بالنساء، ورأيت الثنا قد كثر... إلى أن قال: ورأيت الجار يؤذي جاره، وليس له مانع... ورأيت الخمور تشرب علانية ويجتمع عليها من لا يخاف الله عزّ وجلّ، ورأيت الأمر بالمعروف ذليلاً، ورأيت الفاسق فيها لا يحب الله قوياً محموداً، ورأيت صاحبي الآثار يحتقرون ويحتقر من يحبهم... ورأيت الرجال يتسمنون للرجال والنساء للنساء، ورأيت الرجل معيشته من دبره، ومعيشة المرأة من فرجها... ورأيت المرأة تصانع زوجها على نكاح الرجال، ورأيت أكثر الناس وخير بيت من يساعد النساء على فسقهن... ورأيت المرأة تقهر زوجها وتعمل ما لا يشتهي وتنفق على زوجها، ورأيت الرجل يكري امرأته وجاريته ويرضى بالدني من الطعام والشراب... ورأيت القمار قد ظهر ورأيت الشراب يباع ظاهراً ليس له مانع، ورأيت النساء يبذلن أنفسهن لأهل الكفر، ورأيت الملاهي يمر بها لا يمنعها أحد أحداً... إلى أن قال الصادق عليه السلام: ورأيت أعلام الحق قد درست فكن على حذر واطلب من الله عزّ وجلّ النجاة واعلم أن الناس في سخط الله عزّ وجلّ وإنما يمهلهم لأمر يراد بهم فكن مترقباً...[1].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

(١) إلزام الناصب ٢: ١٤٠ ـ ١٤٦، روضة الكافي: ٣١ ـ ٣٦.

وأطاع الرجل زوجته وجفا جواره، وقطع رحمه، وذهبت رحمة الأكابر، وقل حياء الأصاغر، وشيدوا البنيان وظلموا العبيد والإماء، وشهدوا بالهوى وحكموا بالجور، وسب الرجل أباه، وحسد الرجل أخاه، ويعامل الشركاء بالخيانة، وقل الوفاء، وشاع الزنا وتزين الرجال بثياب النساء وسلب منهن قناع الحياء، ودب الكبر في القلوب كدبيب السم في الأبدان، وقل المعروف، وظهرت الجرائم، وهونت العظائم وطلبوا المدح بالمال، وأنفق المال للغناء، وشغلوا بالدنيا عن الآخرة، وقل الورع وكثر الطمع والهرج والمرج، وأصبح المؤمن ذليلاً، والمنافق عزيزاً، مساجدهم معمورة بالأذان، وقلوبهم خالية من الإيمان، واستخفوا بالقرآن، بلغ المؤمن عنهم كل هوان، فعند ذلك ترى وجوههم وجوه الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، كلامهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الحنظل، فهم ذئاب وعليهم ثياب، ما من يوم إلا يقول الله تعالى: أفبي تفترون، أم علي تجترون أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وإنكم إلينا لا ترجعون؟ فوعزتي وجلالي لولا من يعبدني مخلصاً ما أمهلت من يعصيني طرفة عين ولولا ورع الورعين من عبادي لما أنزلت من السماء قطرة، ولا أنبت ورقة خضراء، فواعجباه لقوم آلهتهم أموالهم وطالت آمالهم، وقصرت آجالهم وهم يطمعون في مجاورة مولاهم، ولا يصلون إلى ذلك إلا بالعمل، ولا يتم العمل إلا بالعقل[1].

وفي كتاب (الفصول المهمة) عندما سئل الرسول صلى الله عليه وآله: فمتى

---

(١) إلزام الناصب ٢: ١٣٦ ـ ١٣٧ عن البحار ٥٢.

يخرج قائمكم؟ قال: إذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وركبت ذوات الفروج السروج، وأمات الناس الصلوات، واتبعوا الشهوات، وأكلوا الربا واستخفوا بالدماء، وتعاملوا بالربا، وتظاهروا بالزنا، وشيدوا البناء واستحلوا الكذب، وأخذوا الرشا، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، وقطعوا الأرحام ومنوا بالطعام، وكان الحلم ضعيفاً، والظلم فخراً... إلى أن قال: وشربت الخمور وركبت الذكور الذكور، واشتغلت النساء بالنساء واتخذ الفتى مغنماً، والصدقة مغرماً، واتقي الأشرار مخافة ألسنتهم...[1].

ـ وفي الروضة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ... ورأيت السكران يصلي بالناس وهو لا يعقل ويشان بالسكر، وإذا سكر أكرم واتقي وخيف وترك لا يعاقب ولا يعزر بسكره، ورأيت من أكل أموال اليتامى يحمد بصلاحه...[2].

وفي مكان آخر قال: ورأيت الرجل معيشته من بخس المكيال والميزان ورأيت سفك الدماء يستخف بها، ورأيت الرجل يطلب الرياسة بغرض الدنيا ويشهر نفسه بخبث اللسان ليتقى ويسند إليه الأمور ورأيت الصلاة قد استخف، ورأيت الرجل عنده المال الكثير ولم يزكه منذ ملكه، ورأيت الميت ينشر من قبره ويودي وتباع أكفانه، ورأيت الهرج قد كثر، ورأيت الرجل يمسي نشوان ويصبح سكران، لا يهتم بما الناس فيه، ورأيت البهائم تنكح، ورأيت البهائم

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٤٨ عن الفصول المهمة.
(٢) روضة الكافي: ٣٥، إلزام الناصب ٢: ١٤٥.

تفترس بعضها بعضاً، ورأيت الرجل يخرج من مصلاه ويرجع وليس عليه من ثيابه، ورأيت قلوب الناس قد قست وجمدت أعينهم وثقل الذكر عليهم... ورأيت الناس مع من غلب، ورأيت طالب الحلال يذم ويعير...»[١].

الفساد السياسي والإداري وشيوع الظلم والجور

أشار رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام إلى شدة الظلم والجور الذي يمارسه حكام المسلمين بحيث لا يجد المسلم ملجأ يلجأ إليه فراراً من ظلمهم وجورهم قبل ظهور القائم عليه السلام.

ومن ثم يذكرون أوصافهم بدقة متناهية فهم الفجرة الفسقة الذين لا يحكمون بما أنزل الله ويعطلون حدوده، ويتبعون الهوى ويفشون الرشا، ويتخذون عباد الله خولاً، وماله دولاً، ويتسمون بالغلظة والجفاء، فلا يحترمون كبيراً ولا يعطفون على صغير، منغمرون بالشهوات والملذات، تاركون مقاليد الأمور بيد أعوانهم الفجرة، ووزرائهم الكذبة ليسلبوا أموالهم ويهتكوا أعراضهم، ويستبيحوا حرماتهم، ويستهينوا بمقدساتهم فيذلوا المؤمنين ويعزوا المنافقين، ويعطلوا القوانين ويتخذوا من الجور والاستبداد أسلوباً للقمع والتحكم بالناس وكتم الأصوات وسلب الحريات ونشر الضلال والفساد على أوسع نطاق. ونحن مهما بالغنا في وصف أولئك الفجرة الظلمة لا نستطيع أن نصف عشر معشار ما انطوت عليه نفوسهم من السمات

---

(١) روضة الكافي: ٣٤، إلزام الناصب ٢: ١٤٤.

الخبيثة، وما اقترفته أيديهم من الجرائم، لذا نترك المجال للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام ليحدثونا عن سماتهم وخصائصهم كما هي.

ـ وعن الحافظ أبي عبد الله الحاكم في مستدركه على البخاري ومسلم (رضي الله عنهما) عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع ببلاء أشد منه حتى تضيق عليهم الأرض الرحبة حتى تملأ الأرض جوراً وظلماً لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم فيبعث الله عزّ وجلّ رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، الحديث[1].

ـ وعن الحافظ أبي نعيم في مناقب المهدي، والحافظ أبي القاسم الطبراني في معجمه، والإمام أبي محمد الحسين في كتاب المصابيح، عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً الحديث[2].

ـ عن عبد الله بن عمرو قال: تكون بالشام فتنة ترتفع فيها رياسهم وأشرافهم، ثم لا يأتي عليها إلا قليل حتى يرتفع فيها

(١) عقد الدرر الفصل الأول الباب الرابع: ٤٣، وانظر الإمام المهدي وظهوره: ٢٠٧.
(٢) عقد الدرر: ٦٠، الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢٠٨.

سفهاؤهم وسفلتهم حتى يستعبدوا رياسهم كما كانوا يستعبدونهم قبل ذلك[١].

ـ عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال: لا تقوم الساعة حتى يقوم على الناس من لا يزن قرن شعيرة يوم القيامة[٢].

ـ عن كثير بن مرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أشراط الساعة أن يملك من ليس أهل أن يملك، ويرفع الوضيع ويوضع الرفيع[٣].

ـ وعن الفصول المهمة في كتاب المهدي عند أهل السنة عن أبي جعفر عليه السلام قال في وصف حكام المسلمين ما قبل قيام القائم: . . . وكان الحلم ضعفاً، والأمراء فجرة، والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والأعوان ظلمة. . .[٤].

ـ عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: . . . وذهبت رحمة الأكابر، وقل حياء الأصاغر، وشيدوا البيان وظلموا العبيد والإماء، وشهدوا بالهوى وحكموا بالجور. . . ترى وجوههم وجوه الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، كلامهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الحنظل فهم ذئاب وعليهم ثياب[٥].

---

(١) الفتن: ١٦٠.
(٢) الفتن: ١٦٢.
(٣) الفتن: ١٦٣.
(٤) المهدي عند أهل السنة ١: ٣٤٨.
(٥) إلزام الناصب ٢: ١٣٧.

ـ عن عبد الله بن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: عندها يليهم أمراء جورة، ووزراء فسقة وعرفاء ظلمة وأمناء خونة... وقال: فعندها إمارة النساء ومشاورة الإماء وقعود الصبيان على المنابر... إلى أن قال: فعندها يليهم أقوام إن تكلموا قتلوهم، وإن سكتوا استباحوهم ليستأثروا نفسهم، وليطأوا حرمتهم، ولتسفكن دماؤهم، وتملأن قلوبهم رعباً فلا تراهم إلا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين...[1].

ـ وفي روضة الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ورأيت الولاية قبالة لمن زادوا ورأيت ذوات الأرحام ينكحن ويكتفى بهن ورأيت الرجل يقتل على التهمة وعلى الظنة... إلى أن قال: ورأيت الولاة يقربون أهل الكفر، ويباعدون أهل الخير، ورأيت الولاة يرتشون... ورأيت الشريف يستند له الذي يخاف سلطانه، ورأيت أقرب الناس من الولاة من يمتدح بشتمنا أهل البيت، ورأيت من يحبنا يزور ولا تقبل شهادته، ورأيت الزور من القول يتنافس فيه...[2].

وقال أيضاً في نفس الخبر: ورأيت السلطان يحتكر الطعام.. ورأيت القضاة يقضون بخلاف ما أمر الله، ورأيت الولاة يأتمنون الخونة للطمع، ورأيت الميراث قد وضعته الولاة لأهل الفسوق والجرأة على الله يأخذون منهم ويخلونهم وما يشتهون...[3].

---

(١) إلزام الناصب ٢: ١٢٨ ـ ١٢٩، روضة الكافي: ٣٣.
(٢) إلزام الناصب ٢: ١٤٣، روضة الكافي: ٣٤.
(٣) إلزام الناصب ٢: ١٤٥، روضة الكافي: ٣٥ ـ ٣٦.

- وفي معاني الأخبار عن عقد الدرر عن أمير المؤمنين أنه قال: ... واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، واتبعوا الأهواء، واستخفوا بالدماء، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقراء فسقة، وظهرت شهادات الزور، واستعلن الفجور...[1].

تهافت العلماء على الدنيا وتفشي الجهل والرياء

من أهم الأسباب التي ساهمت في ازدياد الفساد الديني والأخلاقي هو فساد أكثرية علماء الدين المسؤولين عن توجيه الناس وإرشادهم وتبليغ أحكام الدين ونشر عقائده ومفاهيمه.

فإذا غلب عليهم حب الدنيا والجاه والسلطان وانغمروا في ملذات الحياة وشهواتها الحيوانية ابتعدوا عن الله بمقدار حبهم وتعلقهم بها وصار همهم الوحيد الحفاظ على مكاسبهم الدنيوية وإن أدى ذلك إلى فساد عقائدهم وأفكارهم وثقافتهم الإسلامية. وعندها ترى كثرة فقهاء السوء وازدياد عددهم وانتشارهم في كل مكان، وبذا يشتد خطرهم على الإسلام والمسلمين أكثر من أي خطر آخر، لأنهم يسعون إلى نسف المجتمع الإسلامي من الداخل من خلال إفساد عقائده وأخلاقياته ومفاهيمه الإسلامية السامية، وتحطم جميع روابطه وعلائقه الاجتماعية المستمدة من الإسلام ونوازعه الإنسانية وإبدالها بعلائق مادية دنيوية بحتة.

---

(١) إلزام الناصب ٢: ١٣٢.

ولكي يطلع القارئ على حال علماء آخر الزمان الذين يظهرون قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ندرج هنا بعض الأحاديث التي ترسم لهم صورة جلية واضحة تكشف عن خبث أنفسهم وفساد عقائدهم وانشدادهم الوثيق بالدنيا ومغرياتها وركوعهم على أعتاب سلاطين الجور والظلم والاستبداد.

وفي روضة الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ورأيت المصلي إنما يصلي ليراه الناس، ورأيت الفقيه يتفقه لغير الدين يطلب الدنيا والرياسة... ورأيت القضاة يقضون بخلاف ما أمر الله...[1].

وفي مكارم الأخلاق من جملة وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله لابن مسعود قوله: يا ابن مسعود يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه مثل القابض بكفه الجمرة، فإن كان في ذلك الزمان ذئباً وإلا أكلته الذئاب، يا ابن مسعود علماؤهم وفقهاؤهم خونة فجرة إلا أنهم أشرار خلق الله وكذلك أتباعهم ومن يأتيهم ويأخذ منهم ويحبهم ويجالسهم ويشاورهم أشرار خلق الله، يدخلهم نار جهنم صم بكم عمي فهم لا يرجعون ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصمّاً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها...

يا ابن مسعود يدعون أنهم على ديني وسنتي ومنهاجي وشريعتي إنهم مني براء وأنا منهم بريء.

---

(١) روضة الكافي: ٣٤، ٣٦.

يا ابن مسعود لا تجالسوهم في الملأ، ولا تبايعوهم في الأسواق ولا تهدوهم إلى الطريق ولا تسقوهم الماء، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾، يقول الله تعالى ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

يا ابن مسعود: وما أكثر ما تلقى أمتي منهم العداوة والبغضاء والجدال أولئك أذلاء هذه الأمة في دنياهم والذي بعثني بالحق ليخسفن الله بهم ويمسخهم قردة وخنازير، قال: فبكى رسول الله وبكينا لبكائه وقلنا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما يبكيك؟ فقال: رحمة للأشقياء يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني العلماء والفقهاء.

يا ابن مسعود: من تعلم العلم يريد به الدنيا وآثر عليه حب الدنيا وزينتها استوجب سخط الله عليه وكان في الدرك الأسفل من النار مع اليهود والنصارى الذين نبذوا كتاب الله تعالى قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

يا ابن مسعود من تعلم القرآن للدنيا وزينتها حرم الله عليه الجنة. يا ابن مسعود من تعلم العلم ولم يعمل به [فيه] حشره الله يوم القيامة أعمى، ومن تعلم العلم رياء وسمعة يريد به الدنيا نزع الله بركته وضيق عليه معيشته ووكله الله إلى نفسه ومن وكله الله إلى نفسه فقد هلك...[١].

(١) إلزام الناصب ٢: ١٥٠ ـ ١٥٢ عن مكارم الأخلاق.

ـ وفي كتاب الفتوحات المكية ج ٣ في باب المهدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال صلى الله عليه وآله في صفة المهدي: يقفو أثري لا يخطئ، فعرفنا أنه متبع لا متبوع، وأنه معصوم ولا معنى للمعصوم في الحكم إلا أنه لا يخطئ، فإن حكم الرسول لا ينسب إليه خطأ فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى كما أنه لا يسوغ القياس في موضوع يكون فيه الرسول صلى الله عليه وآله موجوداً وأهل الكشف النبي عندهم موجود فلا يأخذون الحكم إلا عنه.

ولهذا الفقير الصادق لا ينتمي إلى مذهب إنما هو مع الرسول الذي هو مشهود له، كما أن الرسول مع الوحي الذي ينزل عليه فينزل على قلوب العارفين الصادقين من الله التعريف بحكم النوازل أنه حكم الشرع الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأصحاب علم الرسول ليست لهم هذه المرتبة أكبوا عليه من حب الجاه والرياسة والتقدم على عباد الله وافتقار العامة إليهم فلا يفلحون في أنفسهم ولا يفلح بهم. وهي حالة فقهاء الزمان الراغبين في المناصب من قضاة وشهادة وحسبة وتدريس، وأما المتلبسون منهم بالدين فيجمعون أكتافهم وينظرون إلى الناس من طرف خفي نظر الخاشع ويحركون شفاههم بالذكر ليعلم الناظر إليهم أنهم ذاكرون ويعجمون في كلامهم ويتشدقون ويغلب عليهم رعونات النفس وقلوبهم قلوب الذئاب لا ينظر الله إليهم، هذا حال المتدين منهم لا الذين هم قرناء الشيطان لا حاجة لله بهم، لبسوا للناس جلود الضأن من اللين، إخوان العلانية أعداء السريرة فالله يراجع بهم ويأخذ بنواصيهم إلى ما فيه سعادتهم.

وإذا خرج الإمام المهدي فليس له عدوّ مبين إلا الفقهاء خاصة فإنهم لا تبقى لهم رياسة ولا تمييز عن العامة، ولا يبقى لهم علم محكم إلا قليل. ويرتفع الخلاف من العالم في الأحكام بوجود هذا الإمام ولولا أن السيف بيد المهدي لأفتى الفقهاء بقتله، ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيطمعون ويخافون فيقبلون حكمه من غير إيمان بل يضمرون خلافه...[١].

ومما تقدم نعلم أن أهم العوامل التي ساهمت في تركيز الجهل وإشاعة المنكرات، والاستخفاف بتعاليم الدين وأحكامه في العبادات والمعاملات هو تهافت علماء الدين على الدنيا وطلب الوجاهة والرياسة، والابتعاد عن الدين وتعاليمه القيمة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يتحول المعروف منكراً أو المنكر معروفاً، وتفقد الناس ثقتها بعلمائها لأنهم يأمرونهم بالمعروف ولا يأتمرون به، وينهونهم عن المنكرات ولا ينتهون، ولأنهم يقولون ما لا يفعلون ويسعون إلى ستر جرائم الحكام وتبرير فسقهم وفجورهم لقاء مناصب في محاكم الطغاة أو وجاهة أو أموالٍ مسروقة من بيت مال المسلمين مقابل سكوتهم على ما يقترفون من جرائم ومظالم واغتصاب حقوق الأمة، وسلب أموال اليتامى والفقراء والمساكين وسرقة أموال بيت المال جهراً وبدون رقيب.

فمنشأ هذا الظلم والتعسف والاستبداد والفساد الإداري والتفسخ الاجتماعي، والانحطاط الأخلاقي هو فقهاء السوء الذين انخرطوا في

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ١١٤ ـ ١١٥.

سلك الحكام الظالمين والتزموا الصمت إزاء كل ما أحدثوا من البدع والمنكرات وما اقترفوا من جرائم نكراء بشعة.

إن القول المأثور القائل: إن فساد العلماء يؤدي إلى فساد العالم، هذا ما سنرى مصاديقه على صعيد المستقبل وقبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام كما أخبرنا بذلك رسول الإنسانية وأبناؤه الأئمة الأطهار.

إن فساد المجتمع بالصورة البشعة الموحشة التي وصفها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأبناؤه البررة ليس بمقدور أي إنسان إصلاحه إلا إذا كان يستمد قوته وتسديده من الله تعالى، وهذا ما يؤكد وجوب قيام المصلح العالمي الذي أعده الله لهذه المهمة الصعبة كما أشارت لذلك آيات القرآن الكريم وروايات الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار المجمع على صحتها وتواترها، وذلك هو الإمام المهدي عليه السلام المعصوم من الخطأ والزلل عصمة مطلقة؛ والذي يمتلك مواهب وخصائص عظيمة تمكنه من إنجاز تلك المهمة المشار إليها تماماً كما فعل ذلك الأنبياء والمرسلون.

من إفرازات ومردودات فساد العلماء

من إفرازات ومردودات فساد العلماء في آخر الزمان وقبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام المدخر لإصلاح العالم وإقامة دولة العدل والمساواة، ظهور عدد غير قليل من الدجالين والمشعوذين الذين يستثمرون ظروف الجهل والفساد العقائدي والديني وتفشي النفاق والرياء أسوأ استثمار حيث يبدأون بترويج أضاليلهم ودعواتهم الباطلة

بهدف التسلط على الناس والاستحواذ على أموالهم وصرفها في ملذاتهم وشهواتهم الحيوانية على حساب بؤس وشقاء المحرومين والمستعبدين. . .

فلو طالعنا الأخبار المختصة بعلائم الظهور نرى أن بعض أولئك الدجالين يدعي الربوبية لنفسه والبعض الآخر يدعي النبوة والإمامة وفيما يلي نذكر بعض تلك الأخبار ما عدا أخبار الدجال والسفياني اللذين سنفرد لهما أبواباً خاصة نذكر فيها أخبارهما بالتفصيل.

ـ وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: يخرج بقزوين رجل اسمه اسم نبي يسرع الناس إلى طاعته المشرك والمؤمن يملأ الجبال خوفاً[١].

ـ وفي حديث آخر: أنى يكون ذلك ولم يقم الزنديق من قزوين فيهتك ستورها ويكفّر صدورها، ويغيّر سورها ويذهب ببهجتها، من فرّ منه أدركه ومن حاربه قتله، ومن اعتزله افتقر، ومن تابعه كفر حتى يقوم باكيان: باك يبكي على دينه وباك يبكي على دنياه. . . الحديث[٢].

ـ وذكر الشيخ المفيد في كتاب (الإرشاد) باب علامات قيامه عليه السلام خبراً مفاده خروج ستين كذاباً كلهم يدعي النبوة[٣].

ـ وفي غيبة الشيخ (قدس سره) ذكر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) البحار ٥٢: ٢١٣.
(٢) البحار ٥٢: ٢١٣ رقم ٦١.
(٣) الإمام المهدي(ع) وظهوره: ١٩٩.

قال: لا تقوم الساعة حتى يخرج نحو من ستين كذاباً كلهم يقول: أنا نبي[١].

ـ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: لا يخرج القائم حتى يخرج اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو إلى نفسه[٢].

ـ ومن أولئك الدجالين والمشعوذين العوف السلمي الذي سيخرج من الجزيرة وهو من أهل تكريت من بلاد العراق وبخروج هذا الشخص تخرج الفتنة.

وقد ورد في رواية حذلم بن بشير قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: صف لي خروج المهدي عليه السلام، وعرفني دلائله وعلاماته! فقال عليه السلام: يكون قبل خروجه عليه السلام خروج رجل يقال له: عوف السلمي بأرض الجزيرة ويكون مأواه تكريت وقتله بمسجد دمشق الحديث[٣].

ـ وفي خطبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام قوله في بيان إفرازات فساد العلماء: وقول البهتان والإثم والطغيان، وحليت المصاحف وزخرفت المساجد، وطولت المنائر، وأكرم الأشرار، وازدحمت الصفوف واختلفت الأهواء، ونقضت العهود، واقترب الموعود، ويشارك النساء أزواجهن في التجارة حرصاً على الدنيا، وعلت أصوات الفساق واستمع منهم جماً...

---

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٦٦ طبع إيران، إصدار مكتبة نينوى الحديثة ـ طهران ـ ناصر خسرو.
(٢) كتاب الغيبة للطوسي: ٢٦٧.
(٣) البحار ٥٢: ٢١٣ الحديث رقم ٦٥، الإمام المهدي وظهوره: ٢١٦.

التدهور الاقتصادي والقحط والجفاف وقلة الثمار

وقبل حصول علامات الظهور الحتمية تقل الأمطار فيحصل الجفاف وتقل المحاصيل الزراعية إثر ذلك وتأتي أفواج من الجراد لتأكل ما تبقى منها فيكون القحط والمجاعة والركود الاقتصادي وكساد التجارات من أبرز سمات ذلك العصر.

ولقد أشارت الآيات والروايات لذلك بوضوح منها قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

- عن الصدوق في (كمال الدين)، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن لقيام القائم علامات تكون من الله عزّ وجلّ للمؤمنين، قلت: وما هي جعلني الله فداك؟ قال عليه السلام: قول الله عز وجل: (ولنبلونكم - يعني المؤمنين - قبل خروج القائم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين...) والجوع بغلاء أسعارهم ونقص في الأموال، قال: كساد التجارات وقلة الفضل، ونقص من الأنفس، قال: موت ذريع ونقص من الثمرات قلة ريع ما يزرع وبشر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم (عج)[1].

- وفي كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، عن أبي عبد الله عليه السلام

(١) إلزام الناصب ٢: ١١٢، كمال الدين: ٦٤٩.

قال: إن قدام القائم عليه السلام لسنة غيداقة يفسد فيها الثمار والتمر في النخل فلا تشكوا في ذلك[(١)].

ـ وفيه أيضاً عنه عليه السلام: إن قدام القائم بلوى من الله، قيل: وما هو جعلت فداك؟ فقرأ (لنبلونكم...) ثم قال: الخوف من ملوك بني فلان، والجوع من غلاء الأسعار ونقص من الأموال من كساد التجارات، وقلة الفضل فيها، ونقص الأنفس بالموت الذريع، ونقص الثمرات بقلة ريع الزرع وقلة بركة الثمار[(٢)].

ـ وفي كتاب كشف الغمة ذكر علامات ظهور القائم: منها وخوف يشمل أهل العراق، وموت ذريع فيه، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وجراد يظهر في أوانه وغير أوانه حتى يأتي على الزرع والغلات، وقلة ريع ما يزرعه الإنسان...[(٣)].

ـ وفي كتاب الإمام المهدي عليه السلام وظهوره ذكر القحط الشديد فقال: ويظهر من بعض الأخبار أنه من العلائم الحتمية الواقعة كما ذكر ذلك صاحب كفاية الموحدين ويستفاد من الأخبار أنه لا بد من وقوع القحط الشديد قبل قيام الحجة ويصلهم من ذلك الخوف الشديد.

ـ وفي حديث أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام لا بد أن يكون قدام القائم عليه السلام سنة يجوع فيها الناس، ويصيبهم خوف شديد من

---

(١) إلزام الناصب ٢: ١٤٨.
(٢) إلزام الناصب ٢: ١٤٨.
(٣) إلزام الناصب ٢: ١٤٩.

القتل ونقص من الأموال والأنفس والثمرات فإن ذلك في كتاب الله ليبيّن ثم تلا هذه الآية (ولنبلونكم بشيء...)[١].

- وفي حديث آخر عنه عليه السلام (والجوع) بغلاء أسعارهم (ونقص من الأموال) فساد التجارات وقلة الفضل فيها الحديث[٢].

ثم قال صاحب كتاب المهدي عليه السلام وظهوره: وقد وردت أخبار كثيرة بهذا المضمون في تفسير الآية الشريفة، وقد عبّر في بعض الأخبار عن القحط الشديد بشدة الحاجة كما في حديث محمد بن فضيل عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام فيما ذكر من بعض العلائم أنه قال: ولكن إذا اشتدت الحاجة والفاقة، وأنكر الناس بعضهم بعضاً فعند ذلك توقعوا هذا الأمر صباحاً ومساء[٣].

- وفي حديث آخر عن سليمان الأعمش، عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وآله، عن أمير المؤمنين عليه السلام: ثم يأخذهم القحط والغلا ثلاث سنين حتى يبلغ بهم الجهد ثم يعود عليهم الحديث[٤].

- وفي كتاب المهدي عند أهل السنة نقلاً من كتاب الفتاوى الحديثة ذكر ما يصيب المؤمنين من الجوع الشديد فقال: وإن الدجال يحاصر المؤمنين في بيت المقدس فيصيبهم جوع شديد حتى يأكلوا أوتار قسيهم من الجوع...[٥].

---

(١) غيبة النعماني: ٢٥١ ب ١٤، الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٣٠٣.
(٢) غيبة النعماني: ٢٥١ ب ١٤، الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٣٠٣.
(٣) البحار ٥٢: ١٨٥، الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢٠٣.
(٤) البحار ٥٢: ٢١٩، الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢٠٣.
(٥) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ٤٣٨، الفتاوى الحديثة: ٤٣.

ـ وأخرج ابن المنادي في الملاحم: ليخرجنّ رجل من ولدي عند اقتراب الساعة حتى تموت قلوب المؤمنين كما تموت الأبدان لما لحقهم من الضرر والشدة والجوع. . . [(١)].

ـ وفي كتاب الفتن: قال أبو عبد الله نعيم: وأخبرت عن ابن عباس، عن سالم بن عبد الله عن أبي محمد، عن رجل من أهل المغرب: قال: لا يخرج المهدي حتى يخرج الرجل بالجارية الحسناء الجمال، فيقول: من يشتري هذه بوزنها طعاماً، ثم يخرج المهدي[(٢)].

هذه النصوص تعطي صورة واضحة للقارئ العزيز عما يصيب الناس قبل ظهور الإمام المهدي من الجوع الشديد والبؤس والحرمان بحيث يبيع الرجل جاريته الحسناء بما يعادل وزنها من الطعام.

وهذا القحط الشديد والفقر المدقع والجوع الممض من العوامل المهمة في إفشاء الفساد العقائدي والتفسخ الاجتماعي والأخلاقي ونشر الفسق والفجور، لأن الرجل الجائع والمرأة الجائعة اللذين لا يستطيعان أن يشبعا جوعتهما إلا من الدبر والفرج هل بمقدورهما الحفاظ على العقيدة والدين بعد أن أجبرتهما المجاعة والحرمان على هذا الانحطاط الأخلاقي؟! فهل بمقدور الإنسان أن يجمع بين الفضيلة والرذيلة في آن واحد، أو بين الدين والفسق والفجور؟ إن جمع الأضداد في وقت واحد أمر مستحيل وهذا أجمع عليه جميع العقلاء دون استثناء.

---

(١) الحاوي للفتاوي للسيوطي ٢: ١٦٣، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٩٥.
(٢) الفتن: ٢٣٢.

انعدام الأمن، وازدياد الفتن، وشيوع القتل

ومن العلائم المروعة التي تسبق ظهور الإمام المهدي عليه السلام هي انعدام الأمن، وازدياد الفتن، وشيوع القتل وسفك الدماء بحيث يصطبغ ماء دجلة والفرات بلون الدم، وتصبح ظاهرة القتل ظاهرة طبيعية في كل مكان لا يستغرب منها أحد عندما يرى مئات الأشلاء متناثرة على أرصفة الطرق يعجز الناس عن دفنها ومواراتها لكثرتها وازدياد عددها يوماً بعد آخر لشدة الفتن وكثرة الحروب المتلاحقة.

وبيان هذه الحالة المروعة التي تشمل العالم أجمع قبل ظهور القائم، وإعطاء صورة واضحة عنها يستلزم ذكر بعض ما تعلق بها من النصوص.

- ففي كتاب (الفتن) للحافظ نعيم بن حماد الخزاعي المتوفى سنة ٢٢٩ هـ، أي قبل ولادة المهدي عليه السلام بخمس وعشرين سنة، عن يحيى بن اليمان عن كيسان الرواسي القصّار، وكان ثقة قال: حدثني مولاي، قال: سمعت علياً (رضي الله عنه) يقول: لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلث ويموت ثلث ويبقى ثلث[١].

- وفيه أيضاً عن أبي هريرة، عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: تحسر الفرات عن جبل من ذهب وفضة فيقتل عليه من كل تسعة سبعة، فإذا أدركتموه فلا تقربوه[٢]. وذكر نحوه عن أبي هريرة أيضاً في ص ٢٣٤[٣].

---

(١) الفتن: ٢٣١، أخرجه أبو عمرو الداني في السنن ٣: ٥٥١.
(٢) الفتن: ٢٣٣، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٧٥.
(٣) الفتن: ٢٣٤، أورده ابن كثير في جامع المسانيد ٢: ٦٧٩.

ـ وفيه أيضاً عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: في ذي القعدة تحارب القبائل، وعامئذٍ ينهب الحاج، فتكون ملحمة بمنى، فيكثر فيها القتلى، وتسفك فيها الدماء حتى تسيل دماؤهم على عقبة الجمرة حتى يهرب صاحبهم فيوقى بين الركن والمقام فيبايع وهو كاره...[1].

ويبدو أن هذه الملحمة تسبق الظهور بقليل.

ـ وفي كتاب الإمام المهدي عليه السلام وظهوره، ذكر جملة من الروايات التي ذكرت ما يحصل في الكوفة من مجازر ومذابح بشعة قبل ظهوره عليه السلام.

منها: عن أبي جعفر عليه السلام لما سُئل: متى يكون هذا الأمر؟ قال: أنّى يكون ذلك يا جابر ولمّا تكثر القتلى بين الحيرة والكوفة[2].

ومنها: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كأني بالسفياني أو بصاحب السفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة فنادى مناديه: من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم، فيثب الجار على جاره ويقول: هذا منهم فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم.

وفي إلزام الناصب نقلاً عن البحار، عن الصادق عليه السلام قال: لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس، فقيل: فإذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقى؟ فقال عليه السلام: أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي[3]؟

---

(١) الفتن: ٢٣٨، أخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٥٠٣.
(٢) البحار ٥٢: ٢٠٩، الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢١٨.
(٣) إلزام الناصب ٢: ١٣٦.

ـ وفي الإرشاد: وقتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين[١]. وفي حديث آخر: وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين[٢].

وهذه النفس الزكية ليست تلك التي تقتل بين الركن والمقام في مكة المكرمة. ويحتمل قوياً أنها ـ تعني آية الله السيد محمد باقر الحكيم ومن قتل معه من الصلحاء ـ بباب حرم الإمام علي عليه السلام حيث أن النجف تعد ظهر الكوفة والله أعلم.

ـ وفي كتاب الإمام المهدي عليه السلام عند أهل السنة نقلاً من كتاب الإشاعة فقال: ما ذكره في كتاب الإشاعة أنه يحسر الفرات عن جبل من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا إليه، واجتمع عليه ثلاثة كلهم ابن خليفة يقتلون عنده ثم لا يصير إلى أحد منهم فيقول لكل واحد: والله لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن بكله، فيقتتلون عليه حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون، وفي رواية فيقتل تسعة أعشارهم، وفي رواية من كل تسعة سبعة...[٣].

ـ عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في خبر له: ثم يمر الجيش ببغداد ويقتل على جسره سبعون ألفاً حتى تحمى الناس ثلاثة أيام من الدماء وتنتن الأجساد، ثم يمر الجيش بالكوفة حتى ينزلون موقع قبر هود بالنخيلة وهو على بعد فرسخين من الكوفة

---

(١) الإرشاد المفيد في باب علامات ظهوره، المهدي(ع) وظهوره: ٢١٩.
(٢) البحار ٥٢: ٢٧٣ ح ١٦٧.
(٣) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ١٥.

فيخربون ما حولها ويستعبد بعض أهلها ولا يدعون أحداً إلا قتلوه...[1].

ـ وفي أربعين الميرلوحي عن فضل بن شاذان، عن أبي جعفر عليه السلام يقول: كأني بقوم قد خرجوا من أقصى المشرق من بلدة يقال لها: شيلا يطلبون حقهم من أهل الصين فلا يعطون ثم يطلبونه فلا يعطون فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فرضوا بإعطاء ما سألوه فلم يقبلوا وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ثم يسخرون بلاد الترك والهند كلها...[2].

دلت هذه الأخبار المذكورة وغيرها على اختلال موازين القوى في العالم بصورة مذهلة، بحيث يؤدي ذلك إلى إيجاد اختلافات شديدة بين شعوب الأرض قاطبة، وحروب طاحنة تقضي على ثلثي سكان العالم أو تسعة أعشاره تبعاً لاختلاف الأخبار، وتخلق حالة من الهرج والمرج وانعدام الأمن والاستقرار، وشيوع الطاعون والأمراض الفتاكة إثر ذلك من جراء المجازر الدموية البشعة وشدة الاضطرابات والقلق الشديد الذي يعتري الناس في شرق الأرض وغربها حينذاك. وتصبح البشرية في حالة يرثى لها لعظم ما يلم بها من المحن والأهوال ويرفع الكل أيديهم بالدعاء إلى الله يرجون موتاً عاجلاً يريحهم مما يعانون، أو مصلحاً عالمياً ينقذهم مما يكابدون من المصائب والمصاعب.

(١) إلزام الناصب ٢: ١٥٨.
(٢) إلزام الناصب ٢: ١٦٠.

عندها تكون الأرضية الصالحة قد تمهدت تماماً لظهور المهدي (عج) وقيام دولته، لأن الناس كل الناس يتجهون إليه ويعقدون الآمال عليه، ما عدا نفر قليل من الدجالين والمشعوذين والمتصيدين بالماء العكر، وهؤلاء سوف يتغلب عليهم الإمام المهدي عليه السلام بعون الله وينقذ العالم من شرورهم..

علامات ظهور المهدي(ع) الحتمية

بعد ذكر الوقائع والفتن التي تسبق علامات الظهور الحتمية نبدأ الآن بذكر العلامات التي تسبق ظهوره ومنها السفياني والدجال ونزول عيسى عليه السلام والصيحة وقتل النفس الزكية في مكة المكرمة بين الركن والمقام، وخسف الأرض بجيش السفياني، وخروج السيد الحسني، والنداءات الثلاثة التي تسمعها كل الخلائق، والعلامات الكونية كالخسوف والكسوف والريح الحمراء والمطر الشديد في غير أوانه، وطلوع كف من السماء والزلازل والفيضانات، وغيرها من العلامات الكونية.

خروج السفياني علامة حتمية لا بد منها

ذكرت كتب الفريقين أخباراً كثيرة نصت على حتمية خروج السفياني قبل القائم عليه السلام وسنذكر بعضها للتدليل على ذلك بما يتسع لها المقام ولنثبت إجماع علماء المسلمين بحتمية ظهوره.

جاء في كتاب الإمام المهدي عليه السلام عند أهل السنة، نقلاً من كتاب (البدء والتاريخ) أخبار مفادها حتمية خروج السفياني:

منها: رواية هشام بن الغار عن مكحول، عن أبي عبيدة بن الجرّاح عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا يزال هذا الأمر قائماً بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية[(١)].

ـ وعن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) في ذكر الفتن بالشام قال: فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد على أثره ليستولي على منبر دمشق فإذا كان ذلك انتظروا خروج المهدي عليه السلام[(٢)].

وفي كتاب الحاوي للفتاوي للسيوطي ذكر أخباراً بصدد خروج السفياني منها: عن عمار بن ياسر قال: إذا بلغ السفياني الكوفة وقتل أعوان آل محمد خرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح[(٣)].

ومنها: وأخرج (ك) أيضاً عن الوليد بن مسلم قال: لا يخرج المهدي حتى يقوم السفياني على أعوادها[(٤)].

وفي كتاب الفتن للحافظ الخزاعي المروزي خبر يذكر خروج السفياني قبل خروج المهدي عليه السلام: حدثنا الوليد ورشدين، عن ابن لهيعة عن أبي قبيل قال: يملك رجل من بني هاشم فيقتل بني أمية، فلا يبقي منهم إلا اليسير، لا يقتل غيرهم، ثم يخرج رجل من بني أمية فيقتل بكل رجل رجلين حتى لا يبقي إلا النساء، ثم يخرج المهدي عليه السلام[(٥)].

---

(١) المهدي عند أهل السنة ١: ٥٧، انظر كتاب البدء والتاريخ ج ١: ١٧٦.
(٢) المهدي عند أهل السنة ١: ٥٨، انظر كتاب البدء والتاريخ ١: ١٧٧.
(٣) الحاوي للفتاوي ٢: ١٤١، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٧٢.
(٤) الحاوي للفتاوي ٢: ١٥٠، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٨١.
(٥) الفتن: ١٩٢.

وفي كتاب البحار عن عيسى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السفياني من المحتوم وخروجه من أول خروجه إلى آخر خمسة عشر شهراً...[١].

- وعن معلى بن خنيس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من الأمر المحتوم ومنه ما ليس بمحتوم، ومن المحتوم خروج السفياني في رجب[٢].

- وعن الفضل، بن أبي جعفر عليه السلام قال: إن من الأمور أموراً موقوفة وأموراً محتومة، وإن السفياني من المحتوم الذي لا بد منه[٣].

- وعن أبي حمزة قلت لأبي جعفر عليه السلام: خروج السفياني من المحتوم؟ قال عليه السلام: نعم...[٤].

اسم السفياني ونسبه وصفاته

في كتاب إلزام الناصب ذكر السفياني فقال: ويخرج السفياني عثمان بن عنبسة أبوه من ذرية أبي سفيان وأمه من ذرية يزيد بن معاوية...[٥].

وفي كتاب الفتن عمن حدثه عن محمد بن جعفر بن علي قال:

---

(١) البحار ٥٢: ٢٤٨.
(٢) البحار ٥٢: ٢٤٩.
(٣) البحار ٥٢: ٢٤٩.
(٤) إلزام الناصب ٢: ١٤٦.
(٥) إلزام الناصب ٢: ١٦٦.

السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، رجل ضخم الهامة بوجهه آثار جدري، وبعينه نكتة بياض...[١].

وفيه أيضاً: السفياني أبيض، جعد الشعر... وفيه أيضاً: يخرج رجل من ولد أبي سفيان... دقيق الساعدين والساقين، طويل العنق، شديد الصفرة، به أثر العبادة[٢].

وفي كتاب المهدي عليه السلام عند أهل السنة نقلاً من كتاب (لوائح الأنوار..) ذكر اسم السفياني وأوصافه بقوله:

أما السفياني فاسمه عروة واسم أبيه محمد وكنيته أبو عنبسة.

وفي عقد الدرر أن السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان ملعون في السماء والأرض، وهو أكثر خلق الله ظلماً. قال علي (رضي الله عنه): السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان رجل ضخم الهامة بوجهه أثر الجدري، بعينه نكتة بياض...[٣].

وفي إلزام الناصب عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان رجل ضخم الهامة بوجهه أثر الجدري، بعينه ركنه بياض...[٤].

وفي البحار عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: السفياني أحمر أشقر أزرق لم يعبد الله قط ولم يرَ مكة ولا المدينة قط...[٥].

---

(١) الفتن: ١٨٩.
(٢) الفتن: ١٩٠.
(٣) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ٢: ١٦.
(٤) إلزام الناصب ٢: ١٣٠، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٨٥.
(٥) البحار ٥٢: ٢٥٤.

وفي إلزام الناصب عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، وهو رجل ربعة وخشيّ الوجه، ضخم الهامة بوجهه أثر الجدري إذا رأيته حسبته أعور اسمه عثمان وأبوه عنبسة وهو من ولد أبي سفيان...[١].

قساوة السفياني وسوء أخلاقه

الحديث عن قساوة السفياني وسوء أخلاقه يقودنا إلى البحث والتحقيق في منشأ القساوة وسوء الخلق اللتين يتصف بهما هذا الوغد الحقير.

ومعلوم لدى الجميع أن التربية والمحيط والإيمان والعوامل الاجتماعية والوراثية والقومية والطائفية لها آثار مهمة في صياغة شخصية الفرد وبناء مقوماته الفكرية والأخلاقية والعقائدية.

فإذا نشأ الإنسان من نطفة نجسة، وعاش في بيئة فاسدة وتخلق بأخلاق منحطة، وترسبت في أعماق نفسه العصبيات الجاهلية والقبلية والطائفية فإنه سيكون بركاناً من الأحقاد والضغائن جاهزاً للانفجار والتدمير كلما أتيحت له الفرص والظروف المؤاتية.

فالسفياني الذي انحدر من سلالة أموية فاسدة، ونطفة غير مشروعة وتربى في محيط مفعم بالحقد والعداء لعلي وأهل بيته وشيعته، وتأصلت في نفسه نزعة الثأر لأجداده الذين صرعوا بسيف

---

(١) إلزام الناصب ٢: ١٣٠ وص ١٦٦.

علي عليه السلام في بدر وأحد، فهذه العوامل مجتمعة جردت السفياني من محتواه الإنساني وحولته إلى حيوان وحشي شرسٍ حقودٍ قاسٍ لا يعرف معنى للرحمة والعطف، ولا يتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم بحق الشيوخ والنساء والأطفال دون تمييز.

فبقر بطون الحوامل، وإلقاء الأطفال في الزيت المغلي، وسفك الدماء البريئة، وهتك أعراض الشيعة، وسلب أموالهم وحرق بيوتهم بعض إفرازات الحقد السفياني الذي لا حد له...

وفيما يلي نذكر بعض تلك الجرائم الوحشية التي تقشعر منها الأبدان.

ـ ففي كتاب (الفتن) عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا عبر السفياني الفرات، وبلغ موضعاً يقال له: عاقر قوفا محا الله تعالى الإيمان من قلبه، فيقتل بها إلى نهر يقال له: الدجيل سبعين ألفاً متقلدين سيوفاً محلاة، وما سواهم أكثر، فيظهرون على بيت الذهب، فيقتلون المقاتلة والأبطال، ويبقرون بطون النساء يقولون: لعلها حبلى بغلام...[١].

وفي كتاب إلزام الناصب نقلاً من البحار، قال الصادق عليه السلام: أنك لو رأيت السفياني رأيت أخبث الناس.. إلى أن قال: ولقد بلغ من خبثه أنه يدفن أم ولد له وهي حية مخافة أن تدل عليه[٢].

---

(١) الفتن: ٢٠٩.
(٢) إلزام الناصب ٢: ١٣٥.

وفيه أيضاً: ما يصدر من جيش السفياني الذي يبعثه إلى العراق في المشارق في خبر سطيح الكاهن: فيخرج رجل من ولد صخر فيبدل الرايات السود بالحمر فيبيح المحرمات، ويترك النساء بالثدايا معلقات وهو صاحب نهب الكوفة، فرب بيضاء الساق مكشوفة على الطريق مردوفة بها الخير محفوفة قتل زوجها وكثر عجزها واستحل فرجها...[١].

وفيه أيضاً: نقلاً من كتاب معاني الأخبار، عن عقد الدرر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يخرج رجل يقال له: السفياني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من كلب فيقيل حتى ينفد بطون النساء، ويقتل الصبيان...[٢].

فيه أيضاً: ويبعث جيشه إلى الزوراء مائة وثلاثين ألفاً ويقتل على جسرها إلى مدة ثلاثة أيام سبعين ألف نفس ويفتض اثنتي عشرة ألف بكر وترى ماء الدجلة محمراً من الدم ومن نتن الأجساد...[٣].

وفي كتاب (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) لمؤلفه سراج الدين عمر بن مظفر الشافعي نقل جملة أخبار عن السفياني منها خبر رواه عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأنه قال: من ولد يزيد ابن معاوية بوجهه آثار الجدري وبعينه نقطة من بيان يخرج من ناحية دمشق ويبعث خيله وسراياه في البر والبحر

(١) إلزام الناصب ٢: ١٥٧ ـ ١٥٨..
(٢) إلزام الناصب ٢: ١٣١.
(٣) إلزام الناصب ٢: ٦٧.

فيبقرون بطون الحبالى، وينشرون الناس بالمناشير، ويحرقون ويطبخون الناس في القدور[١].

وفي كتاب الحاوي للفتاوي للسيوطي، وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال: يبعث بجيش ـ يعني السفياني ـ فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد صلى الله عليه وآله ويقتل من بني هاشم رجالاً ونساء، فبعد ذلك يهرب المهدي والبيض من المدينة إلى مكة...[٢].

وفيه أيضاً عن أبي قبيل قال: يبعث السفياني جيشاً، فيأمر بقتل كل من كان من بني هاشم، فيقتلون ويفترقون هاربين إلى البراري والجبال، حتى يظهر المهدي عليه السلام...[٣].

وفيه أيضاً عن أبي هريرة قال: يكون بالمدينة وقعة يغرق فيها أحجار الزيت ـ يعني بالدم ـ، ما الحرة عندها إلا كضربة سوط...[٤].

وفي كتاب (كنز العمال): يخرج رجل يقال له: السفياني في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان...

ـ وعن فسق السفياني وفجوره نقل صاحب كتاب الحاوي للفتاوي

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب: ١٩٨ طبعة حجرية، انظر الهدي عند أهل السنة ١: ٢٧٤.

(٢) الحاوي للفتاوي ٢: ١٤١، انظر المهدي عند أهل السنة ١: ٣٧٤.

(٣) الحاوي للفتاوي ٢: ١٤١، انظر المهدي عند أهل السنة ١: ٣٧٤.

(٤) كنز العمال ١٤: عنه في الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٤٥٣.

عن حذيفة خبر، قال: حتى أنه يطاف بالمرأة في مسجد دمشق في الثوب على مجلس مجلس حتى تأتي فخذ السفياني فتجلس عليه وهو في المحراب قاعد، فيقوم رجل مسلم من المسلمين فيقول: ويحكم، أكفرتم بعد إيمانكم، إن هذا لا يحل، فيقوم فيضرب عنقه في مسجد دمشق، ويقتل كل من شايعه على ذلك...[١].

- وفي كتاب الفتن عن ابن عباس يقول: يخرج السفياني فيقاتل حتى يبقر بطون النساء، ويغلي الأطفال في المراجل[٢].

حروب السفياني وجرائمه البشعة ومدة حكمه

سنذكر في هذا الباب جملة من حروب السفياني ومواجهاته العنيفة مع أصحاب الرايات التي تخرج في زمانه الباطلة منها والمحقة، فالباطلة تقاتله على الملك والسلطان والسيطرة على البلاد الإسلامية، والمحقة تقاتله انتصاراً للحق ودفاعاً عن المستضعفين المستعبدين من قبله، والذين ذاقوا على يديه الآثمتين أمر أنواع العذاب والتقتيل.

منها: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا ظهر الأبقع مع قوم ذوي أجسام، فتكون بينهم ملحمة عظيمة، ثم يظهر الأخوص السفياني الملعون، فيقاتلهم جميعاً، فيظهر عليهم جميعاً، ثم يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده، وله فورة شديدة يستقتل

---

(١) الحاوي للفتاوي ٢: ١٦٠، المهدي عند أهل السنة ١: ٣٩١.
(٢) الفتن: ٢١٠.

الناس قتل الجاهلية، فيلتقي هو والأخوص، وراياتهم صفر، وثيابهم ملونة، فيكون بينهما قتال شديد، ثم يظهر الأخوص السفياني عليه، ثم تظهر الروم وتخرج إلى تل سما فأقبل، ثم يسير إلى العراق، وترفع قبل ذلك اثنتا عشرة راية بالكوفي معروفة منسوبة، ويقتل بالكوفة رجل من ولد الحسن أو الحسين يدعو إلى أبيه، ويظهر رجل من الموالي، فإذا استبان أمره وأسرف في القتل، قتله السفياني(١).

ومنها: عن محمد بن جعفر قال: قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عنه: يبعث السفياني على جيش العراق رجلاً من بني حارثة له غديرتان يقال له: نمر أو قمر بن عباد، رجلاً جسيماً على مقدمته رجل من قومه قصير أصلع، عريض المنكبين، فيقاتله من بالشام من أهل المشرق، وفي موضع يقال له: الثنية، وأهل حمص في حرب المشرق وأنصارهم، وبها يومئذٍ منهم جند عظيم يقاتلهم فيما يلي دمشق، كل ذلك يهزمهم ثم ينحاز من دمشق وحمص مع السفياني ويلتقون وأهل دمشق في موضع يقال له اليدين مما يلي شرق حمص، فيقتل بها نيف وسبعون ألفاً، ثلاثة أرباعهم من أهل المشرق، ثم تكون الدبرة عليهم، ويسير الجيش الذي بعث إلى المشرق حتى ينزلوا الكوفة، فكم من دم مهراق، وبطن مبقور، ووليد مقتول، ومال منهوب، ودم مستحل، ثم يكتب إليه السفياني أن يسير إلى الحجاز بعد أن يعركها عرك الأديم...(٢)

(١) الفتن: ١٩٩.
(٢) الفتن: ٢٠٧.

وفي إلزام الناصب: وفي الخبر أن السفياني بعد خروجه وبعثه جيشاً إلى الحجاز يبعث إلى العراق مائة وثلاثين ألفاً أو سبعين ألفاً ويمر جيشه بقرقيسا بالكسر بلد على الفرات ويقع فيها بينهم وبين ولد العباس حرب عظيمة فيقتلون من الجبارين من بني العباس مائة ألف ثم يمر الجيش ببغداد ويقتل على جسره سبعون ألفاً حتى تحمى الناس ثلاثة أيام من الدماء ونتن الأجساد، ثم يمر الجيش بالكوفة فيخرجون ما حولها ويستعبد بعض أهلها ولا يدعون أحداً إلا قتلوه، حتى أن الرجل منهم يمر بالدرة المطروحة العظيمة فلا يتعرض لها، ويمر على الصبي الصغير فيلحقه ويقتله ويسبى منها سبعون ألف بكر لا يكشف عنها كف ولا قناع حتى يوضعن في المحامل ويذهب بهن إلى الثوية موضع قبر كميل وبعض أصحاب أمير المؤمنين وينادي منادي أهل الجيش: من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم، فيثب الجار على جاره ويقول: هذا منهم فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم، ثم يخرجون إلى الشام ومعهم السبايا والغنائم فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم...[1].

وفي كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة نقلاً من كتاب الحاوي للفتاوي، عن حذيفة بن اليمان، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا خرجت السودان طلبت العرب مكشوفين حتى يلحقوا ببطن الأرض، أو قال: ببطن الأردن، فبينما هم كذلك إذ خرج السفياني في ستين

---

(١) إلزام الناصب ٢: ١٥٨.

وثلاث مائة راكب حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليهم شهر يتابعه من كلب ثلاثون ألفاً، فيبعث جيشاً إلى العراق، فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينجرون إلى الكوفة فينهبونها فعند ذلك تخرج راية من المشرق ويقودها رجل من تميم يقال له: شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم من سبي، أهل الكوفة ويقتلهم، ويخرج جيش آخر من جيوش السفياني إلى المدينة فينهبونها ثلاثة أيام، ثم يسيرون إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام فيقول: يا جبريل، عذبهم، فيضربهم برجله ضربة يخسف الله بهم فلا يبقى منهم إلا رجلان، فيقدمان على السفياني، فيخبرانه بخسف الجيش، فلا يهوله، ثم إن رجالاً من قريش يهربون إلى قسطنطينية فيبعث السفياني إلى عظيم الروم أن يبعث بهم في المجامع، فيبعث بهم إليه، فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق(١).

وفي كتاب (التذكرة) للقرطبي عن ابن مسعود فيه: ثم إن عروة بن محمد السفياني يبعث جيشاً إلى الكوفة فيه خمسة عشر ألف فارس، ويبعث جيشاً آخر فيه خمسة عشر ألف راكب إلى مكة والمدينة لمحاربة المهدي ومن تبعه.

فأما الجيش الأول فإنه يصل إلى الكوفة فيتغلب عليها ويسبي من كان فيها من النساء والأطفال، ويقتل الرجال ويأخذ ما يجد فيها من الأموال ثم يرجع فتقوم صيحة بالمشرق فيتبعهم أمير من أمراء بني تميم يقال له: شعيب بن صالح فيستنقذ ما في أيديهم من السبي ويرد إلى الكوفة.

---

(١) الحاوي للفتاوي ٢: ١٦٠، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٩٠.

وأما الجيش الثاني فإنه يصل إلى المدينة فيقاتلونها ثلاثة أيام ثم يدخلونها عنوة ويسبون ما فيها من الأهل والولد، ثم يسيرون نحو مكة أعزها الله لمحاربة المهدي ومن معه فإذا وصلوا إلى البيداء مسحهم الله أجمعين فذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾[١].

السفياني والرايات السود

سيخوض السفياني حروباً عديدة مع أصحاب الرايات السود وهم الذين جاؤوا من المشرق لنصرة المهدي (عج) ويقودهم رجل من بني هاشم بكفه اليمنى خال أو اليسرى، على مقدمته رجل من بني تميم يقال له: شعيب بن صالح الذي سبق أن خاض معركة ضارية مع جيش السفياني واستعاد منه السبي والغنائم بعد انتصاره عليه.

ومن هذه الحروب التي دارت بين جيش السفياني وشعيب بن صالح حرب وقعت بباب أصطخر حيث حصلت ملحمة عظيمة فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفياني فعند ذلك يتمنى الناس المهدي عليه السلام ويطلبونه[٢].

وفي كتاب الإمام المهدي عليه السلام عند أهل السنة نقلاً من كتاب (لوائح الأنوار): ثم يخرج وراء النهر خارج يقال له: الحارث على مقدمته رجل يقال له: المنصور، يمكن لآل محمد، واجب على كل

(١) التذكرة للقرطبي: ٦١٠، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ١٩٥.
(٢) الفتن: ٢٢١، والحاوي للفتاوي ٢: ١٤٠، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٧٢.

مؤمن نصره، وهذا الرجل يحتمل أن يكون هو الهاشمي الآتي ذكره ويلقب الحارث كما يلقب المهدي بالجابر.

ويحتمل أن يكون غيره، ويثور أهل خراسان بعساكر السفياني فتكون بينهم وقعات. فإذا طال عليهم قتاله بايعوا رجلاً من بني هاشم بكفه اليمنى خال سهل الله أمره وطريقه هو أخو المهدي من أبيه أو ابن عمه وهو حينئذٍ بآخر المشرق بأهل خراسان وطالقان ومعه الرايات السود الصغار وهي غير رايات بني العباس وعلى مقدمته رجل من بني تميم الموالي ربعة أصفر قليل اللحية كوسج واسمه شعيب بن صالح التميمي يخرج إليه في خمسة آلاف فإذا بلغه خروجه صيره على مقدمته لو استقبلته الجبال الرواسي لهدها، يمهد الأرض للمهدي، فيلتقي الهاشمي بخيل السفياني فيقتل منهم مقتلة عظيمة ببيضاء أصطخر حتى تطأ الخيل الدماء إلى أرساغها ثم تأتيه جنود من قبل سجستان عليهم رجل من بني عدي فيظهر الله أنصاره وجنوده ثم يجتمع مع المهدي ويبايعه وبالله التوفيق[١].

وفي كتاب الفتن عن ضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا: يبعث السفياني خيله وجنوده فيبلغ عامة الشرق من أرض خراسان، وأرض فارس، فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم، ويكون بينهم وقعات في موضع، فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلاً من بني هاشم، مولى لهم، أصفر قليل اللحية، يخرج إليه في خمسة آلاف إذا بلغه خروجه فيبايعه، فيصيره على مقدمته لو استقبلته الجبال الرواسي لهدها،

(١) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ١٧ نقلاً من لوائح الأنوار.

فيلتقي هو وخيل السفياني فيهزمهم ويقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم تكون الغلبة للسفياني، ويهرب الهاشمي، ويخرج شعيب بن صالح متخفياً إلى بيت المقدس يوطن للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام[١].

هذا الحديث يعارض الحديثين اللذين قبله لأنهما أكّدا على أن المنتصر هو الهاشمي بينما أكد هذا الحديث على غلبة السفياني، فكيف نوفق بينهما ونرفع هذا التعارض ونثبت بأن الغلبة لأصحاب الرايات السود فنقول:

أولاً: إن عدداً غير قليل من الأخبار بالإضافة إلى الخبرين المتقدمين والواردة بعدة طرق والتي بلغت حد التواتر تؤكد أن الغلبة لأصحاب الرايات السود. فالرواية المتواترة لا تعارضها الرواية غير المتواترة وإن صح سندها، ناهيك عن الرواية المجهولة الراوي والمروي عنه.

نذكر هنا بعض الأخبار الواردة من طرق مختلفة تؤكد غلبة الرايات السود:

١ ـ عن نعيم بن حماد، عن محمد بن الحنفية قال: تخرج رايات سود لبني العباس ـ المعني بهذه الرايات أبو مسلم الخراساني كما سيأتي ـ ثم تخرج من خراسان أخرى سود قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له: شعيب بن صالح من تميم،

---

(١) الفتن: ٢٢١، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٧٠ ونسبه للمصنف، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٧٣.

يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل بيت المقدس يوطئ للمهدي سلطانه...[(١)].

٢ ـ عن نعيم بن حماد، عن أبي جعفر قال: يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمين خال من خراسان برايات سود بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم[(٢)].

٣ ـ وأخرج (ك) أيضاً عن علي عليه السلام قال: تخرج رايات سود تقاتل السفياني، فيهم شاب من بني هاشم في كفه اليسرى خال، وعلى مقدمته رجل من تميم يدعى شعيب بن صالح، فيهزم أصحابه[(٣)].

ثانياً: إن الرواية ذكرت صفة شعيب أنه: لو استقبل بهم الجبال لهدّها ثم قالت الرواية: فيلتقي هو وخيل السفياني، فيهزمهم فيقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم تكون الغلبة للسفياني، فكيف يهزمهم شعيب ويقتل منهم مقتلة عظيمة ثم يكون هو المغلوب؟! ثم إن هذه الهزيمة لا تنسجم مع قوله عليه السلام لو استقبل بهم الجبال لهدها. وبما أن التناقض لا يجوز صدوره من المعصوم فلا بد أن تكون الإضافة صادرة من غير المعصوم يعني تكون من الراوي.

ثالثاً: إن سند الرواية ضعيف إذ لم يذكر فيه الراوي والمروي عنه، بصراحة فعبارة ضمرة بن حبيب ومشايخهم عبارة مقتضبة

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٧٠.
(٢) الحاوي للفتاوي ٢: ١٤٠، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٧١.
(٣) الحاوي للفتاوي ٢: ١٤١، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٧٢.

وملتبسة لا يفهم منها الراوي، فضعف السند يؤدي إلى ضعف الرواية لا سيما الشطر الأخير منها، لأنه لا يعضدها أي نص من النصوص المتعلقة بهذا الباب. فانفرادها بهذه الإضافة مع ضعفها يؤكد حقيقة الوضع فيها.

رابعاً: ثم إن عدداً غير قليل من الروايات تؤكد أن شعيباً هو الذي سيرسل بيعته من الكوفة لمّا يسمع بظهور المهدي بمكة المكرمة وهو الذي سيكون على مقدمة جيشه عندما يلتقي مع السفياني في الشام، وهو الذي سيقتل السفياني على أعتاب القدس، وهذا يدل بشكل صريح أن المهزوم إلى القدس هو السفياني وليس شعيباً كما يزعم الراوي.

مقتل السفياني على أعتاب القدس

وقد تكاثرت الروايات والآثار بأمر المهدي وقد ذكر العلماء أن أول ظهوره يكون شاباً.. إلى أن قال: ثم يتوجه إلى المدينة ومعه المؤمنون، ثم يسيرون إلى جهة الكوفة ثم يعود منهزماً من جيش السفياني فيخرج الله على السفياني من أهل المشرق وزير المهدي - يعني به شعيباً - فيهزم السفياني إلى الشام فيقصده المهدي فيذبحه عند عتبة المقدس كما تذبح الشاة ويغنمه ومن معه من أخواله الذين هم جنده من بني كلب ولا أكثر من تلك الغنيمة.

وفي رواية أنه يخرج رجل من كلب يقال له: كنانة يعينه كوكب في رهط من قومه حتى يأتي الصخري يعني السفياني - فيبعث إليه المهدي راية وأعظم راية في زمانه مائة رجل، فتصل كلب خيلها

ورجلها وإبلها وغنمها فإذا تسامت الخيلان ولت كلب أدبارها فيقتلونهم ويسبونهم حتى تباع العذراء منهم بثمانية دراهم، ويؤخذ الصخري فيؤتى به أسيراً إلى المهدي فيذبح على صخرة المعترضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي ببطن الوادي على درج طورزيتا المقنطرة التي على الوادي كما تذبح الشاة.

وفي رواية ثم يؤخذ عروة السفياني على أعلى شجرة على بحيرة طبرية..[1] وفي رواية ابن مسعود: ... ثم إن المهدي عليه السلام يقول: أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدو الله وعدوكم فيجيبونه ولا يعصون له أمراً، فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام لمحاربة عروة بن محمد السفياني وكل من معه من كلب ثم يتبدد جيشه ثم يوجد عروة السفياني على أعلى شجرة على بحيرة طبرية والخائب من خاب يومئذٍ من قتال كلب ولو بكلمة أو بتكبيرة أو بصيحة...[2]

الرواية الأولى ذكرت أن الإمام المهدي يعود مهزوماً من جيش السفياني من الكوفة وهذا افتراء محض لأن المهدي عندما يقدم الكوفة يجدها محررة من السفياني بواسطة ـ شعيب والهاشمي ـ كما مر ذلك، وإن جيشه محفوف بالملائكة وجبرائيل عن يمينه ومكائيل عن شماله ومكتوبٌ على رايته الاسم الأعظم وأنه منصور لا محالة ومسبوق بالرعب فلا تستطيع أي قوة في العالم أن تدحر جيشاً محفوفاً

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ١٩.
(٢) التذكرة للحافظ القرطبي: ٦١٨، الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ٢٠٣.

برعاية الله ومدعوماً بملائكته ومسدداً بتسديده، وفيما يلي نذكر بعض الأخبار التي ذكرت ذلك لنفد بها الأكذوبة التي مر ذكرها.

ـ عن ابن مسعود وغيره من الصحابة: أنه يخرج في آخر الزمان من المغرب الأقصى ـ يعني المهدي عليه السلام ـ يمشي النصر بين يديه أربعين ميلاً، راياته بيض وصفر فيها رقوم فيها اسم الله الأعظم مكتوب فلا تهزم له راية، وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له: ماسنة من قبل المغرب فيعقد هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون... إلى أن قال: فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام لمحاربة عروة بن محمد السفياني وكل من معه من كلب... مر الحديث في الصفحة السابقة...

ـ وفي كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة: ... ثم يتوجه إلى الشام وجبرائيل على مقدمته وميكائيل على يساره ومعه أهل الكهف أعوان له... إلى أن قال: فيقدم الشام فيأخذ السفياني فيذبح تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية.

والذي يجهر في الجمع بين روايات ذبح السفياني أنه يذبح تحت الشجرة هو أو وزيره، والذي يذبح على العتبة هو نفسه إن كان المذبوح تحت الشجرة وزيره...[(١)].

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ١٩ ـ ٢٠.

مدة ولاية السفياني حمل امرأة

ذكرت أغلب الأخبار أن مدة ولاية وحكومة السفياني سبعة أشهر أو ثمانية أو تسعة وهي مدة حمل المرأة كما هو معروف، ولكن انفردت رواية واحدة حيث ذكرت مدة ولايته بثلاث سنين ونصف وهذا معارض للإجماع الذي أقره علماء المسلمين بأن مدة حكمه حمل امرأة وهذا ما سنثبته هنا:

ـ في كتاب الفتن عن جابر، عن أبي جعفر قال: يملك السفياني حمل امرأة[1].

ـ وفيه أيضاً عن أبي هزان عن كعب قال: ولايته تسعة أشهر أو سبعة أشهر.

قال أبو بكر: وقال ضمرة ودينار بن دينار: ولايته حمل[2].

ـ وفيه أيضاً: عن سليمان بن عيسى قال: بلغني أن السفياني يملك ثلاث سنين ونصف[3].

وفي كتاب البحار ذكر رواية عن عيسى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السفياني من المحتوم وخروجه من أول خروج إلى آخره خمسة عشر شهراً، ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً[4].

---

(١) الفتن: ١٨٨ فيه جابر هو الجعفي: ضعيف.
(٢) الفتن: ١٨٩ إسناد ضعيف.
(٣) الفتن: ١٨٩ إسناده ضعيف: فيه يحيى بن سعيد العطار: ضعيف. وشيخ سليمان بن عيسى: مجهول.
(٤) البحار ٥٢: ٢٤٨.

العلامة الثانية خروج الدجال

خروج الدجال: الأخبار الصحيحة متواترة بخروجه بلا شك وإنما الاختلاف في صفته وهيئته[(١)].

- وفي كتاب المهدي عند أهل السنة عن أبي بكر الإسكافي في فوائد الأخبار، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: من كذب بالدجال فقد كفر، ومن كذب بالمهدي فقد كفر[(٢)].

- وفي كتاب الفتن عن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) قال: خطبنا رسول الله ﷺ وقال: أيها الناس إنها لم تكن فتنة في الأرض أعظم من فتنة الدجال، وإن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا حذّر أمته وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة...[(٣)].

الرد على الكذب بالدجال

أصدر الشيخ عبد الله بن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعية في دولة قطر رسالة سماها (لا مهدي ينتظر بعد رسول البشر) جاء فيها قوله حول الدجال: إن ما ورد بشأن الدجال أشبه بالأساطير الباطلة فإن رجلاً يمشي على رجلين يطوف البلاد يدعو الناس لعبادته ويكون معه جنة ونار، يلقي فيهما من يشاء كل هذا من الأمور التي لا يسيغها العقل والنبي أجل من أن يأتي بشيء تنقضه بداهة النظر، وإلا

---

(١) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ٦٧.

(٢) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ٣٩٢، عن كتاب الحاوي للفتاوي ٢: ١٦٠، الفتاوي الحديثة: ٣٧.

(٣) الفتن: ٣٥٥.

فما هي جنته وما هي ناره التي تتبعانه حيث سار هل هما مرئيان أو خياليان. . . إلخ؟.

فأجابه عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية الشيخ عبد المحسن العباد بقوله:

ويجاب عن هذه الشبهة بأن ما صح عن رسول الله ﷺ من أخبار الدجال يقبله العقل السليم، ولا يرده والعقل لا يتعارض مع النقل الصحيح وإذا لم يحصل الاتفاق والتطابق بين العقل والنقل على أمر ما تعين اتهام العقل كما ثبت في الصحيحين عن سهل بن حنيف (رض) أنه قال: يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم وكما جاء عن علي (رضي الله عنه) في سنن أبي داود قال الحافظ في الفتح بسند حسن أنه قال: لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه. هذا من جهة ومن جهة أخرى العقول تتفاوت فقد يقبل هذا ما لا يقبله هذا، وأحاديث الدجال الثابتة صدّق بها الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) وقبلتها عقولهم وكذا التابعون لهم بإحسان.

فالعقول التي لم تقبل ما قبلوه قد أصيبت بمرض لا شفاء لها منه إلا بالاعتصام بما جاء في الكتاب والسنة على ما درج عليه سلف الأمة.

ومن جهة ثالثة هذه الأمور التي يأتي بها الدجال هي من جملة فتنته التي هي أعظم فتنة في الحياة الدنيا، وهي تحصل منه بإذن الله ابتلاءً وامتحاناً للعباد في ذلك الزمان، وهي غير مستحيلة عقلاً أما كونها على خلاف ما هو معتاد ومألوف فنعم ومن أجل هذا صارت

فتنة، ومن عرف أن الله على كل شيء قدير وأن الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى أخبر عن الدجال بهذه الأخبار التي منها طوافه البلاد ودخولها ما عدا مكة والمدينة ومعه جنة ونار، أقول: من عرف كمال قدرة الله وأخبار المصطفى ﷺ بهذه الأمور لم يتردد في التصديق بذلك وأنه سيقع وفقاً لما أخبر به ﷺ[1].

قوله: كيف يعقل أن رجلاً أعور مكتوب على جبهته كافر يقرأها الكاتب والأمي على السواء يقوم بين الناس فيدعوهم لعبادته فتروج له دعوة أو تسمع له كلمة أي يبلغ به الانحطاط العقلي إلى درجة يعتقد فيها بألوهية رجل مشوه الخلقة مكتوب في وجهه كافر بالأحرف العريضة وأي جيل من أجيال الناس تروج فيهم مثل هذه الدعوة؟... إلخ.

فأجاب الشيخ عبد المحسن على هذه الشبهة بقوله: أقول: هذه إحدى شبهه التي اعتمد عليها في رد النصوص الصحيحة ولا أدري كيف فات على هذا المسكين أن الأبصار لا تغني شيئاً إذا عميت البصائر فإنها لا تعمي الأبصار بل تعمي القلوب التي في الصدور وكيف ينكر النصوص المتواترة لأن عقله استبعد أن تروج دعوة الدجال ويقبل قوله وقد كتب على وجهه كافر يقرأها الكاتب والأمي مع وجود المثال المحسوس فيما نشاهده ونعاين في هذا العصر الذي

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٥٦، انظر مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٥ سنة ١٤٠٠ هـ.

نعيش فيه فأكثر البلاد التي تنتمي إلى الإسلام لا تحكم بشريعة الإسلام مع أن آيات القرآن ينادى بها بأعلى الأصوات، ومنها قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات فإن الذين تروج عليهم دعوة الدجال في آخر الزمان فيتبعونه لعمى بصائرهم مع أنه مكتوب على وجهه كافر يقرأها الكاتب والأمي هم من جنس الذين عميت أبصارهم في عصرنا فلم يحكموا شريعة الإسلام مع قراءتهم القرآن وفيه مثل هذه الآيات وسماعهم لها في الإذاعات ما أشبه الليلة بالبارحة والله المستعان.

قوله: لماذا لم يذكر في القرآن عن هذا المسيح الدجال شيئاً مع خطورة أمره وعظم فتنته كما تدل عليه الأحاديث الموضوعة، فهل يعقل أن القرآن يذكر ظهور دابة الأرض ولا يذكر ظهور ذلك الدجال الذي معه جنة ونار يفتتن به الناس؟!

تلازم القرآن والسنة

والجواب عن هذه الشبهة أن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ وقال ﷺ: ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه يعني السنة، والسنة والقرآن متلازمان لا يفترقان ومن لم يؤمن بالسنة لم يؤمن بالقرآن ومن زعم فصل السنة عن القرآن يقال له: أين وجدت في القرآن أعداد الصلوات وأعداد

ركعاتها وكيفيتها وغير ذلك مما لا يعرف توضيحه وبيانه إلا في السنة التي هي شقيقة القرآن والموضحة والمبينة له؟

ولم تعدم السنة منذ أزمان أعداء لها هم في الحقيقة أعداء للقرآن يشككون فيها ويحاولون فصلها عن القرآن وقد هيأ الله من العلماء من يذب عنها ويدحض لشبه أعدائها ومنهم الحافظ السيوطي فقد ألف رسالة لطيفة سماها مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة افتتحها بعد حمد الله بقوله: اعلموا يرحمكم الله أن من العلم كهيئة الدواء ومن الآراء كهيئة الخلاء لا تذكر إلا عند داعية الضرورة، وإن مما فاح ريحه في الزمان وكان دارساً بحمد الله منذ زمان وهو أن قائلاً رافضاً زنديقاً أكثر في كلامه أن السنة النبوية والأحاديث المروية ـ زادها الله علواً وشرفاً ـ لا يحتج بها وأن الحجة في القرآن خاصة ـ إلى أن قال: ـ فاعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النبي صلى الله عليه وآله قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر وخرج عن دائرة الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء الله من فرق الكفرة روى الإمام الشافعي (رضي الله عنه) يوماً حديثاً وقال: إنه صحيح فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟ فاضطرب وقال: يا هذا أرأيتني نصرانياً؟ أرأيتني خارجاً من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زناراً؟ أروي حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أقول به[1].

نضيف إلى كلام الأستاذ الشيخ عبد المحسن العباد حججاً أخرى في الرد على شبهة ابن محمود فنقول: إن كثيراً من الفتن التي

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٥٦ ـ ٤٥٧، انظر مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٥ سنة ١٤٠٠ هـ.

أخبر بها رسول الله ﷺ وحصل بعضها وسيحصل البعض الآخر على صعيد المستقبل لم يذكرها القرآن ولم يشر لها بأي شكل من الأشكال فهل يصح لنا أن نكذب الرسول ﷺ ولا نصدق بما أخبر به من الفتن بحجة أن القرآن لم يشر لها مع أن الكثير منها قد حصل فعلاً وشاهد المسلمون أحداثها فيما مضى؟

أيصح للمسلم الذي آمن بنبوة الرسول ﷺ وصدّق بالقرآن الموحى إليه بكل ما فيه من المغيبات كالحشر والنشر والبرزخ والجنة والنار، أن يكذّبه فيما لا يعقله من الفتن التي أخبر بها مع أن القرآن يوجب عليه الإيمان بكل ما أخبر به سواء المذكور منها في القرآن أو غير المذكور فيه على حد سواء.

فأي آية من آيات القرآن أشارت بصراحة إلى فتنة الجمل وخروج عائشة أم المؤمنين (رض) على الخليفة المنتخب من قبل المسلمين، وإحداث مجزرة دامية ذهب ضحيتها الكثير منهم؟ وأي آية ذكرت فتنة صفين وخروج معاوية بن أبي سفيان على خليفة المسلمين، وتسببه في قتل الآلاف منهم، وإحداث فتنة المصاحف التي تسببت في تفريق صفوف المسلمين وخروج فرقة الخوارج الذين قتل منهم ما يقارب الأربعة آلاف في معركة النهروان؟

لقد حصلت كل هذه الفتن التي أخبر عنها الرسول ﷺ بالجملة بقوله: (يا علي إنك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي) ولم نرَ أي إشارة لها في القرآن الكريم، فليس الأمر منحصراً في فتنة الدجال حتى يقال: إن عدم ذكرها موجب لتكذيبها وعدم التصديق بها.

فدعوى ابن محمود في تكذيب رجال الفتنة بحجة أنها لم تذكر في القرآن الكريم دعوى باطلة لا تستند إلى دليل، وأنها ساقته إلى تكذيب ما نص القرآن على وجوب تصديقه وهو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأحدثت الخلل المبين في إيمانه وعقائده..

أوصاف الدجال وأفاعيله ومكان خروجه وأوصاف أتباعه ومقتله

نذكر هنا بعض الأخبار التي ذكرت أوصافه وأوصاف أصحابه ومكان خروجه وما يؤول إليه مصيره حيث يقتل على يدي منقذ البشرية من الظلم والضلال الإمام المهدي (عج) روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء.

ومن هذه الأخبار ما ذكره البلخي في كتابه (البدء والتاريخ) من خبر الدجال حيث قال: خروج الدجال الأخبار الصحيحة متواترة بخروجه بلا شك، وإنما الاختلاف في صفته وهيئته. قال قوم: هو صائف بن صائد اليهودي عليه اللعنة، ولد عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان أحياناً يربو في مهده وينتفخ في بيته حتى يملأ بيته، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فأتاه بنفر من أصحابه فلما نظر إليه عرفه فدعا الله سبحانه وتعالى فرفعه إلى جزيرة من جزائر البحر إلى وقت خروجه.

وفي رواية أخرى أن المسيح الدجّال قد أكل الطعام ومشى في الأسواق وروى أن اسمه عبد الله وهو يلعب مع الصبيان فقال: ابن صياد: أتشهد أني رسول الله؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أشهد أني رسول الله. فقال ابن صياد: أتشهد أني رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إني قد خبأت له خبءاً، قال: ما هو؟ قال: هو الدخ ـ يعني

الدخان ـ فقال النبي ﷺ اخسأ ولن تعدو قدرك. قال عمر: أتأذن لي فأضرب عنقه؟ فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن يكنه فلن تسلط عليه، وإلا يكنه فلا خير في قتله، ثم دعا النبي ﷺ فاختطف.

وجاء في الحديث أنه أغمّ جفال الشعر مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل أحد كاتب وغير كاتب.

واختلفوا في مخرجه فقال قوم: يخرج من أرض كوثي بالكوفة، واختلفوا في من يتبعه، قال قوم: يتبعه اليهود والنساء والأعراب وأولاد المومسات، واختلفوا في العجائب التي تظهر على يديه فقال قوم: يسير حيث سار معه جنة ونار فجنته نار وناره جنّة وأنه يدعي أنه رب الخلائق فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت ويبعث الشياطين في صورة الموتى ويقتل رجلاً ثم يحييه فيفتتن الناس به [. . .][1] ويؤمنون به ويبايعونه، وقالوا: ولا يسخّر له من الدوابّ إلا الحمار واختلفوا في هيئة حماره. . . إلخ[2].

وفي كتاب الفتن عن أسماء بنت يزيد الأنصاري (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي فذكر الدجال، فقال: إن من أشد فتنته أنه يأتي الأعرابي فيقول: أرأيت إن أحييت إبلك ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: نعم، قال: فتمثل له الشياطين نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعاً وأعظمها أسنمة، ويأتي الرجل وقد مات أبوه

---

(١) ما بين المعقوفتين كلمة غير مقروءة.

(٢) البدء والتاريخ ١: ١٨٦ ـ ١٨٩، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٦٧ ـ ٧٠.

ومات أخوه فيقول: أرأيت إن أحييت لك أباك وأخاك، ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى، فتمثل له الشياطين نحو أبيه وأخيه...[1].

وفي كتاب إلزام الناصب عن الأصبغ بن نباتة سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الدجال فقال: يا أمير المؤمنين من الدجال؟ فقال عليه السلام: ألا إن الدجال صايد بن صيد فالشقي من صدقه والسعيد من كذبه، يخرج من بلدة يقال لها: أصبهان من قرية تعرف باليهودية، عينه اليمنى ممسوحة والأخرى في جبهته تضيء كأنه كوكب الصبح فيها علقة كأنها ممزوجة بالدم، بين عينيه مكتوب كافر يقرأه كاتب وأمي، يخوض البحر وتسير معه الشمس بين جبل من دخان وخلفه جبل أبيض يري الناس أنه طعام يخرج في قحط شديد، تحته حمار أقمر خطوة حماره ميل، تطوى له الأرض منهلاً منهلاً، لا يمر بما إلا غار إلى يوم القيامة، ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشياطين، يقول: إلي أوليائي أنا الذي خلق فسوى وقدر فهدى أنا ربكم الأعلى وكذب عدو الله إنه أعور ويطعم الطعام ويمشي في الأسواق، وإن ربكم ليس بأعور ولا يطعم ولا يمشي ولا يزول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ألا وإن أكثر أشياعه يومئذٍ أولاد الزنا، وأصحاب الطيالسة الخضر، يقتله الله عز وجل بالشام على عتبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات من يوم الجمعة على أيدي من يصلي المسيح عيسى بن مريم خلفه...[2].

---

(١) الفتن: ٣٦٧.

(٢) إلزام الناصب ٢: ١٣٢ ـ ١٣٣.

العلامة الحتمية الثالثة هي الصيحة

وقد ورد في كثير من الروايات أن من علائم ظهوره الحتمية هي الصيحة. فورد عن أبي عبد الله عليه السلام في البحار قال: ينادي منادٍ باسم القائم عليه السلام، قلت: خاص أو عام؟ قال: عام يسمع كل قوم بلسانهم، قلت: فمن خالف القائم عليه السلام وقد نودي باسمه؟ قال: لا يدعهم إبليس حتى ينادي في آخر الليل فيشكك الناس[1].

وفيه أيضاً: عن عبد الله بن سنان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعت رجلاً من همدان يقول له: إنّ هؤلاء العامة يعيّروننا ويقولون لنا: إنكم تزعمون أن منادياً ينادي من السماء باسم صاحب هذا الأمر، وكان متكئاً فغضب وجلس ثم قال: لا ترووه عني وارووه عن أبي ولا حرج عليكم في ذلك، أشهد أني سمعت أبي يقول: والله إنّ ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ لبيّن حيث يقول: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ فلا يبقى في الأرض يومئذٍ أحد إلا خضع وذلت رقبته له، فيؤمن أهل الأرض إذا سمعوا الصوت من السماء: ألا إن الحق في علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته، فإذا كان الغد صعد إبليس في الهواء حيث يتوارى عن أهل الأرض ثم ينادي: ألا إن الحق في فلان... إلخ قال: فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق وهو النداء الأول، ويرتاب يومئذٍ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله عداوتنا فعند ذلك يتبرؤون منا ويتناولوننا فيقولون: إن المنادي الأول سحر

---

(١) البحار ٥٢: ٢٠٥.

من أهل هذا البيت ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[١].

وفي كتاب الفتاوي الحديثة لابن حجر المكي: وقول أبي جعفر: لا يخرج المهدي حتى يروا الظلمة، وقوله: ينادي منادٍ من السماء أن الحق في آل محمد، وينادي منادٍ من الأرض: أن الحق في آل عيسى أو قال العباس فشك فيه، وإنما الصوت الأسفل كلمة الشيطان والصوت الأعلى كلمة الله العليا[٢].

وفي كتاب الإشاعة لأشراط الساعة: ومنها ـ أي من علائم ظهوره ـ أنه ينادي منادٍ من السماء: أيها الناس إن الله قد قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم وولاكم خير أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فالحقوا بمكة فإنه المهدي...[٣].

وفي كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر كان يقول: خروج السفياني من المحتوم والنداء من المحتوم... إلى أن قال: قلت: وكيف يكون النداء؟ قال: ينادي منادٍ من السماء أول النهار يسمعه كل قوم بألسنتهم: ألا إن الحق في علي وشيعته، ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الأرض: ألا إن الحق في عثمان[٤] وشيعته، فعند ذلك يرتاب المبطلون[٥].

---

(١) البحار ٥٢: ٢٩٢، الآية ٣ من سورة القمر.
(٢) الفتاوى الحديثية: ٤٢، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٣٧.
(٣) الإشاعة لأشراط الساعة: ٩٠، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٨٣.
(٤) المراد بعثمان في هذا الخبر هو السفياني الذي اسمه عثمان بن عنبسة.
(٥) الغيبة للطوسي: ٢٦٦.

وفي كتاب ينابيع المودة عن كتاب الدرّ المنتظم للشيخ كمال الدين الشافعي ومن إمارات خروج المهدي عليه السلام منادٍ ينادي: ألا إن صاحب الزمان قد ظهر وهو في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان فلا يبقى راقد إلا قام ولا قائم إلا قعد... إلخ[١].

وفي كتاب عقد الدرر ص ١٠٣ عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا كانت الصيحة في رمضان، فإنه يكون معمعة في شوال، وتمير القبائل في ذي القعدة، وسفك الدماء في ذي الحجة والمحرم...

العلامة الحتمية الرابعة الخسف بجيش السفياني

وفي كتاب عون المعبود في الهامش عن مسلم عن عبيد الله بن القبطية قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معهما على أم سلمة أم المؤمنين فسألاها عن الجيش الذي يخسف به ـ وكان ذلك في أيام الزبير ـ فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يعود عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم...[٢].

وفي كتاب لوائح الأنوار بعد ذكر أوصاف السفياني قال: ويخرج إليه رجل من أهل بيتي في الحرم فيبلغ السفياني فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا جاز بيداء من

(١) ينابيع المودة الباب الثامن والستون: ٤١٤.
(٢) عون المعبود ١١: ٣٨٠، المهدي عند أهل السنة ٢: ١٨٦.

الأرض خسف بهم فلا ينجو إلا المخبر عنهم أخرجه الحاكم في مستدركه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه[١].

وفي كتاب التذكرة للقرطبي عن ابن مسعود: ... وأما الجيش الثاني فإنه يصل إلى المدينة فيقاتلونها ثلاثة أيام ثم يدخلونها عنوة ويسبون ما فيها من الأهل والولد، ثم يسيرون نحو مكة أعزها الله لمحاربة المهدي ومن معه فإذا وصلوا إلى البيداء أمسحهم الله أجمعين وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾[٢].

وفي كتاب الحاوي للفتاوي عن حذيفة بن اليمان، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث له: ويخرج جيش آخر من جيوش السفياني إلى المدينة فينهبونها ثلاثة أيام، ثم يسيرون إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام فيقول: يا جبريل عذبهم فيضربهم برجله ضربة يخسف الله بهم فلا يبقى منهم إلا رجلان فيقدمان على السفياني فيخبرانه بخسف الجيش..[٣].

وخلاصة الموضوع أن السفياني يرسل جيش إلى المدينة فيستبيحها ثلاثة أيام ثم يخرج نحو مكة المكرمة ويخسف به الأرض قبل وصوله مكة. وهذه العلامة حتمية أجمع علماء المسلمين على حصولها قبل ظهور القائم من آل محمد.

---

(١) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ٢: ١٦.
(٢) التذكرة للقرطبي: ٦١٠، المهدي عند أهل السنة ١: ١٩٥.
(٣) الحاوي للفتاوي ٢: ١٦٠، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٩٠.

وعلامة السفياني وقتل النفس الزكية والخسف بالبيداء، والصوت من السماء علامات متتابعة كنظام الخرر كما وصفها الإمام الصادق عليه السلام[١].

العلامة الخامسة قتل النفس الزكية بظهر الكوفة

هذه النفس الزكية غير تلك التي تقتل بظهر الكوفة مع سبعين من الصالحين والتي مر ذكرها، لأن هذه تقتل بين الركن والمقام كما ذكرت الأخبار ذلك وقتلها يكون قبل ظهور المهدي عليه السلام بوقت قليل جداً.

ـ فعن ابن محبوب، عن الثمالي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: إن خروج السفياني من الأمر المحتوم، قال لي: نعم واختلاف ولد العباس من الأمر المحتوم، وقتل النفس الزكية من الأمر المحتوم، وخروج القائم عليه السلام من المحتوم[٢].

ـ وفي كتاب الفتن، عن عمار بن ياسر (رضي الله عنه) قال صلى الله عليه وآله: إذا قتل النفس الزكية وأخوه، يقتل بمكة ضيعة، نادى منادٍ من السماء: إن أميركم فلان، وذلك المهدي الذي يملأ الأرض حقاً وعدلاً[٣].

ـ وفي حديث عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه

(١) غيبة النعماني الباب الرابع عشر: ٢٦٢.
(٢) البحار ٥٢: ٢٠٦.
(٣) الفتن: ٢٣٦، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٧٦.

قال: وهو يستعرض علائم ظهور المهدي عليه السلام: ... وخروج السفياني من الشام واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء وقتل غلام من آل محمد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية، وجاءت صيحة من السماء..[(١)].

- وفي كتاب إبراز الوهم المكنون، عن مجاهد قال: حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله: أن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية، فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض فأتى الناس المهدي فزفوه كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها...[(٢)].

العلامة السادسة خروج السيد الحسني

ومن العلامات الحتمية خروج السيد الحسني الصبيح الوجه ويحتمل أن يكون هو السيد الهاشمي قائد أصحاب الرايات السود أو الخرساني كما نرى ذلك من خلال القرائن الحالية واللفظية التي تكشف عنها الأخبار الآتية:

- وفي حديث المفضل قال: سألت سيدي الصادق عليه السلام: هل للمأمور المنتظر المهدي عليه السلام من وقت موقت يعلمه الناس؟ فقال: حاشا الله أن يوقت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا (والحديث مفصل) - إلى أن قال: ثم يخرج الحسني الفتى الصبيح الذي نحو الديلم يصيح

---

(١) البحار ٥٢: ١٩١.

(٢) إبراز الوهم المكنون..: ٥٧٣، المهدي عند أهل السنة ٢: ٣٦٥.

بصوت فصيح: يا آل أحمد أجيبوا الملهوف والمنادي من حول الضريح فتجيبه كنوز الله بالطالقاني كنوز، وأي كنوز! ليست من فضلة ولا ذهب بل هي رجال كزبر الحديد على البراذين الشهب بأيديهم الحراب ولم يزل يقتل الظلمة حتى يرد الكوفة وقد صفى أكثر الأرض فيجعلها له معقلاً..[1].

وفي كتاب لوائح الأنوار في حديث له: ويثور أهل خراسان بعساكر السفياني فتكون بينهم وقعات فإذا طال عليهم قتاله بايعوا رجلاً من بني هاشم بكفه اليمنى خال سهل الله أمره وطريقه هو أخوه المهدي من أبيه أو ابن عمه وهو حينئذٍ بآخر المشرق من أهل خراسان وطالقان ومعه الرايات السود الصغار وهي غير رايات بني العباس، على مقدمته رجل من تميم الموالي... إلى أن قال: فيلتقي الهاشمي بخيل السفياني فيقتل منهم مقتلة عظيمة...[2].

وفي سفينة البحار في خطبة الملاحم لأمير المؤمنين عليه السلام التي خطب بها بعد وقعة الجمل بالبصرة، قال: يخرج الحسيني صاحب طبرستان مع جمّ كثير من خيله ورجله حتى يأتي نيسابور فيفتحها ويقسّم أبوابها ثم يأتي أصبهان ثم إلى قم فيقع بينه وبين أهل قم وقعة عظيمة يقتل فيها خلق كثير فينهزم أهل قم فيفزع أهل قم إلى رجل يقال له: وراردهار، فيقيم الحسني ببلدهم أربعين يوماً ويقتل منهم عشرين رجلاً ويصلب منهم رجلين ويرحل عنهم...[3].

(١) البحار ٥٣: ١٥.
(٢) عنه في كتاب المهدي عند أهل السنة ١: ١٧.
(٣) سفينة البحار ٢: ٤٤٦.

- وفي كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة نقلاً من كتاب الفتن والملاحم لابن كثير: تخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء حتى تنصب بإيلياء[1]. ثم قال: وهذه الرايات ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني، فاستلب بها دولة بني أمية في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بل رايات سود أُخر تأتي صحبة المهدي عليه السلام ...[2].

وفي كتاب الفتن عن محمد بن الحنفية قال: ... ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود، وثيابهم بيض، على مقدمتهم رجل يقال له: شعيب بن صالح بن شعيب من تميم، يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل ببيت المقدس..[3].

وفيه أيضاً: عن علقمة عن عبيد الله (رضي الله عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث له: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي هؤلاء سيلقون بعدي بلاءً وتطريداً وتشريداً حتى يأتي قوم من ها هنا، من نحو المشرق أصحاب رايات سود...[4].

وفيه أيضاً: عن عبد الله بن إسماعيل البصري، عن أبيه، عن الحسن قال: يخرج بالري رجل ربعة أسمر مولى لبني تميم، كوسج

(١) ذكرها الترمذي في صحيحه ٢: ٤٤ أبواب الفتن.
(٢) الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٠١.
(٣) أخرجه أبو عمرو الداني ٥: ٥٧٣، الفتن: ٢١٣.
(٤) الفتن: ٢١٣، أخرجه أبو عمرو الداني ٥: ٥٤٦، وابن أبي عاصم في السنة ٢: ٦٣٣.

يقال له: شعيب بن صالح في أربعة آلاف، ثيابهم بيض، راياتهم سود يكون على مقدمة المهدي لا يلقاه أحد إلا فله[(١)].

وفيه أيضاً: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يخرج شاب من بني هاشم، بكفه اليمنى خال، من خراسان، برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم[(٢)].

هذه نماذج من الروايات الدالة على خروج الحسني الهاشمي الخراساني قبل ظهور مولانا القائم (عج) وهي تدل على أن الحسني والهاشمي والخراساني وأصحاب الرايات السود واحد لا غير وهذا ما أكدته القرائن:

منها: إن جميع هؤلاء يخرجون من جهة الشرق من جهة خراسان لا غير، وإذا علمنا أن الذي يخرج من خراسان واحد كما ذكرت الأخبار لا أكثر فيكون الموصوف بأوصاف أربع هو واحد خراساني وسيد من بني هاشم وحسني.

ومنها: إن الذي يخرج بقيادة الرايات السود شاب من بني هاشم، بكفه اليمنى خال، وعلى مقدمته شعيب بن صالح التميمي وإذا علمنا أن شعيب واحد لا غير فلا بد أن يكون الجيش الخارج من خراسان واحد أيضاً، وإلاّ كيف يستطيع رجل واحد أن يقود أربعة جيوش ويكون على مقدمتها في آن واحد؟ وهناك قرائن أخرى لا موجب لذكرها لأن ما ذكرناه كاف في إثبات أن السيد الحسني الهاشمي الخراساني واحد.

---

(١) الفتن: ٢١٤، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٦٨.
(٢) الفتن: ٢١٤، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٦٨.

العلامة السابعة والقريبة من الظهور جداً هي تحارب القبائل بمنى

وهذه العلامة التي ستقع قبل ظهور الإمام المهدي بأيام حيث إنها تقع في منى في شهر ذي الحجة ويكون ظهوره عليه السلام في عشرة محرم الحرام.

فالفاصل بين ظهوره وهذه الملحمة التي تقودها القبائل في منى أقل من شهر. وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله لهذه الملحمة في جملة من الأخبار فذكر بعضها:

ـ ففي كتاب الحاوي للسيوطي عن شهر بن حوشب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيكون في رمضان صوت، وفي شوال معمعة وفي ذي الحجة تحارب القبائل، وعلامته [أن] ينهب الحاج، وتكون ملحمة بمنى، تكثر فيها القتلى، وتسيل فيها الدماء، حتى تسيل دماؤهم على الجمرة، حتى يهرب صاحبهم فيؤتى بين الركن والمقام فيبايع وهو كاره...[1].

وفي كتاب الفتن عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: في ذي القعدة تحارب القبائل، وعامئذٍ ينهب الحاج فتكون ملحمة بمنى، فيكثر فيها القتلى، وتسفك فيها الدماء حتى تسيل دماؤهم على عقبة الجمرة حتى يهرب صاحبهم فيؤتى بين الركن والمقام فيبايع وهو كاره، ويقال له: إن أبيت ضربنا عنقك، فيبايعه مثل عدة من أهل بدر...[2].

---

(١) الحاوي للفتاوي ٢: ١٦٠، المهدي عند أهل السنة ١: ٣٩٢.

(٢) الفتن: ٢٣٨، أخرجه الحاكم عن عمرو بن شعيب في المستدرك ٤: ٥٠٣.

وفيه أيضاً: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو (رض) عنهما قال: يحج الناس معاً، ويعرفون معاً على غير إمام، فبينما هم نزول بمنى إذا أخذهم كالكلب، فثارت القبائل بعضهم إلى بعض فاقتتلوا حتى تسيل العقبة دماً، فيفزعون إلى خيرهم فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة..[١]

ـ وفيه أيضاً: عن شهر بن حوشب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: في ذي القعدة تحارب القبائل، وفي ذي الحجة ينهب الحاج، وفي المحرم ينادي مناد من السماء[٢].

العلامة الثامنة خروج دابة الأرض

ومن العلامات الحتمية خروج دابة من الأرض تكلم الناس كما أشار لذلك القرآن: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ فيما إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر[٣].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: خروج الدابة بعد طلوع الشمس، فإذا خرجت قتلت الدابة إبليس، وهو ساجد، ويتمتع المؤمنون في الأرض بعد ذلك أربعين سنة، لا يتمنون شيئاً إلا أعطوه ووجدوه، فلا جور ولا ظلم، وقد أسلم الأشياء لرب العالمين طوعاً وكرهاً، والمؤمنون طوعاً والكفار كرهاً، والسبع والطير كرهاً، حتى أن السبع لا يؤذي دابة ولا طير، ويلد المؤمن فلا يموت حتى يتم أربعين سنة بعد

---

(١) الفتن: ٢٣٨.
(٢) الفتن: ٢٣٨، أخرجه أبو عمرو الداني ٥: ٥١٩، وأخرجه الطبراني في الأوسط ١: ٥١٢.
(٣) الفتن: ٤٤٦، أخرجه الطبري ١٠: ١٥.

خروج دابة الأرض، ثم يعود فيهم الموت فيمكثون بذلك ما شاء الله...[١].

ـ وعن حماد بن سلمة بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله قال: تخرج الدابة ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليه السلام فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن الخوان ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن، وهذا: يا كافر[٢].

ـ وعن ابن عباس: قوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال: هي ذات زغب وريش، لها أربع قوائم، تخرج في بعض أودية تهامة؛ وقال عبد الله بن عمرو: تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء، فتفشو في وجهه حتى يسود وجهه وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء، فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه، فيجلس أهل البيت على المائدة، فيعرفون المؤمن من الكافر، ويتبايعون في الأسواق، فيعرفون المؤمن من الكافر[٣].

ـ وفي إلزام الناصب عن صعصعة بن صوحان، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في حديث له: خروج الدابة من الأرض من عند الصفا معها خاتم سليمان وعصا سليمان، تضع الخاتم على وجه كل مؤمن فيطبع فيه: هذا مؤمن حقاً، وتضعه على وجه الكافر فيكتب

---

(١) الفتن: ٤٤٧، أخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٥٢١.

(٢) الفتن: ٤٤٨، أخرجه الترمذي في سننه ٣: ٣٤، وابن ماجه (٤٠٦٦) وأحمد في مسنده ٢: ٢٩٥، الحاكم في المستدرك ٤: ٤٨٥، والطيالسي (٢٥٦٤) والبغوي ٣: ٤٢٩، والطبري ١٠: ١٥.

(٣) الفتن: ٤٤٨، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١٠٥.

فيه: هذا كافر حقاً حتى أن المؤمن لينادي: الويل لك يا كافر، وإن الكافر ينادي: طوبى لك يا مؤمن وددت أني اليوم مثلك فأفوز فوزاً عظيماً.

ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين بإذن الله عزّ وجلّ بعد طلوع الشمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً[1].

من خلال مطالعة النصوص المتعلقة بهذه العلامة نعلم أنها قريبة جداً من وقت ظهوره أيضاً، وأن الهدف منها هو تميز المؤمنين عن المنافقين والمشركين والكافرين لكي لا يلتبس الأمر على المؤمنين بحيث لا يعرفون صديقهم ونصيرهم من عدوهم ومحاربهم.

فإذا عرف المؤمنون بعضهم البعض الآخر وشخصوا أعداءهم تمكنوا باتحادهم وبقيادة الإمام عليه السلام من القضاء عليهم قضاءً تاماً، وتمهيد الأرضية الصالحة لقيام دولته عليه السلام، إذ مع وجود أعداد كبيرة من المنافقين والمشركين والكافرين في كل أرجاء العالم لا يتمكن الإمام عليه السلام بمعية المؤمنين أن يقيم دولته المباركة، ولا ينجز قوانينها العادلة، ولا يستطيع إجراء مشاريعها الإصلاحية التي ستصلح كل ما فسد من شؤون البشرية ما لم يقضِ عليهم قضاءً مبرماً ولا يترك منهم أحداً على سطح الأرض بحيث لا يبقى إلا الموحدون من حملة مبادئه

---

(١) إلزام الناصب ٢: ١٣٣.

السامية ودعاة نهضته العادلة، وهذا ما أشارت له الآيات والروايات المارة الذكر، والتي سنذكر بعضها أيضاً في باب إنجازات الإمام عليه السلام وثمار دولته المباركة.

هذا ما أدركه عقلنا القاصر من النصوص المتعلقة بدابة الأرض والله العالم بحقيقة الأمر والحكمة من وراء إخراجها، لأننا مهما أجهدنا أنفسنا لا نستطيع أن ندرك العلة التامة لمثل هذه الأمور وإنما ندرك من خلال الظواهر الأمور التي تدور مدار العلة ليس إلا.

العلامة التاسعة النداءات الثلاثة التي تسبق الظهور بقليل

ثلاثة نداءات من السماء تسمعها كل الخلائق كلٌّ بلغته التي يفهمها وذلك قبل ظهور المهدي (عج) بقليل. وهذه العلامة تعد من العلامات الحتمية التي لا بد من حصولها قبل ظهوره بفترة وجيزة.

وتتألف هذه العلامة من نداءات ثلاثة متعاقبة تصدر من السماء على النحو التالي:

النداء الأول: ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

النداء الثاني: أزفت الآزفة.

والنداء الثالث: بدن يرى في السماء أمام جرم الشمس ويظهر صوت منه: هذا أمير المؤمنين رجع إلى الدنيا لهلاك الظالمين.

ـ عن ابن محبوب، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث له طويل اختصرنا منه موضع الحاجة: وقد نودوا نداءً يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب يكون رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين،

فقلت: وأي نداء هو؟ قال: ينادون في رجب ثلاثة أصوات من السماء صوتاً منها: ألا لعنة الله على القوم الظالمين، والصوت الثاني: أزفت الآزفة يا معشر المؤمنين، والصوت الثالث: يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس هذا أمير المؤمنين قد كرّ في هلاك الظالمين. وفي رواية الحميري والصوت بدن يرى في قرن الشمس يقول: إن الله بعث فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا، وقالا جميعاً فعند ذلك يأتي الناس الفرج وتودّ الناس لو كانوا أحياء ويشفي الله صدور قوم مؤمنين[١].

العلامة العاشرة ذهاب ثلثي العالم

ومن علامات الظهور ذهاب ثلثي العالم بالحروب والأمراض والآفات الطبيعية ولا يبقى من سكانه إلا الثلث، وهذه العلامة تبدو أنها حتمية أيضاً.

ومن خلال مطالعة العلامات التي تسبق الظهور نرى أن هذه العلامة تكون الأولى من حيث الترتيب، لأن خروج السفياني والدجال وما تدور من حروب بينهما وبين أصحاب المهدي عليه السلام تكون بالسلاح الأبيض وليست بالأسلحة الفتاكة، ومعنى هذا أن العالم في ذلك الوقت خال من الأسلحة النووية والجرثومية والكيميائية والصواريخ البعيدة المدى والطائرات الحربية المتطورة وغيرها، إذ لو كانت موجودة لما استغنى الطواغيت عن استخدامها.

وخلو العالم من هذه الأسلحة يعني حصول حرب كونية ثالثة

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ٢٦٨ طبع طهران إصدار مكتبة نينوى الحديثة ناصر خسرو مروي.

شرسة قبل ظهوره عليه السلام تودي بحياة ثلثي سكان العالم وتحطم جميع تلك الأسلحة الفتاكة وتقضي على مراكز القوى وتحدث الخلل بالموازنات العسكرية، وتتسبب بنشوب معارك طاحنة بين شعوب الأرض. وتفسح المجال لظهور السفيانيين والدجالين والمشعوذين ليستثمروا الظروف الاستثنائية المشحونة بالاضطرابات والهرج والمرج لتحقيق مصالحهم الشخصية على حساب بؤس وشقاء المستضعفين والمعذبين في العالم أجمع..

ومن هذه الروايات التي ذكرت ذهاب ثلثي العالم:

ـ عن الصادق عليه السلام قال: لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس، فقيل: فإذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقى؟ فقال عليه السلام: أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي[1].

ـ وفي غيبة النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام: لا يكون هذا الأمر حتى يذهب تسعة أعشار الناس[2].

ـ وفي كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة نقلاً من كتاب الإشاعة رواية مفادها: أنه يحسر الفرات عن جبل من ذهب كما تقدم في ص ١٤ فإذا سمع به الناس ساروا إليه واجتمع عليه ثلاثة كلهم ابن خليفة يقتتلون عنده ثم لا يصير إلى أحد منهم فيقول لكل واحد: والله لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن بكله فيقتتلون عليه حتى

(١) إلزام الناصب ٢: ١٣٦ عن البحار.
(٢) إلزام الناصب ٢: ١٢٥ عن غيبة النعماني.

يقتل من كل مائة تسعة وتسعون، وفي رواية فيقتل تسعة أعشارهم، وفي رواية من كل تسعة سبعة..[١].

العلامة الحادية عشرة ظهور الآيات الكونية

وفيما يلي نذكر بعض العلامات والآيات الكونية التي تسبق ظهور الإمام المهدي (عج) ومنها حتمي ومنها غير حتمي، وبعضها قد حصل فيما مضى وبعضها سيحصل على صعيد المستقبل.

منها: طلوع كف من السماء. فذكر عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: النداء من المحتوم، والسفياني من المحتوم، واليماني من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وكف تطلع من السماء من المحتوم الحديث[٢].

ومنها: كسوف الشمس وخسوف القمر. ففي إرشاد المفيد: وكسوف الشمس في نصف شهر رمضان وخسوف القمر في آخره على خلاف العادات[٣].

ـ وعن يزيد بن خليل الأسدي قال: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي فذكر آيتين تكونان قبل المهدي عليه السلام لم تكونا منذ أهبط الله تعالى آدم وذلك أن الشمس تنكسف في النصف من شهر رمضان والقمر ينخسف في آخره...[٤].

(١) المهدي عند أهل السنة ٢: ١٥.
(٢) غيبة النعماني: ٢٥٢ ب ١٤.
(٣) الإرشاد باب علامات قيامه(ع): ٣٥٧.
(٤) عقد الدرر: ٦٦ الفصل الأول، الروضة: ١٧٩.

ـ وفي كتاب الحاوي للفتاوي للسيوطي: وأخرج (ك) نعيم عن كعب قال: يطلع نجم من المشرق قبل خروج المهدي عليه السلام له ذنب يضيء[١].

ـ وفيه أيضاً وأخرج نعيم عن شريك قال: بلغني أنه قبل خروج المهدي عليه السلام ينخسف القمر في شهر رمضان مرتين[٢].

ـ وفي كتاب التذكرة للحافظ القرطبي يروي من حديث شريك أنه بلغه أن قبل خروج المهدي تنكسف الشمس في رمضان مرتين والله أعلم[٣].

ـ وفي سنن الدارقطني عن جابر، عن محمد بن علي قال: إن لمهدينا آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض، ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه ولم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض[٤].

ـ ومن الآيات الكونية التي تسبق الظهور طلوع الشمس من مغربها..[٥].

ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾[٦]: وطلوع الشمس من مغربها[٧].

---

(١) الحاوي للفتاوي ٢: ١٦٠، انظر الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ٣٩٢.
(٢) الحاوي للفتاوي ٢: ٣٩٢، انظر المهدي عند أهل السنة ١: ٣٩٢.
(٣) التذكرة للقرطبي: ٦١٩، انظر المهدي عند أهل السنة ١: ٢٠٤.
(٤) التذكرة: ٦١٩، عن سنن الدار قطني، انظر المهدي عند أهل السنة ١: ٢٠٤.
(٥) الأنعام: ٣٧.
(٦) الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٢٠٩.
(٧) بحار الأنوار ٥٢: ١٨١.

ـ وفي خطبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين بإذن الله عزّ وجلّ بعد طلوع الشمس من مغربها الحديث[١].

ـ وجعل بعض هذه العلامة من علامات القيامة الكبرى، ويحتمل أن تكون من علامات الظهور وعلامات القيامة الكبرى كليهما ويحتمل أن تكون كناية من ظهوره عليه السلام حيث يظهر عليه السلام من مكة التي هي سمت المغرب كما يستفاد ذلك من خطبة أمير المؤمنين وهو قوله عليه السلام: التاسع من ولد الحسين بن علي وهو الشمس الطالعة من مغربها يظهر عند الركن والمقام... إلخ[٢].

ـ ومن الآيات الكونية التي تسبق الظهور توقف الشمس في وسط السماء من أول الزوال إلى العصر، ذكرها المفيد في الإرشاد من جملة العلامات الواردة في الآثار (ركود الشمس من عند الزوال إلى أوسط أوقات العصر)[٣].

ـ وفي البحار عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾... قال: قلت: وما الآية؟ قال: ركود الشمس من بين زوال الشمس إلى وقت العصر الحديث[٤].

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٩٤.
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ١٩٥.
(٣) الإرشاد باب علامات قيام القائم(ع).
(٤) البحار ٥٢: ٢٢١.

ـ ومن علامات ظهوره أيضاً: طلوع نجم من المشرق يضيء كما يضيء القمر ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه[١].

ومن الآيات أيضاً: نزول مطر شديد في جمادي الثانية ورجب بحيث لم يرَ مثله، ونزول الثلج بغزارة في الروم والجزائر.

هذه أهم الآيات الكونية والطبيعية التي تسبق ظهوره عليه السلام. وقد يستغرب البعض من حصول هكذا آيات قبل قيام القائم، أو يرى أنّ لا موجب لها، إذ باستطاعة الله عزّ وجلّ أن يظهر القائم فجأةً ومن دون مقدمات ليكون أكثر اقتداراً في توجيه ضربة قاضية لأعدائه على حين غرة وبصورة مفاجئة قبل أن يعدوا له أنفسهم ويستعدوا للقائه، وبذا يتمكن من القضاء على أعدائه بفترة وجيزة والسيطرة على الأوضاع بتضحيات أقل بكثير مما لو لم تكن ضربته مفاجئة.

وفي جواب من يقترح اقتراحاً كهذا نقول: إننا نؤمن إيماناً قطعياً أن الله تعالى حكيم عليم ولا يفعل الحكيم شيئاً ما لم يكن في منتهى الحكمة والتدبير، ولكن عقولنا قد لا تدرك أبعاد تلك الحكمة ولا تحيط بها علماً. فليس العيب فيما يعده الله تعالى لإصلاح ما فسد من شؤون عباده جراء عصيانهم وانحرافهم عن صراطه المستقيم، وإنما العيب في قصور عقولنا التي يصعب عليها إدراك ما يفعله الحكيم الخبير.

فلو لم تكن في تلك العلامات ضرورة مهمة تستوجب حصولها

(١) الأنوار النعمانية: باب علامات قيام القائم(ع)، عقد الدرر الفصل الرابع ب ٤: ١١٤.

لما أوجدها الله تعالى، لأن الله لا يوجد شيئاً عبثاً. فربما أراد بذلك أن ينبه أصحاب المهدي عليه السلام ومنتظريه وقادة نهضته بقرب ظهوره حتى يعدوا أنفسهم إعداداً يتناسب مع مستوى مهماتهم القيادية والرسالية في بناء جيش الإمام وتمهيد الأرضية الصالحة لقيام نهضته، وتكوين دولته المباركة.

ذكر الثائرين من أصحاب الإمام المهدي(ع) والممهدين لنهضته

ذكر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام أصحاب الإمام المهدي الممهدين لنهضته المباركة العادلة التي ستزيل كل ما أفرزته الحكومات الطاغوتية من فساد وآثار سلبية تسببت في شقاء وبؤس وحرمان الغالبية الساحقة من البشرية في كل أرجاء العالم.

ومن هذه الروايات قوله صلى الله عليه وآله: يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي عليه السلام، يعني سلطانه[١]. وأخرجه أبو بكر الحنبلي الدمشقي في كتابه (المنار المنيف في الصحيح والضعيف)[٢].

وفي نفس الكتاب روى عن ابن مسعود رواية جاء فيها: (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم النبي صلى الله عليه وآله اغرورقت عيناه، وتغير لونه. فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟ قال: إنا أهل بيت اختار اله لنا الآخرة على الدنيا. وإن أهل بيتي سيلقون بلاءً وتشريداً حتى يأتي قوم من أهل

(١) التذكرة للقرطبي: ٦١٤، انظر الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ١٩٩.
(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ١٤٥، انظر المهدي عند أهل السنة ١: ٢٨٦.

المشرق ومعهم رايات سود، يسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ماساً فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها قسطاً كما ملئت جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج)[١].

وفي كتاب النهاية لابن كثير ذكر رواية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء حتى تنصب بإيليا... ثم قال ابن كثير: وهذه الروايات ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني، فاستلب بها دولة أمية في سنة اثنتين وثلاثين ومائة... إلى أن قال: ويؤيده ـ أي المهدي ـ بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سود أيضاً...[٢].

ـ وفي كتاب مجمع الزوائد للهيثمي روى عن عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يخرج قوم من قبل المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه. ورواه الطبراني في الأوسط[٣].

ـ وفي الصواعق المحرقة ذكر ابن حجر ما أخرجه ابن ماجه في سننه: (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل فئة من بني هاشم... إلخ، ثم ذكر نفس الرواية التي رواها ابن مسعود وقد مر ذكرها[٤].

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ١٤٩، انظر المهدي عند أهل السنة ١: ١٩٠.
(٢) كتاب النهاية في أبواب الفتن والملاحم، الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ٣٠١.
(٣) مجمع الزوائد ٧: ٣١٨، انظر المهدي عند أهل السنة ١: ٣٢٥.
(٤) الصواعق: ١٦٣، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٢٢.

ـ وفي كتاب الفتاوي الحديثية عن الطبراني في الأوسط: (أنه ﷺ أخذ بيد علي فقال: يخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي ـ يعني شعيب بن صالح ـ فإنه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي).

وأخرج أحمد ونسيم بن داود والحاكم وأبو نعيم أنه ﷺ قال: إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فائتوها ولو حبواً على الثلج[1].

وفي كنز العمال للمتقي الهندي رواية هذا نصها: إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها، فإن فيها خليفة الله المهدي[2].

وفيه أيضاً: تخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء حتى تنصب بإيلياء[3].

وفيه أيضاً: يخرج أناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه[4].

(١) الفتاوي الحديثية: ٣٧، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٣٢.
(٢) كنز العمال ١٤ رقم: ٣٨٦٥١، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٤٣.
(٣) كنز العمال ١٤ رقم: ٣٨٦٥٢، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٤٣.
(٤) كنز العمال ١٤ رقم: ٣٨٦٥٧، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٤٣.

صفات أصحاب المهدي(ع) وحالاتهم

ذكرت جملة من الروايات صفات أصحاب الإمام المهدي عليه السلام أنهم الصلحاء والنجباء والفقهاء المشتاقون للشهادة في سبيل الله، وكأن قلوبهم زبد الحديد لا يشوبها شك في ذات الله، رهبان بالليل ليوث بالنهار، لو حملوا على الجبال لأزالوها على حد تعبير الروايات، وأنهم أعرف الناس بأهل زمانهم.

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: له كنز بالطالقان ما هو بذهب ولا فضة وراية لم تنشر منذ طويت، ورجال كأن قلوبهم زبد الحديد لا يشوبها شك في ذات الله، أشد من الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون براياتهم بلدة إلا خربوها، كأن على خيولهم العقبان، يتمسّحون بسرج الإمام عليه السلام يطلبون بذلك البركة، يحفّون به، يقونه بأنفسهم في الحروب ويكفونه ما يريد فيهم.

رجال لا ينامون الليل، لهم دوي في صلاتهم كدويّ النحل يبيتون قياماً على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، وهم أطوع له من الأمة لسيدها، كالمصابيح كأن قلوبهم القناديل وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات الحسين.

إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالاً، بهم ينصر الله إمام الحق[١].

---

(١) البحار ٥٢: ٣٠٨.

وعن عاصم بن حمزة، عن علي عليه السلام أنه قال: لتملأن الأرض ظلماً وجوراً حتى لا يقول أحد: الله إلا مستخفياً، ثم يأتي الله بقوم صالحين يملؤونها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[١].

وفي حديث طويل عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام يذكر فيه عدّتهم وبلادهم ـ إلى أن يقول عليه السلام ـ: وهم النجباء والقضاة والحكام والفقهاء في الدّين، يمسح الله بطونهم وظهورهم فلا يشتبه عليهم حكم[٢].

ـ وعن أبي عبد الله الحاكم في مستدركه، عن محمد بن الحنفية قال: كنا عند علي (رضي الله عنه) وقد سأله رجل عن المهدي فقال: هيهات ـ عقد بيده سبعاً ـ فقال: ذاك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل: الله الله قتل، فيجمع الله له قوماً قزعاً كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون إلى أحد، ولا يفرحون بأحد دخل فيهم، على عدة أصحاب بدر، لم يسبقهم الأولون، ولا يدركهم الآخرون، وعلى عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر... الحديث. قال: قال الحاكم: وهذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه[٣].

ـ وعن أبي عمرو عثمان بن سعيد المقري في سننه، عن حذيفة بن اليمان، عن النبي صلى الله عليه وآله في قصة المهدي وظهور أمره قال: فتخرج

---

(١) البحار ٥١: ١١٧.
(٢) دلائل الإمامة للطبري: ٣١٠.
(٣) عنه في عقد الدرر: ٥٩ الفصل الأول ب ٤.

الأبدال من الشام وأشباههم، ويخرج إليه النجباء من مصر وعصائب أهل الشرق وأشباههم حتى يأتوا مكة فيبايع له بين زمزم والمقام الحديث[١].

- وفي ينابيع المودة، عن كتاب الدرر المنظم قال: ومن إمارات خروج المهدي عليه السلام - إلى أن قال -: ويبايعه بين الركن والمقام ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً من الأخيار كلهم شبان لا كهل فيهم... إلخ[٢].

- وعن حذيفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا كان عند خروج القائم عليه السلام ينادي منادٍ من السماء: أيها الناس قطع عنكم مدة الجبارين، وولي الأمر خير أمة محمد فالحقوا بمكة فيخرج النجباء من مصر، والأبدال من الشام، وعصائب [أهل] العراق، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، كأن قلوبهم زبد الحديد فيبايعونه بين الركن والمقام[٣].

- حدثنا الوليد عمن حدثه وقرأه عن كعب قال: قادة المهدي خير الناس، أهل نصرته وبيعته من أهل كوفان واليمن وأبدال الشام..[٤].

نكتفي بهذا المقدار من الروايات الواردة في أصحاب الإمام المهدي الممهدين لنهضته. وقد ذكرت هذه الروايات صفاتهم

---

(١) عنه في عقد الدرر: ٥٩ الفصل الأول ب ٤.
(٢) ينابيع المودة: ٤١٣ ب ٦٨.
(٣) البحار ٥٢: ٣٠٤.
(٤) الفتن: ٢٥٠، أورده في الحاوي ٢: ٦٠.

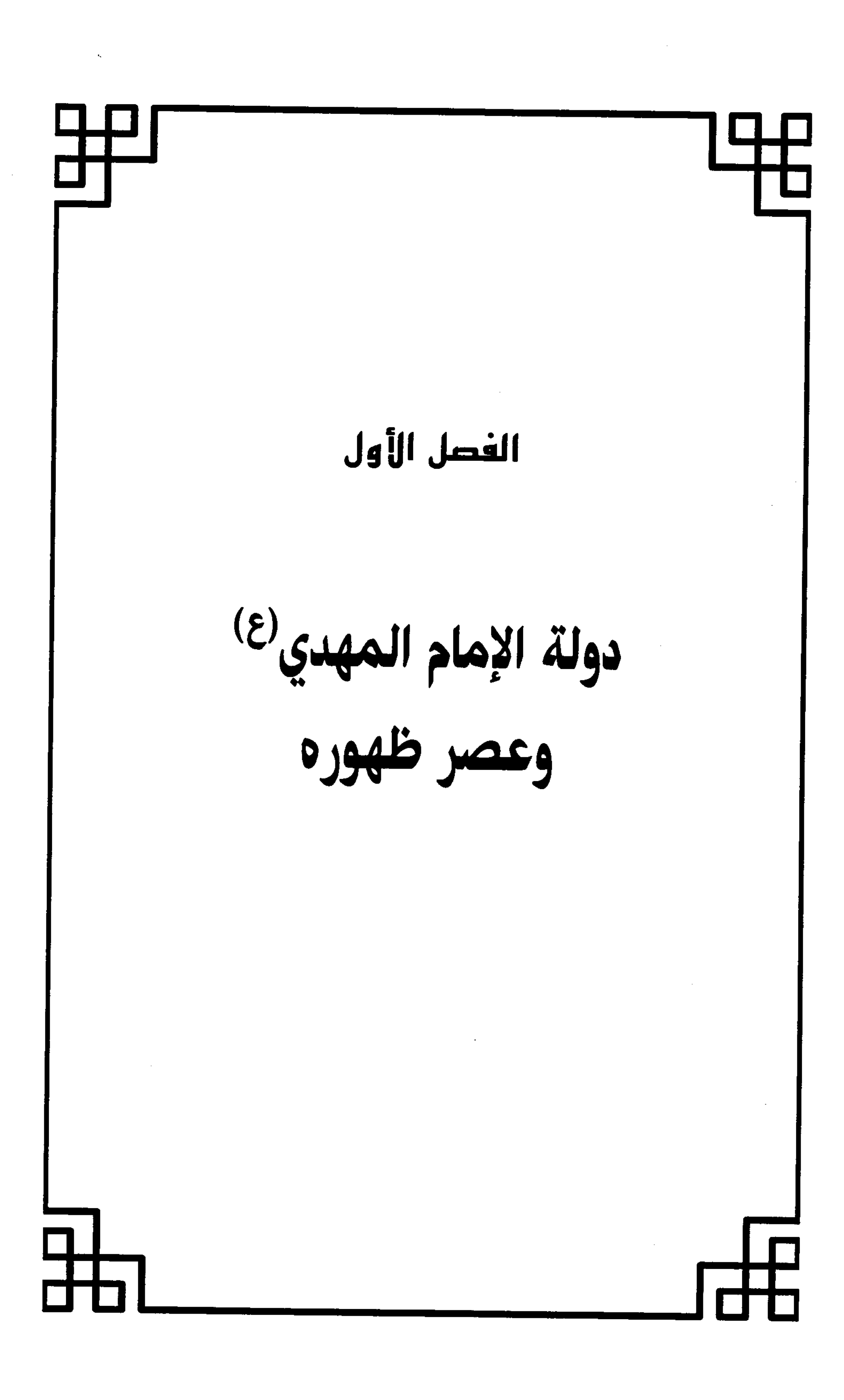
وحالاتهم والأماكن التي جاؤوا منها ومحاربتهم لأعداء الإمام كالدجال والسفياني وتمهيد السبيل لخروجه وإقامة دولته.

وبهذا نختم الجزء الأول من هذا الكتاب ونشرع إن شاء الله تعالى بكتابة الجزء الثاني منه الذي يحتوي على كل ما يتعلق بدولة الإمام وخصائصها وإنجازاتها وعطاءاتها وبناتها من حملة أفكاره ومبادئه وأعلام نهضته.



الجزء الثاني





الفصل الأول

دولة الإمام المهدي(ع)
وعصر ظهوره

نسب الإمام المهدي وتاريخ ولادته وكناه وألقابه

ذكرت كتب العامة والخاصة تاريخ ولادة الإمام المهدي عليه السلام وأجمعت أن ولادته كانت مع فجر الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥هـ.

ـ قال الشيخ عبد الله بن محمد الشافعي في كتابه (الإتحاف بحب الأشراف): الحجة الإمام قيل: هو المهدي المنتظر ولد الإمام محمد الحجة ابن الإمام الحسن الخالص (رضي الله عنه) بسر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين قبل موت أبيه بخمس سنين، وكان أبوه قد أخفاه حين ولد وستر أمره لصعوبة الوقت وخوفه من الخلفاء فإنهم كانوا في ذلك الوقت يتطلبون الهاشميين ويقصدونهم بالحبس والقتل ويريدون إعدامه[1].

ـ وفي نور الأبصار قال الشبيلنجي: محمد بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

أمه أم ولد يقال لها: نرجس وقيل: صقيل، وقيل: سوسن،

---

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ٦٨ ط ـ مصر.

وكنيته أبو القاسم، ولقّبه الإمامية بالحجة، والمهدي، والخلف الصالح، والقائم، والمنتظر، وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي[١].

ـ وفي تاريخ ابن الوردي ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين. . .[٢].

ـ وقال الكنجي الشافعي في كفاية الطالب: أبو محمد حسن العسكري بن علي الهادي مولده بالمدينة، إلى أن قال: ودفن في داره بسر من رأى في البيت الذي دفن فيه أبوه، وخلف ابنه الإمام المنتظر (صلوات الله عليه)[٣].

ـ وقال سراج الدين الرفاعي في كتابه (صحاح الأخبار): وأما الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ولقبه التقي، والعالم والأمير، والدليل، والعسكري، والنجيب، ولد في المدينة سنة اثنتي عشرة ومائتين من الهجرة، وتوفي شهيداً بالسم في المدينة في خلافة المعتز العباسي يوم الاثنين بسر من رأى لثلاث خلون من رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، وكان له خمسة أولاد: الإمام الحسن العسكري، والحسين، ومحمد، وجعفر، وعائشة. فالحسن العسكري أعقب صاحب السرداب الحجة المنتظر ولي الله الإمام محمد الهادي[٤].

وقال ابن حجر الهيثمي في الصواعق: ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن أتاه الله فيها الحكمة ويسمى القاسم المنتظر. . .[٥].

---

(١) نور الأبصار: ٦٨ ط ـ الشعبية.

(٢) عنه في نور الأبصار: ١٦٨، من هو المهدي: ٤٢٩.

(٣) كفاية الطالب: ٤٥٨ ط ـ الغري.

(٤) صحاح الأخبار: ٥٥ ط ـ بومبي سنة ١٣٠٦.

(٥) الصواعق: ١٢٤ ط ـ مصر.

ولا نطيل المقام بذكر هذه النصوص الواردة من الفريقين وإنما نكتفي بما ذكرناه، لأن خلاصة هذه ونتيجتها واحدة حيث أجمعت على أن الإمام المهدي هو محمد بن الحسن العسكري وأمه أم ولد يقال لها: نرجس أو صقيل، وولد في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة في بيت أبيه بسر من رأى، ويكنى بأبي القاسم ويلقّب بالحجة والقائم والمنتظر وصاحب الزمان، وأشهر هذه الألقاب لقب المهدي.

أوصاف الإمام المهدي وشمائله

لخص كتاب إلزام الناصب أوصاف الإمام المهدي وشمائله من كتب الفريقين فقال في الثمرة الأولى: أبيض مشرب حمرة، عن الصادق عليه السلام: أسمر يعتوره مع سمرته صفرة من سهر الليل، عن أهل السنة: لونه عربي، وجسمه إسرائيلي في طول القامة وعظم الجثة، وفي العلوي: شاب مربوع، وفي النبوي: أجلى الجبين، وعن الصادق: مقرون الحاجبين، أقنى الأنف، وعن العلوي: حسن الوجه ونور وجهه يعلو سواد لحيته ورأسه، وعن النبي صلى الله عليه وآله: وجهه كالدنيا، على خده الأيمن خال، كأنه كوكب دري، وعن علي عليه السلام: أفلج الثنايا حسن الشعر يسيل شعره على منكبيه، وفي خبر سعد بن عبد الله: وعلى رأسه فرق بين فرقين كأنه ألف بين واوين، وعن الباقر عليه السلام: مشرف الحاجبين غائر العينين بوجهه أثر، وعن الصادق عليه السلام: شامة في رأسه، منتدح البطن، وعن علي عليه السلام: مبدح البطن وأيضاً عنه عليه السلام: ضخيم البطن وكلها متقاربة، وعن الباقر عليه السلام: واسع الصدر مترسل المنكبين عريض ما بينهما، . . .[1]

(١) إلزام الناصب ١: ٤٧٤ ـ ٤٧٦، الصواعق: المحرقة، الحاوي للفتاوي ٢: ١٢٣ ـ ١٢٤،=

وبناءً على ما تقدم تكون أوصاف الإمام المهدي عليه السلام كالآتي:

أبيض مشرب حمرة حسن الوجه، كث اللحية، أكحل العينين، براق الثنايا، على خده الأيمن خال، مقرون الحاجبين، أقنى الأنف، ونور وجهه يعلو سواد لحيته ورأسه، حسن الشعر يسيل شعره على منكبيه، لونه عربي وجسمه إسرائيلي في طول القامة وعظم الجثة، واسع الصدر مترسل المنكبين، عريض ما بينهما، في كتفه علائم نبوة النبي صلى الله عليه وآله، كأن وجهه كوكب دريّ وهو طاووس أهل الجنة.

ووصفه علي بن ابراهيم بن مهزيار: كأقحوانة وأرجوان، قد تكاتف عليها الندى، وأصابها ألم الهوى، كغصن بان أو كقضيب ريحان ليس بالطويل الشامخ، ولا بالقصير الأزق، مربوع القامة، مدور الهامة صلت الجبين، أزج الحاجبين، أقنى الأنف، سهل الخدين، على خده الأيمن خال، كأنه فتات مسك، على رضاضة عنبر...

وشمائله شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله فهو أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً وحسناً...[1].

=كنز العمال ١٤: رقم الحديث: ٣٨٦٦٥، و٣٨٦٦٦، وأخبار الدول وآثار الأول: ١١٧، كمال الدين ٢: ٤٣٦، منتخب الأثر: ١٨٥ ـ ١٨٧، الغيبة الصغرى: ٢٨٣ ـ ٢٨٥، أصول الكافي ١: ٥١٥، الغيبة للطوسي: ١٥٩، نور الأبصار: ١٦٨، سبائك الذهب: ٧٨، الفصول المهمة: ٢٧٤، نور الأبصار: ٢٢٩، كمال الدين ٢: ٤٤٤، الجامع الصغير رقم الحديث: ٩٢٤٤، ينابيع المودة: ٤٣٠، الإمام المهدي حقيقة لا خيال: ١٣٣ ـ ١٣٤.

(١) كفاية الأثر: ٦٦، ينابيع المودة: ٤٨٨ و٤٩٣، كمال الدين ١: ٢٨٧، ينابيع المودة: ٤٩٣، منتخب الأثر: ١٨٢، فرائد السمطين: ٣٣٥.

خصائص الإمام المهدي ومختصاته

من خصائص الإمام العصمة المطلقة وليست هذه عقيدتنا نحن فحسب، بل هذا ما أقره علماء المسلمين أيضاً. فهذا ابن العربي يذكر خصائص الإمام في الفتوحات المكية بقوله: يقفوا أثر رسول الله صلى الله عليه وآله لا يخطئ له ملك يسدده من حيث لا يراه...[1].

وقال في مكان آخر من كتابه: ... لأنه خليفة مسدد يفهم منطق الحيوان...[2].

وفي كتاب الفتن روى عن عبد الله بن بشير بن كعب قال: المهدي خاشع لله كخشوع النسر جناحيه[3].

ومن خصائصه ومختصاته: أن جميع الدنيا تكون عنده عليه السلام بمنزلة كفه فيسطح له جميع أعالي الأرض وأدانيها وبحارها وجزرها، فيكون باستطاعته عليه السلام أن يرى جميعها دون ستر وحجاب. وهذا ما أكدته جملة من الروايات:

منها: عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: القائم منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض...[4].

ومنها: عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنه إذا

---

(١) الفتوحات المكية ٣: ب ٣٦٦ في معرفة منزل وزراء المهدي، وعنه في الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ١٠٦.
(٢) الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ١٠٧.
(٣) أورده الهيثمي في المختصر: ٧١، والسيوطي في الحاوي ٢: ٧٣، الفتن: ٢٥٧.
(٤) البحار ٥٢: ١٢١.

تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى له كل منخفض من الأرض، وخفض له كل مرتفع حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها؟»[١].

ومنها: أنه يركب السحاب ويرقى في الأسباب: ففي كتاب الاختصاص للشيخ المفيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: أما إن ذا القرنين قد خيّر السحابتين فاختار الذلول وذخر لصاحبكم الصعب، قال: قلت: وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد أو صاعقة أو برق فصاحبكم يركبه، أما أنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السموات السبع والأرضين السبع...»[٢].

وفي إلزام الناصب ذكر عن الإمام الرضا بعض خصائصه: ... وهو الذي تطوى له الأرض ولا يكون له ظل...»[٣].

هذه بعض خصائص المهدي عليه السلام ومختصاته كالعصمة المطلقة والولاية التكوينية وتسخير جميع مفردات الكون له، وتسهيل الصعاب له، وطي الأرض والمشي على الماء وغيرها مما لا يسع المجال لذكرها هنا، والذي يطلب المزيد فعليه مراجعة «كتاب الإمام المهدي حقيقة لا خيال».

---

(١) البحار ٥٢: ٣٢٨ ح ٤٦ عن كمال الدين.
(٢) الاختصاص: ١٩٩، البحار ٥٢: ٣٢١.
(٣) إلزام الناصب ١: ١٦٨.

مبايعة الإمام المهدي بمكة بين الركن والمقام

زعم ابن كثير وغيره أن الشيعة يزعمون أن الإمام المهدي موجود وأنه محمد بن الحسن العسكري ويرتجى ظهوره من سرداب سامراء إلى غير ذلك من التهم والمزاعم الباطلة التي حاول ابن كثير وغيره استثمارها للتطاول على الطائفة الشيعية والتهجم الشنيع عليها ووصفها بالكفر والنفاق، وإباحة دمها وهتك حرمتها. ولتنقل هنا نماذج من أقوال هؤلاء لتكن وثائق ثبوتية ندين بها كذبتهم وشدة حقدهم على شيعة أهل البيت عليهم السلام الذي أبعدهم كل البعد عن الإسلام وتعاليمه الإنسانية السامية.

قال ابن كثير في وصفه للمهدي: وهو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وليس هو بالمنتظر الذي تزعمه الرافضة، وترتجي ظهوره من سرداب سامراء، فإن ذلك ما لا حقيقة له، ولا عين، ولا أثر، ويزعمون أنه محمد بن الحسن العسكري، وأنه دخل السرداب وعمره خمس سنين[١].

وفي كتاب الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيثمي المكي أفتى بتكفير الطائفة الشيعية لأنها تعتقد بوجود الإمام المهدي (عج) ثم نقل قولاً للإمام الغزالي يثبت به مزاعمه الباطلة وصحة فتواه حيث قال: وقد قال الغزالي (رحمه الله تعالى) نحو هؤلاء الفرقة: إن قتل الواحد منهم أفضل من قتل مائة كافر: أي لأن ضررهم بالدين أعظم وأشد إذ

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٢٩٦.

الكافر تجتنبه العامة لعلمهم بقبح حاله فلا يقدر على غواية أحد منهم، وأما هؤلاء فيظهرون للناس بزي الفقراء والصالحين مع انطوائهم على العقائد الفاسدة والبدع القبيحة فليس للعامة إلا ظاهرهم الذي بالغوا في تحسينه...[١].

وقبل أن نذكر الروايات الدالة على أن ظهور الإمام المهدي سيكون من مكة المكرمة وليس من سرداب سامراء كما يزعم هؤلاء المتلبسون بلباس علماء الدين المسلمين، وإن عقيدة الشيعة وعلماء المسلمين قاطبة أن ظهوره من مكة وليس من مكان آخر. قبل تدوين الروايات المذكورة نقول:

هل هناك حقد أشد وأكثر قساوة من هذا الحقد الأسود الذي يتفجر من أعماق هؤلاء المتلبسين بزي العلم وكأنه البراكين المحرقة المدمرة؟

لقد أثبتنا في كتابنا (الإمام المهدي حقيقة لا خيال) وجود الإمام عليه السلام بأدلة قرآنية محكمة، وبروايات نبوية متواترة أقر الكثير من علماء المسلمين بتواترها وآمن البعض منهم بفكرة وجوده وذكروا نسبه وأوصافه كما مرّ ذلك.

وعلى فرض أن عقيدة الشيعة بوجود الإمام عليه السلام عقيدة فاسدة فهل يصح اتهامهم بالكفر وهدر دمائهم مع أنهم ينطقون بالشهادتين ويقيمون الصلاة ويؤدون الفرائض كما أمر الله بها، ويعتبرون قتل الواحد منهم أفضل من قتل مائة كافر؟

---

(١) الفتاوي الحديثية: ٣٧، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٣٢.

فلو تصفحنا تاريخ البشرية منذ وجودها إلى يومنا هذا لم نجد في سجل الطواغيت الكفرة ومستعبدي الشعوب أحكاماً أشد قساوة وإجراماً من أحكام هؤلاء المتلبسين بلباس علماء الدين المسلمين. أهكذا أمرنا الله أن ندعو لسبيله، أتنسجم هذه الأحكام الجائرة مع تعاليم الإسلام الإنسانية القيمة؟

الإيمان بوجود الإمام المهدي عليه السلام عقيدة فاسدة تستوجب القتل، ولكن وضع مئات الآلاف من الأحاديث الكاذبة على لسان النبي صلى الله عليه وآله، وقتل ذريته وصحبه الأخيار، وتبرير جرائم القتلة تعد عقيدة صحيحة تستحق المدح والثناء!!

فنحن لا نستبعد أن القتلة الذين يفجرون أنفسهم في مواكب العزاء الحسيني في العتبات المقدسة ويقتلون المئات من الشيوخ والشباب والنساء والأطفال، أنهم يستمدون شرعية جرائمهم البشعة من فتاوى هؤلاء الحاقدين الموتورين..

هذه نماذج من الأخبار التي حددت مكان ظهور الإمام المهدي عليه السلام المروية في كتب الفريقين:

ـ عن ابن محبوب رفعه إلى جعفر عليه السلام قال: إذا خسف بجيش السفياني... إلى أن قال: والقائم يومئذٍ بمكة عند الكعبة مستجيراً بها يقول: أنا ولي الله أنا أولى بالله وبمحمد صلى الله عليه وآله فمن حاجّني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن حاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبرهيم، ومن حاجني في محمد فأنا أولى الناس بمحمد، ومن حاجني في النبيين فأنا أولى

الناس بالنبيين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[١].

فأنا بقية آدم وخيرة نوح ومصطفى إبراهيم، وصفوة محمد، ألا ومن حاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله، ومن حاجّني في سنة رسول الله فأنا أولى الناس بسنة رسول اله وسيرته وأنشد الله من سمع كلامي لمّا يبلغ الشاهد الغائب[٢].

وفي إسعاف الراغبين في حاشية نور الأبصار، قال: وصحّ أنه صلى الله عليه وآله قال: يكون اختلاف عند موت الخليفة، فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليهم بعث من الشام فيخسف بهم البيداء بين مكة والمدينة. . . الحديث[٣].

وعن أبي داود في سننه، والترمذي في جامعه، وأحمد في مسنده وابن ماجة في سننه، والحافظ أبي عبد الرحمن النسائي في سننه، والبيهقي في البعث والنشور وغيرهم عن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه الناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام الحديث[٤].

---

(١) آل عمران: ٣٣.
(٢) البحار ٥٢: ٣٠٥.
(٣) إسعاف الراغبين: ١٣٥، ينابيع المودة: ٤٣١ عن جواهر العقدين عن أبي داود والإمام أحمد والحافظ البيهقي.
(٤) عقد الدرر: ٦٩ الفصل الثاني ب ٤.

ـ وفي النجم الثاقب، عن العالم الجليل أفضل عصره الشيخ أبي الحسن شريف العاملي في كتاب ضياء العالمين نقلاً عن جماعة، عن محمد بن أحمد أن شيخاً تاجراً حكى لنا وصوله إلى هذه القرية وتشرّفه بزيارة الحجة (عج) وقال: لا منافاة بين هذا الخبر والأحاديث الواردة في أنّه يظهر بمكة لأنه عليه السلام يخرج من المحل الذي هو فيه فيأتي مكة ويظهر أمره فيها[١].

وصف قادة جيش الإمام المهدي(ع) وعدتهم مع وصف وزرائه

عدة أصحاب الحجة مثل عدة بدر وهم يتوافدون إلى مكة حال سماعهم بظهور القائم مرة واحدة وفي وقت واحد من أماكن متعددة من أنحاء بقدرة الله تعالى وإشاءته وهذا ما أشارت له الآية الكريمة: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ عن أبي عبد الله عليه السلام يعني أصحاب القائم (عجل الله فرجه) الثلاث مائة والبضعة عشر، قال عليه السلام: هم والله الأمة المعدودة يجتمعون والله في ساعة واحدة قزع[٢] كقزع الخريف فبايعوه بين الركن والمقام ومعه عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد توارثوا الأبناء من الآباء...

وفي غيبة النعماني قال الصادق عليه السلام: نزلت الآية في القائم وأصحابه يجتمعون على غير ميعاد.

وفي المجمع عنهم عليهم السلام أن المراد به أصحاب المهدي في آخر

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان: ١٣١ ب ١٤، والنجم الثاقب: ٣٨٩ حكاية رقم ٦٢.
(٢) القزع: محركة قطع السحاب ونسبته إلى الخريف إما لسرعة اجتماعه أو لتجمعه قطعاً صغيرة من أماكن شتى كما يومي إليه قوله: يتبع بعضهم بعضاً.

الزمان وعن الرضا عليه السلام وذلك والله أن لو قام قائمنا يجمع الله شيعتنا من جميع البلدان[١].

وفي البحار: فيجمع الله له أصحابه ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً فيجمعهم الله على غير ميعاد قزع كقزع الخريف... ثم تلا هذه الآية ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]. فيبايعونه بين الركن والمقام ومعه عهد رسول الله صلى الله عليه وآله...[٣].

وفي خطبة البيان التي خطبها الإمام أمير المؤمنين في البصرة ذكر فيها عدة أصحاب القائم عليه السلام وأسماءهم مع صفاتهم وحالاتهم بعد ذكره لعلائم ظهوره فقال: ثم إذا قام تجتمع إليه أصحابه على عدة أهل بدر وأهل طالوت وهم ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً كلهم ليوث قد خرجوا من غاباتهم مثل زبد الحديد لو أنهم هموا بإزالة الجبال الرواسي لأزالوها عن مواضعها فهم الذين وحدوا الله تعالى حق توحيده لهم بالليل أصوات كأصوات الثواكل حزناً من خشية الله تعالى، قوام الله صوام النهار كأنما رباهم أب واحد وأم واحدة، قلوبهم مجتمعة بالمحبة والنصيحة ألا وإني لأعرف أسماءهم وأمصارهم...[٤].

وفي الفتوحات المكية ج ٣ قال في وصف وزراء

---

(١) إلزام الناصب ١: ٥١.
(٢) البقرة الآية: ١٤٨.
(٣) البحار ٥٢: ٣٠٥.
(٤) إلزام الناصب ٢: ٢٠٠.

المهدي عليه السلام: يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود، وكشف بتعريف إلهي له رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء يحملون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله...[1].

وفي ص ١٠٧ ج ١ من كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة نقل من الفتوحات قوله: وإن الله يستوزر له طائفة خبأهم له في مكنون غيبه الذين عرفوا ما تم وأما هو في نفسه فصاحب سيف حق، وسياسة مدنية يعرف من الله قدر ما تحتاج إليه مرتبته ومنزله لأنه خليفة مسدد يفهم منطق الحيوان يسري عدله في الإنسان والجان. من أسرار علم وزرائه الذين استوزرهم الله له قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم على أقدام رجال من الصحابة صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهم من الأعاجم ما فيهم عربي، لكن لا يتكلمون إلا بالعربية. لهم حافظ ليس من جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء وأفضل الأمناء، فأعطاهم الله في هذه الآية التي اتخذوها هجيراً وفي ليلهم سميراً فضل علم الصدق حالاً وذوقاً فعلموا أن الصدق سيف الله في الأرض ما قام بأحد ولا اتصف به إلا نصرة الله، لأن الصدق لغته والصادق اسمه...[2].

وفيه أيضاً نقلاً عن الفتوحات المكية قال: وهم جماعة أعني

(١) الفتوحات المكية باب ٣٦٦ معرفة منزل وزراء المهدي، الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ١٠٦.

(٢) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ١٠٧.

وزراء المهدي عليه السلام دون العشرة وإذا علم الإمام المهدي هذا عمل به فيكون أصدق أهل زمانه، فوزراؤه الهداة وهو المهدي...[١].

وفي الفتن: عن الوليد عمن حدثه وقرأه، عن كعب قال: قادة المهدي خير الناس، أهل نصرته وبيعته من أهل كوفان واليمن وأبدال الشام...[٢].

في الجزء التاسع من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد شرح جزءاً من خطبة للإمام علي ذكر فيها أوصاف أصحاب القائم فقال: ثم وصف هؤلاء القوم المشحوذي العزائم: فقال: تجلى بصائرهم بالتنزيل، أي يكشف الرّين والغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن وإلهامهم تأويله ومعرفة أسراره.

ثم صرّح بذلك فقال: (ويرمي بالتفسير في مسامعهم) أي يكشف لهم الغطاء، تخلق المعارف في قلوبهم، ويلهمون فهم الغوامض والأسرار الباطنة، ويغبقون كأس الحكم بعد الصّبوح، أي لا تزال المعارف الربّانية والأسرار الإلهية تفيض عليهم صباحاً ومساءً؛ فالغبوق كناية عن الفيض الحاصل لهم في الآصال، والصبوح كناية عما يحصل لهم منه في الغدوات، وهؤلاء هم العارفون الذين جمعوا بين الزهد والحكمة والشجاعة؛ وحقيق بمثلهم أن يكونوا أنصاراً لولي الله الذي يجتبيه، ويخلقه في آخر أوقات الدنيا، فيكون خاتمة أوليائه، والذي يلقى عصا التكليف عنده[٣].

---

(١) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ١٠٨.

(٢) الفتن: ٢٥٠، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٦٠ ونسبه للمصنف.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ١٢٩، المهدي عند أهل السنة ١: ١٦٤.

وفي إلزام الناصب نقلاً عن صحف إدريس: فإنه يوم قضيت وحتمت أن أطهر الأرض ذلك اليوم من الكفر والشرك والمعاصي وانتخبت لذلك الوقت عباداً لي امتحنت قلوبهم للإيمان وحشوتها بالورع والأخلاق واليقين والتقوى والخشوع والصدق والحلم والصبر والوقار والتقى والزهد في الدنيا والرغبة فيما عندي، وأجعلهم دعاة الشمس والقمر، وأستخلفهم في الأرض، وأمكن لهم دينهم الذي ارتضيت لهم، ثم يعبدونني لا يشركون بي شيئاً يقيمون الصلاة لوقتها ويؤتون الزكاة لحينها، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...[١].

ذكر مقاطع من خطب الإمام المهدي(ع) في مكة المكرمة

ففي كتاب الفتن عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثم يظهر المهدي بمكة عند العشاء ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله وقميصه وسيفه، وعلامات ونور وبيان، فإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته يقول: أذكركم الله أيها الناس، ومقامكم بين يدي ربكم، فقد اتخذ الحجة، وبعث الأنبياء، وأنزل الكتاب، وأمركم أن لا تشركوا به شيئاً، وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله، وأن تحيوا ما أحيا القرآن، وتميتوا ما أمات، وتكونوا أعواناً على الهدى، ووزراً على التقوى، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وأذنت بالوداع، فإني أدعوكم إلى الله، وإلى رسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل، وإحياء سنته، فيظهر في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، عدة أهل بدر على غير معاد...[٢].

---

(١) إلزام الناصب ٢: ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٢) الفتن: ٢٤١، وأورده السيوطي في الحاوي ٢: ٧١ ونسبه للمصنف.

وفي خبر عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل - إلى أن قال: القائم عليه السلام يقول لأصحابه: يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني ولكني مرسل إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم.

فيدعو رجلاً من أصحابه فيقول له: إمضِ إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة أنا رسول فلان إليكم وهو يقول لكم: أنا أهل بيت الرحمة ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين وإنا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا وابتز منا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا فنحن نستنصركم فانصرونا.

فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام وهي النفس الزكية فإذا بلغ ذلك الإمام قال لأصحابه: ألا أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا. فلا يدعونه حتى يخرج...[١]. وقد مر الحديث عن هذا في باب علائم ظهوره وقلنا: إن هذه العلامة من العلامات التي تسبق الظهور بوقت قليل جداً لا يزيد على خمس عشرة ليلة[٢].

كيفية خروج الإمام المهدي(ع) من مكة وعدة جيشه

عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: إذا انقطعت التجارات والطرق، وكثرت الفتن، خرج سبعة رجال علماء من أفق شتى على غير ميعاد، يبايع لكل رجل منهم ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً حتى يجتمعوا بمكة فيلتقي السبعة فيقول بعضهم لبعض: ما جاء

---

(١) البحار ٥٢: ٣٠٦ ح ٧٩، الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٧١.
(٢) البحار ٥٢: ٣٠٦ ح ٧٩، الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٧١.

بكم؟ فيقولون: جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه هذه الفتن، وتفتح له القسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه وحليته فيتفق السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون له: أنت فلان ابن فلان؟

فيقول: لا بل أنا رجل من الأنصار، حتى يفلت منهم فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به، فيقال: هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة، فيطلبونه بمكة فيصيبونه فيقولون: أنت فلان ابن فلان، وأمك فلانة بنت فلان، وفيك آية كذا وكذا، وقد أفلت منا مرة فمد يدك نبايعك، فيقول: لست بصاحبكم، أنا فلان ابن فلان الأنصاري، مروا بنا أدلكم على صاحبكم، حتى يفلت منهم، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة فيصيبونه بمكة عند الركن فيقولون: إثمنا عليك، ودماؤنا في عنقك، إن لم تمد يدك نبايعك، هذا عسكر السفياني قد توجه في طلبنا، عليهم رجل من الجرم، فيجلس بين الركن والمقام فيمد يده فيبايع له، ويلقي الله محبته في صدور الناس فيسير مع قوم أُسُد بالنهار، رهبان بالليل[١].

ـ وفي رواية أخرى: فيطلبونه فيخرج من مكة ومعه راية النبي ﷺ فيصلي ركعتين، بعد أن يئس الناس من خروجه لما طال عليهم من البلاء، فإذا فرغ من صلاته انصرف فقال: أيها الناس ألحّ البلاء بأمة محمد ﷺ وبأهل بيته خاصة قهرنا وبغي علينا[٢].

---

(١) الفتن: ٢٤١، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٧٢ ونسبه للمصنف وإسناده ضعيف جداً ويحتمل قوياً فيه تصحيف.
(٢) الفتن: ٢٤٠، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٧٦.

ـ عن علي (رضي الله عنه) قال: يرسل الله على أهل الشام من يفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم، وعند ذلك يخرج رجل من أهل بيتي في ثلاث رايات، المكثر يقول: خمسة عشر ألفاً، والمقلل يقول: اثنا عشر ألفاً، إمارتهم «أمت أمت» على راية منها رجل يطلب الملك، أو تبيعاً له الملك، فيقتلهم الله جميعاً ويرد الله على المسلمين إلفتهم وفاضتهم وبزازتهم[1].

ـ وفي إلزام الناصب نقلاً عن غيبة النعماني عن معالم الزلفى، عن أبي عبد الله عليه السلام: لا يخرج القائم (عج) من مكة حتى يكون مثل الحلقة، قلت: وكم الحلقة؟ قال: عشرة آلاف، جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره ثم يهز الراية المغلبة ويسير بها فلا يبقى أحد في المشرق ولا في المغرب إلا بلغها وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بها جبرائيل يوم بدر ثم لفها ودفعها إلى علي عليه السلام فهي عندنا لا ينشرها أحد حتى يقوم القائم فإذا هو قام فنشرها لم يبقَ بين المشرق والمغرب إلا بلغها ويسير الرعب قدامها شهر، وعن يمينها شهر، وعن يسارها شهر ثم قال: يا محمد صلى الله عليه وآله إنه يخرج موتوراً غضبان آسفاً لغضب الله على هذا الخلق، ودرع رسول الله السابغة، وسيف رسول الله ذو الفقار، يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر هرجاً فيبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة وينادي مناديه: هؤلاء سراق الله ثم يتناول المفقودين عن فراشهم وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾ الخيرات الولاية[2].

---

(١) الفتن: ٢٤٤.

(٢) إلزام الناصب ٢: ١٦٤، البحار ٥٢: ٣٠٧.

ـ وفي حديث آخر: عن أبي جعفر: لو قد خرج قائم آل محمد صلى الله عليه وآله لنصرة الله بالملائكة المسوّمين والمردفين والمنزلين والكرّوبيين يكون جبرائيل أمامه وميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن يساره الحديث[١].

ـ وفي عقد الدرر في حديث طويل، عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه عليه السلام يأخذ البيعة عن أصحابه على ثلاثين خصلة يلتزمون بها ولا يغيّرون منها شيئاً، فيخرجون معه إلى الصفا فيقول: أنا معكم على أن لا تولوا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا محرماً، ولا تأتوا فاحشة ولا تضربوا أحداً إلا بحقه... إلى أن قال عليه السلام: فإذا فعلتم ذلك فعليّ أن لا أتخذ حاجباً، ولا ألبس إلا كما تلبسون، ولا أركب إلا كما تركبون الحديث[٢].

ـ وفي إسعاف الراغبين قال: وجاء في روايات أن الله تعالى يمد المهدي بثلاثة آلاف من الملائكة وأن أهل الكهف من أعوانه[٣].

وذكر الإمام أبو إسحق الثعلبي في تفسير القرآن العزيز في قصة أصحاب الكهف، قال: وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان إلى خروج المهدي عليه السلام...[٤].

يخرج الإمام المهدي (عج) بعد المبايعة باثني عشر ألفاً أو

(١) البحار ٥٢: ٣٤٨ ح ٩٩.
(٢) عقد الدرر الفصل الثاني ب ٤، الإمام المهدي وظهوره: ٢٣٥.
(٣) في حاشية نور الأبصار: ١٤٧، الإمام المهدي وظهوره: ٢٣٥.
(٤) عقد الدرر: ١٤١ ب ٧.

خمسة عشر ألفاً من أصحابه الذين بايعوه على ما شرط عليهم من الشروط، وهو يلبس قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وعمامته السحاب وعليه درعه ويتقلد سيفه الذا الفقار، وينشر رايته، وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، ويحف به أكثر من ثلاثة آلاف ملك من المسوّمين والمردفين والمنزلين والكرّوبيين هكذا يخرج الإمام بهذه القوة العظيمة المدعومة بقوة الله وتسديده، يسير الرعب أمامه شهر وعن يمينه شهر، وعن يساره شهر، وليس باستطاعة أي قوة أن تقف أمام جيشه وتصده عن أهدافه ومقاصده..

عمر الإمام يوم خروجه وما معه من مواريث الأنبياء

ورد في عدد غير قليل من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الأئمة الأطهار عليهم السلام: أن المهدي عليه السلام يوم يخرج يتراوح عمره بين الثلاثين والأربعين عاماً وهو بهيئة شاب في غاية القوة والنشاط والحيوية كأنه لم يغب ١٢٠٠ عام مشرداً بالآفاق لا ملجأ له، فلم تؤثر عليه تلك المصاعب والمحن التي واجهها في سني غيبته وتشريده، ولم تصبه بشيء من الضعف والوهن في مزاجه الشريف وجوارحه وأعضائه المباركة.

- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لو خرج القائم عليه السلام لأنكره الناس يرجع إليهم شاباً موفقاً فلا يلبث عليه إلا كل مؤمن أخذ الله ميثاقه في الذر الأول[1].

---

(١) البحار ٥٢: ٢٨٧، غيبة الطوسي: ٢٥٩.

ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن ولي الله عمره عمر إبراهيم الخليل عشرين ومائة سنة ويظهر في صورة فتى موفق[١] ابن ثلاثين سنة[٢].

ـ عن الريان بن الصلت قال: قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: أنا صاحب هذا الأمر ولكني لست بالذي أملأها عدلاً كما ملئت جوراً، وكيف أكون ذاك على ما نرى من ضعف بدني، وإن القائم عليه السلام هو الذي إذا خرج كان في سن الشيوخ ومنظر الشباب قوياً في بدنه حتى لو مد يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها، يكون معه عصا موسى، وخاتم سليمان، ذاك الرابع من ولدي يغيبه الله في ستره ما شاء الله ثم يظهره فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً[٣].

ـ وعن الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: ما علامة القائم عليه السلام منكم إذا خرج؟ قال: علامته أن يكون شيخ السن شاب المنظر حتى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها وإن من علامته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي عليه حتى يأتي أجله[٤].

ـ وفي حديث يعقوب السراح، عن أبي عبد الله عليه السلام: وخرج

(١) الموفق: أي الرشيد (في تاج العروس شرح القاموس).
(٢) غيبة الطوسي: ٢٥٩.
(٣) البحار ٥٢: ٣٢٢، كمال الدين ٢: ٣٧٦.
(٤) البحار ٥٢: ٢٨٥، كمال الدين ٢: ٦٥٢.

صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: ما تراث رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه وعمامته وبرده وقضيبه ورايته ولامته وسرجه حتى ينزل مكة فيخرج السيف من غمده ويلبس الدرع وينشر الراية والبردة والعمامة ويتناول القضيب بيده ويستأذن الله في ظهوره... الحديث[١].

- وعن محمد بن الفيض، عن محمد بن علي عليه السلام قال: كان عصا موسى لآدم عليه السلام فصارت إلى شعيب، ثم صارت إلى موسى بن عمران عليه السلام وإنها لعندنا وإن عهدي بها آنفاً وهي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرها، وإنها لتنطق إذا استنطقت أعدّت لقائمنا ليصنع كما كان موسى يصنع بها، وإنها لتروع وتلقف ما يأفكون، وتصنع كما تؤمر وإنها حيث أقبلت تلقف ما يأفكون، تفتح لها شفتان إحداهما في الأرض والأخرى في السقف وبينهما أربعون ذراعاً وتلقف ما يأفكون[٢].

ما هي أهداف نهضة القائم(ع) وما هي شعاراتها؟

يعلم الجميع أن ما من نهضة أو ثورة حدثت في العالم سواء كانت مادية سياسية أو روحية دينية إلا ولها مقاصد وأهداف معينة تسعى إلى الوصول إليها وتحقيقها مهما بلغت الخسائر والتضحيات، لأن نجاحها أو فشلها يتوقف على مقدار ما تنجزه من الأهداف، فإذا أنجزت منها أكثر من نسبة خمسين بالمائة تعد من النهضات الناجحة،

---

(١) البحار ٥٢: ٣٠١ ح ٦٦.
(٢) البحار ٥٢: ٣١٨.

وإن كانت إنجازاتها دون ذلك المقدار تكون نهضة فاشلة بائسة لا جدوى من استمراريتها إن لم يكن هناك أمل في تحقيق ما تصبو له من الأهداف المرسومة لها.

ففي هذه الحالة يلزم التوقف عن مواصلة الثورة إلى حين حصول ظرف آخر يناسب استئنافها من جديد..

ونهضة الإمام المهدي عليه السلام كباقي النهضات لها أهداف رسالية عظيمة لم يسبق لها نظير في تاريخ العالم، وشعارات مبدئية تحمل في طياتها أسمى المبادئ الإنسانية.

فأهداف نهضة الإمام عليه السلام تكمن في إزالة الظلم والجور وما أفرزا من البؤس والشقاء والحرمان، ونشر العدل والقسط، وإصلاح ما فسد من شؤون شعوب العالم على ضوء المبادئ والأحكام الإسلامية القيمة، والقضاء على كل أنواع الشرك والنفاق، وإظهار الدين الإسلامي على الأديان كلها، وتوحيد الله حق توحيده، وتنزيه الشريعة من الريب والشوائب والبدع، ورفع المذاهب الباطلة، وتوحيد المسلمين من خلال الاعتصام بالكتاب والسنة الصحيحة المدوية عن طريق أهل البيت عليهم السلام الذين هم عدل الكتاب ومفسروه، بل هم الكتاب الناطق المترجم بصورة واقعية على صعيد الواقع العملي المحسوس..

وتعتبر شعارات النهضة المدوية انعكاساً لمبادئها وأهدافها الإنسانية الرسالية السامية. فهي شعارات مبدئية بعيدة كل البعد عن المهاترات والمزايدات والمساومات حيث لا يراد منها تحقيق مآرب

وأغراض مصلحية شخصية، وإنما تدعو صراحة إلى إزالة الظلم، وإقامة العدل، ومحو الفساد، والانتقام من أعداء الله، وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله وأوليائه، لا سيما الثأر لدم سيد الشهداء الإمام الحسين وأبنائه وإخوانه وصحبه الذين قتلوا بين يديه ظلماً وعدواناً..

ولذا تعد نهضة القائم عليه السلام هي امتداد حقيقي لنهضة سبط الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وريحانته الإمام الحسين عليه السلام مع اختلاف الظرف والسعة، وتوافق الشعارات والأهداف.

فثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت دعوة إصلاحية تختص بأمة جده فحسب، بينما دعوة الإمام المهدي عليه السلام تجاوزت حدود أمة محمد صلى الله عليه وآله إلى أمم العالم أجمع فهي نهضة إسلامية عالمية ليس لها حدود معينة، بل ستشمل العالم بأسره دون استثناء..

فحكم الأنبياء والرسل جميعاً في إقامة حكومة العدل الإلهية سيتحقق على يد خاتم الأولياء والأوصياء الإمام المهدي (عج).

وفيما يلي ندرج أهداف نهضة الإمام حسب الترتيب وكما ذكرتها النصوص المروية عن الرسول الأعظم والأئمة الأطهار عليهم السلام:

أولاً: إزالة آثار الظلم ونشر العدل

- عن جابر الجعفي - في حديث طويل - عن أبي جعفر عليه السلام يقول في آخره: فلا يترك عبداً مسلماً إلا اشتراه وأعتقه، ولا غارماً إلا قضى دينه، ولا مظلمة لأحد من الناس إلا ردها ولا يقتل منهم عبد إلا أدى ثمنه (دية مسلمة إلى أهلها) ولا يقتل قتيل إلا قضى عنه

دينه وألحق عياله في العطاء حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وعدواناً ويسكنه هو وأهل بيته الرحبة[١].

ـ وعن عبد العظيم الحسني قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فقال: يا أبا القاسم ما منا إلا قائم بأمر الله عزّ وجلّ وهادٍ إلى دينه، ولكن القائم الذي يطهر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأها عدلاً وقسطاً هو الذي يخفي على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ويحرم عليهم تسميته وهو سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته... الحديث[٢].

ثانياً: القضاء على الشرك والنفاق وعلى البدع والضلال

ـ وفي حديث عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: فإذا خرج القائم لم يبق كافر بالله العظيم ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه حتى لو كان كافراً ومشركاً في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله![٣].

ـ عن حذيفة بن اليمان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يميز الله أولياءه وأصفياءه حتى يطهر الأرض من المنافقين والضالين وأبناء الضالين، وحتى تلتقي بالرجل يومئذٍ خمسون امرأة هذه تقول: يا عبد الله اشترني وهذه تقول: يا عبد الله آوني[٤].

(١) الحاوي للفتاوي ٢: ١٥٤.
(٢) البحار ٥٢: ٢٨٣ ح ١٠، وكمال الدين.
(٣) البحار ٥٢: ٣٢٤، كمال الدين.
(٤) البحار ٥٢: ٢٢٥، مجالس المفيد.

ثالثاً: القضاء على جميع مظاهر الفساد والإفساد

وذكر صاحب كتاب الإمام المهدي وظهوره إصلاحات الإمام وقال: ومنها أنه عليه السلام يقلع ويقمع جميع بدع الأرض من مبدعات الفراعنة والمتكبرين وشعار الفاجرين وعلامات المشركين من الأعمال والأفعال والصفات والحالات، وجميع الآلات المحرمة من اللهو واللعب والقمار وأسباب الطرب بجميع أقسامها، ويزيل ألبسة الكفار والمشركين وزيهم من بين المسلمين. وإن المتأثرين بالكفار والمشركين والمقتدين بهم في أعمالهم وحركاتهم ولباسهم وزينتهم وعماراتهم وكلامهم بحيث يفتخرون على المسلمين بما تشبهوا به، فالظاهر أنه في زمان ظهور صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف يكون حال هؤلاء المتابعين حال من تشبهوا بهم من الكفار حيث لا يبقيهم عليه السلام ولا يبقي من أوضاعهم وتجملاتهم شيئاً. وإذا جاءهم الأجل قبل ظهوره عليه السلام فإنهم يدخلون في القوم الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾(١).

وفي السنة: (من تشبه بقوم فهو منهم)(٢).

ثم ذكر جملة من الروايات:

منها: وفي الحديث عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام: ولا يترك بدعة إلا أزالها ولا سنة إلا أقامها الحديث(٣).

---

(١) سورة المائدة الآية: ٥١.

(٢) الإمام المهدي وظهوره: ٢٩٢.

(٣) عقد الدرر: ٢٣٩ ب ١١.

ومنها: وروى أبو الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث طويل ـ أنه قال: إذا قام القائم عليه السلام يسار إلى الكوفة فيخرج بضعة عشر ألف أنفس يدعون البشرية[1] عليهم السلاح فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة! فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم ثم يدخل الكوفة فيقتل بها كل منافق مرتاب ويهدم قصورها ويقتل مقاتليها حتى يرضى الله عزّ وعلا.

رابعاً: القضاء على أعداء الله وأعداء رسوله والثأر لدم سيد الشهداء الإمام الحسين

ومن أهداف نهضة الإمام المهدي عليه السلام قتله لأعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله الذين قتلوا ذريته وشردوهم وسجنوهم واغتصبوا حقوقهم وتتبعوا آثارهم تحت كل حجر ومدر، ولولا رعاية الله لهم لما بقي منهم أحد على قيد الحياة.

وبما أن الإمام مكلف بإحقاق الحق وإجراء القوانين الإسلامية وإزالة كل مظاهر الظلم والعدوان فلا بد له من تصفية رموز الشر والإجرام الذين ارتكبوا أبشع المجازر الدموية بحق المؤمنين الأبرار، والذين يقرون جرائمهم ويتعاطفون معهم. وربما يشاركونهم في ارتكاب الجرائم مع السفياني الأموي في قتل ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وشيعتهم. فهذا الإقرار والتعاطف والمشاركة تستوجب قتلهم والاقتصاص منهم وإنقاذ الناس من شرورهم وعدوانهم.

(١) البشرية: ـ بالضم ـ من طوائف الزيدية تنسب إلى المغيرة.

وأول من يقتص الإمام عليه السلام منهم هم قتلة أبي عبد الله الإمام الحسين عليه السلام، لأن الثأر لدمه ودم أبنائه وإخوانه وصحبه من أهم أهداف نهضة الإمام المهدي (عج) حيث إنها ستنطلق في يوم عاشوراء يوم مذبحة الطف وتحت شعار يا لثارات الحسين. هذا ما ذكرته النصوص التالية:

- في إلزام الناصب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: له كنز بالطالقان ما هو بذهب ولا فضة - إلى أن قال -: رجال لا ينامون الليل لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل يبيتون قياماً على أطرافهم ويستحيون [ويصبحون][1] على خيولهم رهبان بالليل ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمة لسيدها كالمصابيح، كأن قلوبهم القناديل وهم من خشية الله مشفقون يدعون بالشهادة ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله شعائرهم يا لثارات الحسين إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالاً بهم ينصر الله إمام الحق[2].

- وفي كمال الدين عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يخرج القائم عليه السلام يوم السبت يوم عاشوراء اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام[3].

- عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير (قال): قال أبو عبد الله عليه السلام: إن القائم (صلوات الله عليه) ينادي اسمه ليلة ثلاث

(١) ما بين المعقوفتين يحتمل أن يكون مطابقاً للأصل.
(٢) إلزام الناصب ٢: ٢٩٦.
(٣) كمال الدين ٢: ٦٥٤.

وعشرين ويقوم يوم عاشوراء يوم قتل فيه الحسين بن علي عليه السلام[(١)].

ـ عن فرات بن أحنف عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: زاد الفرات (ماء الفرات) على عهد أمير المؤمنين فركب هو وابناه الحسن والحسين عليهما السلام فمرّ بثقيف فقالوا: قد جاء علي يرد الماء، فقال علي عليه السلام: أما والله لأقتلن أنا وابناي هذان وليبعثن الله رجلاً من ولدي في آخر الزمان يطالب بدمائنا...[(٢)]

ـ وعن الهروي قال: قلت لعلي الرضا بن موسى الكاظم (رضي الله عنهما): يا ابن رسول الله ما تقول في حديث روي عن جدك جعفر الصادق (رضي الله عنه) أنه قال: إذا قام قائمنا المهدي قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم؟ هو ذلك، قلت: فقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ما معناه؟ فقال: صدق الله في جميع أقواله، لكن ذراري قتلة الحسين (رضي الله عنه) يرضون ويفتخرون بفعال آبائهم، ومن رضي شيئاً كمن فعله، ولو أن رجلاً قتل في المشرق فرضي لقتله رجل في المغرب لكان شريك القاتل فقوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ تنزل في الحسين والمهدي عليهما السلام[(٣)].

ـ وعن كعب الأحبار قال: إنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى

---

(١) غيبة الطوسي: ٢٧٤.
(٢) غيبة النعماني: ١٤١ ب ١٠.
(٣) ينابيع المودة: ٤٢٥ ب ٧١، وفي عيون أخبار الرضا الباب ٢٨ ح ٥ ما يقرب منه.

أسفار من أسفار التوراة فيستخرجها من جبال الشام يدعو إليها اليهود فيسلم على تلك الكتب جماعة كبيرة ثم ذكر نحواً من ثلاثين ألفاً[١].

ـ وعن محمد بن أبي بصير عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: القائم عليه السلام لم يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله عزّ وجلّ (أي أصحابه عليه السلام الذين يجاهدون بين يديه) فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله عزّ وجلّ فقتلهم[٢].

ـ وعن أبي بصير في حديث له عن أبي عبد الله عليه السلام يذكر فيه نزول القائم عليه السلام في مسجد السهلة ـ إلى أن قال ـ أبو بصير: قلت: فما يكون من أهل الذمة عنده؟ قال عليه السلام: يسألهم كما سألهم رسول الله صلى الله عليه وآله ويؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون، قلت: فمن نصب لكم عداوة؟ فقال: لا يا أبا محمد ما لمن خالفنا في دولتنا من نصيب، إن الله قد أحل لنا دماءهم عند قيام قائمنا، فاليوم محرم علينا وعليكم ذلك فلا يغرنكم أحد، إذا قام قائمنا انتقم لله ولرسوله ولنا أجمعين[٣].

خامساً: تحقيق الوحدة الإسلامية على أوسع نطاق

ـ عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله أمنا آل محمد صلى الله عليه وآله المهدي أم من غيرنا؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا بل منّا يختم الله به الدين كما افتتح بنا، وبنا ينقذون من الفتنة كما

---

(١) عقد الدرر: ٤٠ ب ٣، الفتن: ٢٥١، أخرجه أبو عمرو الداني ٥: ٥٨٦.
(٢) كمال الدين: ٦٤١ ب ٥٤.
(٣) البحار ٥٢: ٣٨١، الإمام المهدي وظهوره: ٢٥٥.

أنقذوا من الشرك وبنا يؤلف الله قلوبهم بعد عداوة الفتنة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك، وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخواناً في دينهم الحديث[١].

إن تحقيق الوحدة أمر طبيعي بعد إزالة الكفر والنفاق والشرك ورفع المذاهب الباطلة، لأن الإمام المهدي عليه السلام لن يبقي على قيد الحياة إلا الذين أسلموا ووحدوا الله حق توحيده. فالوحدة بين الموحدين تحصل بشكل تلقائي وبدون جهد وعناء، بل هي أمر حتمي يترتب على ما سبقه من الأمور التمهيدية. إذ ليس هناك ما يحول دون تحقيقها لأن الوحدة الفكرية والمبدئية يتبعها وحدة روحية وثيقة غير قابلة للانفصام بأي حال من الأحوال، وقد تكون الأخوة الإيمانية أشد قوة من الأخوة النسبية الطبيعية لأن الأخيرة ربما تتعرض للاهتزاز والانفكاك بسبب نشوء خلافات فكرية أو مادية دنيوية، وهذا ما نرى حصوله غالباً عند وفاة الآباء حيث تبدأ الخصومات حول اقتسام أموالهم ومواريثهم، بينما هذا الأمر يندر حصوله بين الأخوة المؤمنين الذين لا يعتري إيمانهم شك أو ريب.

خروج المهدي من مكة إلى بيت المقدس والشام

ذكرت الأخبار الواردة في السفياني أنه يسير نحو العراق بسبعين ألفاً من جيشه فيمر بالكوفة والبصرة والزوراء، ثم يدور الأمصار والأقطار ويحل عرى الإسلام عروة بعد عروة، ويقتل أهل العلم،

---

(١) نور الأبصار: ١٧١.

ويحرق المصاحف، ويخرب المساجد، ويستبيح الحرام، ويأمر بضرب الملاهي والمزامر في الأسواق، والشرب على قوارع الطرق، ويحلل لهم الفواحش ويحرم عليهم كل ما افترضه الله عزّ وجلّ عليهم من الفرائض، ولا يرتدع عن الظلم والفجور، بل يزداد تمرداً وعتواً وطغياناً، ويقتل من كان اسمه محمداً، وأحمد، وعلياً، وحمزة، وحسناً، وحسيناً، وفاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وخديجة، وعاتكة، حنقاً وبغضاً لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم يبعث فيجمع الأطفال، ويغلي الزيت لهم، فيقولون: إن كان أباؤنا عصوك فنحن ما ذنبنا؟

فيأخذ منهم اثنين حسناً وحسيناً فيصلبهما.

ثم يسير إلى الكوفة، فيفعل بهم كما فعله بالأطفال، ويصلب على باب مسجدها طفلين أسماؤهما حسن وحسين، «فتغلى دماؤهما» كما غلى دم يحيى بن زكريا عليه السلام، فإذا رأى ذلك، أيقن بالهلاك والبلاء فيخرج هارباً منها، متوجهاً إلى الشام، فلا يرى في طريقه أحداً يخالفه.

فإذا دخل دمشق اعتكف على شرب الخمر والمعاصي، ويأمر أصحابه بذلك. ويخرج السفياني، وبيده حربة، فيأخذ امرأة حاملاً، فيدفعها إلى بعض أصحابه ويقول: افجر بها في وسط الطريق.

فيفعل ذلك، ويبقر بطنها، فيسقط الجنين من بطن أمه، فلا يقدر أحد أن يغير ذلك[١].

---

(١) الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢٦١ ـ ٢٦٢.

مما تقدم نعلم أن سبب انسحاب السفياني من الكوفة هو فوران دم الصبيين المصلوبين على باب مسجد الكوفة، ولكن الأخبار السابقة في باب حروب السفياني مع الرايات السود أكدت أن السفياني يرغم على الهروب من الكوفة بعد أن تسترجع منه الغنائم والنساء المسبيات ويعود إلى دمشق هارباً من بطش أصحاب الرايات السود وبأسهم الشديد. وفيما يلي نذكر خبراً مفاده أن السفياني ينسحب من الكوفة إثر سماعه بظهور المهدي في مكة وخسف البيداء بجيشه بين المدينة ومكة.

ـ ففي كتاب الحاوي للفتاوي عن أرطأة قال: يدخل الصخري الكوفة، ثم يبلغه ظهور المهدي بمكة، فيبعث إليه من الكوفة بعثاً، فيخسف به فلا ينجو منهم إلا بشير إلى المهدي ونذير إلى الإصطخري، فيقبل المهدي من مكة، والصخري من الكوفة نحو الشام كأنهما فرسا رهان، فيسبقه الصخري، فيقطع بعثاً آخر من الشام إلى المهدي، فيأتون المهدي بأرض الحجاز فيبايعونه بيعة الهدى، ويقبلون معه حتى ينتهوا إلى حد الشام الذي بين الشام والحجاز فيقيم بها، ويقال له: أنفذ، فيكره المجاز، ويقول: اكتب إلى ابن عمي فلان بخلع طاعتي فأنا صاحبكم، فإذا وصل الكتاب إلى الصخري بايع وسار إلى المهدي حتى ينزل بيت المقدس، ولا يترك المهدي بيد رجل من الشام فتراً من الأرض إلا ردّها إلى أهل الذمة، وردّ المسلمين إلى الجهاد جميعاً فيمكث في ذلك ثلاث سنين، ثم يخرج رجل من كلب يقال له: كنانة يعينه كوكب في رهط من قومه حتى

يأتي الصخري فيقول: بايعناك ونصرناك، حتى إذا ملكت بايعت هذا ليخرجن فليقاتلن.

فيقول: فيمن أخرج؟ فيقول: لا تبقى عامرية أمها أكبر منك إلا لحقتك، لا يتخلف عنك ذات خفّ ولا ظلف، فيرحل وترحل معه عامر بأسرها حتى تنزل بيسان ويوجه إليهم المهدي راية، وأعظم راية في زمن المهدي مائة رجل، فينزلون على ماء فتصف كلب خيلها ورجلها وإبلها وغنمها، فإذا تشاءمت الخيلات ولّت كلب أدبارها، وأخذ الصخري فيذبح على الصفا..[1].

ـ وعن ابن عباس (رضي الله عنه) يقول: إذا خسف بجيش السفياني قال صاحب مكة: هذه العلامات التي كنتم تخبرون بها، فيسيرون إلى الشام فيبلغ صاحب دمشق فيرسل إليه ببيعته ويبايعه، ثم تأتيه كلب بعد ذلك فيقولون: ما صنعت انطلقت إلى بيعتنا فخلعتها وجعلتها له؟ فيقول: ما أصنع أسلمني الناس؟ فيقولون: فإنا معك فاستقل ببيعتك فيرسل إلى الهاشمي فيستقيله البيعة، ثم يقاتلونه فيهزمهم الهاشمي، فيكون يومئذٍ من ركز رمحه على حي من كلب كانوا له، فالخائب من خاب يوم نهب كلب[2].

ما يدور من حوار بين المهدي(ع) والحسني في وادي القرى

وتسير جيوش الإمام المهدي عليه السلام حتى تصل إلى وادي القرى

---

(١) الحاوي للفتاوي ٢: ١٥٠، المهدي عند أهل السنة ١: ٣٨٠.

(٢) الفتن: ٢٤٥ إسناده حسن.

في هدوء ورفق، يلحقه هناك ابن عمه الحسني، في اثني عشر ألف فارس، فيقول: يا ابن عم، أنا أحق بهذا الجيش منك، أنا ابن الحسن، وأنا المهدي.

فيقول المهدي عليه السلام: بل أنا المهدي.

فيقول الحسني: هل لك من آية فنبايعك؟

فيومئ المهدي عليه السلام إلى الطير فتسقط على يده، ويغرس قضيباً في بقعة من الأرض فيخضر ويورق.

فيقول له الحسني: يا ابن عم هي لك، ويسلم إليه جيشه، ويكون على مقدمته، واسمه على اسمه.

وتقع الضجة بالشام: ألا إن أعراب الحجاز قد خرجوا إليكم، فيجتمعون إلى السفياني بدمشق فيقولون: أعراب الحجاز قد جمعوا علينا.

فيقول السفياني لأصحابه: ما تقولون في هؤلاء القوم؟

فيقولون: هم أصحاب نبل وإبل، ونحن أصحاب العدة والسلاح اخرج بنا إليهم[١]. فيرونه قد جبن، وهو عالم بما يراد منه، فلا يزالون به حتى يخرجوه. وقبل أن نذكر المواجهة الحاسمة بين المهدي والسفياني نحاول إيجاد التوافق بين الأخبار التي تبدو متعارضة ظاهراً.

---

(١) الإمام المهدي وظهوره: ٢٦٤.

محاولة للتوفيق بين الأخبار المتعارضة

كما مرّ عليك عزيزي القارئ في هذا الفصل أخبار تبدو متعارضة ظاهراً. منها تعارض الأخبار في موضوع عدم قبول التوبة عند ظهور المهدي عليه السلام من المذنبين والمشركين والمنافقين، والأخبار القائلة بأن الإمام سيقاتلهم حتى يثوبوا إلى رشدهم ويعلنوا إيمانهم.

فإذا كان باب التوبة مغلوقاً حين ظهور الإمام فلم يقاتلهم حتى يسلموا؟ أليس هذا التعارض جلياً بين عدم قبول التوبة وبين إرغام الناس بالسيف ليسلموا قهراً؟؟!!

- ففي خبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال لرجل: قد بلغني تبلغ عني؟ فقلت: نعم، فقال: قل لهم: قال لكم أبو جعفر: كيف بكم لو قد قطعت أيديكم وأرجلكم وعلقت في الكعبة ثم يقال لكم: نادوا نحن سراق الكعبة، فلما ذهبت لأقوم قال: إنني لست أنا أفعل ذلك وإنما يفعله رجل مني[1].

فعند ذلك ترفع التوبة، فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾.

فإن قلت: قد روى الصدوق طاب ثراه هذا المضمون بأسانيد متعددة من أنه زمن المهدي عليه السلام لا تقبل توبة من لم يتب قبل ظهوره. وهذا بظاهره ينافي ما روي في الأخبار المستفيضة من

(١) غيبة النعماني الباب الثالث عشر ح ٢٥.

أنه عليه السلام إذا ظهر ضرب الناس بسيفه وسوطه حتى يدخلوا في دينه طائعين أو كارهين فيجيء تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ فإن ظهور دينه على جميع الأديان إنما يكون في زمن المهدي عليه السلام على ما نطقت به الأخبار.

قلت: يمكن أن يكون وجه الجمع بينهما أن هناك أخباراً تدل على أن المهدي عليه السلام إذا خرج أحيا الله سبحانه له جماعة ممن محض الكفر، فهؤلاء الأحياء الذين تقدم موتهم ورأوا العذاب عيناً وعذبوا به واضطروا إلى الإيمان لا يقبل المهدي عليه السلام منهم توبة لأن توبتهم في هذا الحال مثل توبة فرعون لما أدركه الغرق فقال عزّ وجلّ في جوابه: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ فلم يقبل له توبة، ومثل توبة من بلغت روحه إلى حلقه وتغرغرت في صدره ورأى مكانه من النار وعاينه فإنه إذا تاب لا يقبل له توبة فالمراد بالنفس التي لا ينفعها إيمانها هذه النفس، وأما الأحياء الذين يكونون في زمن ظهوره عليه السلام ولم يسبق لهم الموت فلا يقبل عليه السلام منهم إلا القتل أو الإيمان[1].

أضف إلى ذلك لعل المراد بقوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ...﴾ أن إيمان المرء لا ينفعه يوم يفتح الله للمهدي الدنيا بكاملها فعندئذٍ لا ينفع الإنسان إيمانه ما لم يكن آمن من قبل، ولا تقبل توبته لأنه لم يؤمن يوم دعاه الإمام للإيمان ففر منه وأخفى نفسه حتى فتح العالم كله ورأى أن لا مفر منه جاء ليعلن إيمانه وتوبته،

(١) الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

ومثل هذا لا تقبل توبته ويكون مثله مثل فرعون لما أدركه الغرق قال تبت الآن فلم يقبل الله توبته. وهذا ما أشارت له الآية الكريمة ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ وجاء في تفسيرها عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يوم الفتح يوم تفتح الدنيا على القائم عليه السلام لا ينفع أحداً تقرب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً وبعد هذا الفتح موقناً فذلك الذي ينفعه إيمانه ويعظم الله عنده قدره وشأنه...[1].

ومنها: تعارض الأخبار حول انسحاب السفياني من الكوفة بعض الأخبار أشارت إلى أن انسحابه كان إثر فوران دم الصبيين المصلوبين على باب مسجد الكوفة، وبعضها أشار إلى أنه انسحب مرغماً واستعيدت منه جميع الغنائم والسبايا، وبعضها أشار إلى أنه انسحب إثر سماعه بظهور الإمام المهدي وبخسف البيداء بجيشه بين مكة والمدينة.

ولأجل إيجاد التوافق بين الأخبار المذكورة ورفع التعارض نقول: يحتمل قوياً أن العوامل الثلاثة ساعدت مجتمعة على إيجاد الضغوط النفسية والعسكرية الكافية لإجبار السفياني على الانسحاب وتسليم الغنائم والسبايا وهذا ما أكّدته جملة من الأخبار المارة الذكر التي أفادت أن الرايات السود دخلت الكوفة وحررتها من جيوش السفياني وأجبرته على الانسحاب وتسليم الغنائم بالتعاون مع أهلها المجاهدين الغيارى. ثم بعثوا بالبيعة إلى الإمام المهدي حال سماعهم بظهوره بمكة المكرمة واستعدوا لاستقباله.

---

(١) إلزام الناصب ١: ٨٣.

وبناءً على هذا يكون العامل الأساسي الموجب لانسحاب السفياني هو قوة جيوش أصحاب الرايات السود، لأن سماعه بالخسف ورؤيته فوران دم الصبيين كانا قبل ظهور المهدي عليه السلام ودخول الرايات السود إلى الكوفة. فلو كانا هما السبب الموجب لانسحابه لما ذكرت الأخبار حصول تلك المعارك الضارية بين أصحاب الرايات السود وجيش السفياني حيث تمكنت أن ترغمه على الانسحاب واستعادت الغنائم منه. فلو كان انسحابه تلقائياً لما أرغم على تسليم الغنائم مع آلاف النساء السبايا..

إن الوقائع التاريخية تؤيد خبر انسحاب السفياني مرغماً، وتؤكد عدم وجود التعارض بين الأخبار السالفة الذكر، وإنما الخياران المذكوران وهما: فوران دم الصبيّين والخسف بجيشه كانا العاملين الممهدين لهزيمته ليس إلا.

المواجهة الحاسمة بين الإمام المهدي(ع) والسفياني

فيخرج السفياني بخيله ورجاله وجيشه، في مائتي ألف وستين ألفاً، حتى ينزلوا بحيرة طبرية، فيسير المهدي عليه السلام، بمن معه ولا يحدث في بلد حادثة إلا الأمن والأمان والبشرى، وعن يمينه جبرائيل، وعن شماله ميكائيل عليه السلام، والناس يلحقونه من الآفاق، حتى يلحقوا السفياني على بحيرة طبرية.

ويغضب الله عزّ وجلّ على السفياني وجيشه، ويغضب سائر خلقه عليهم حتى الطير في السماء فترميهم بأجنحتها، وإن الجبال لترميهم بصخورها فتكون وقعة يهلك الله فيها جيش السفياني،

ويمضي هارباً، فيأخذه رجل من الموالي اسمه صباح، فيأتي به إلى المهدي عليه السلام، وهو يصلي العشاء الآخرة فيبشره، فيخفف في الصلاة ويخرج.

ويكون السفياني قد جعلت عمامته في عنقه وسحب، فيوقفه بين يديه فيقول السفياني للمهدي: يا ابن عمي، منّ عليّ بالحياة أكون سيفاً بين يديك، وأجاهد أعداءك.

والمهدي جالس بين أصحابه، وهو أحيى من عذراء، فيقول أصحاب المهدي: يا ابن بنت رسول اله، تمنّ عليه بالحياة وقد قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله! ما نصبر على ذلك.

فيقول: شأنكم وإياه، اصنعوا به ما شئتم، وقد كان خلاه وأفلته.

فيلحقه صباح في جماعة، إلى عند السدرة، فيضجعه ويذبحه، ويأخذ رأسه ويأتي به المهدي، فينظر شيعته إلى الرأس، فيكبرون ويهللون، ويحمدون الله تعالى على ذلك.

ثم يأمر المهدي عليه السلام بدفنه، ثم يسير في عساكره، فينزل دمشق، وقد كان أصحاب الأندلس أحرقوا مسجدها وأخربوه، فيقيم في دمشق مدة، ويأمر بعمارة جامعها[1].

- وفي كتاب الفتن عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: يسير بهم في اثني عشر ألفاً إن قلوا أو خمسة عشر ألفاً إن كثروا،

---

(١) الإمام المهدي (عليه السلام) وظهوره: ٢٦٥.

شعارهم أمت أمت حتى يلقاه السفياني فيقول: اخرجوا إلى ابن عمي حتى أكلمه، فيخرج إليه فيكلمه، فيسلم له الأمر، ويبايعه، فإذا رجع السفياني إلى أصحابه ندّمه كلب فيرجع ليستقيله فيقيله، فيقتتل هو وجيش السفياني على سبع رايات، كل صاحب راية منهم يرجو لنفسه، فيهزمهم المهدي[1].

ـ وعن علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً يقول: إذا بعث السفياني إلى المهدي جيشاً فخسف بهم البيداء وبلغ ذلك أهل الشام قالوا لخليفتهم: قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته وإلا قتلناك، فيرسل إليه بالبيعة، ويسير المهدي حتى ينزل ببيت المقدس، وتنقل إليه الخزائن وتدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته..[2].

ـ وعن الوليد بن مسلم قال: حدثني محدث أن المهدي والسفياني وكلب يقتتلون في بيت المقدس حيث يستقيله البيعة فيؤتى بالسفياني أسيراً فيأمر به فيذبح على باب الرحمة، ثم تباع نساؤهم وغنائمهم على درج دمشق[3].

نزول عيسى(ع) وصلاته خلف المهدي(ع) ومساعدته على قتل الدجال وقضاؤه على اليهود

نزول عيسى عليه السلام: المسلمون لا يختلفون في نزول

---

(١) الفتن: ٢٤٥ إسناده حسن.
(٢) الفتن: ٢٤٤، أورده الحاوي للفتاوي ٢: ٧٣.
(٣) الفتن: ٢٤٤، الحاوي للفتاوي ٢: ٧٢.

عيسى عليه السلام آخر الزمان حيث جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن عيسى نازل فيكم وهو خليفتي عليكم فمن أدركه فليقرئ به سلامي فإنه يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويحج في سبعين ألفاً فيهم أصحاب الكهف إلى أن قال: ويمكث عيسى أربعين سنة، ويقال: ثلاثاً وثلاثين، ويصلي خلف المهدي..[1].

ـ وفي كتاب الفتن عن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يدرك عيسى بن مريم الدجال بعدما يهرب منه، فإذا بلغه نزوله فيدركه عند باب لد الشرقي، فيقتله[2].

ـ وفيه أيضاً عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: إذا نزل عيسى ببيت المقدس، وقد حاصر الرجال الناس في بيت المقدس مشى إليه بعدما يصلي الغداة، يمشي إليه وهو في آخر رمق، فيضربه فيقتله[3].

ـ عن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله الدجال، فقالت أم شريك: فأين المسلمون يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: ببيت المقدس، يخرج حتى يحاصرهم، وإمام الناس يومئذٍ رجل صالح، فيقال: صلى الصبح، فإذا كبر ودخل فيها نزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فإذا رآه ذلك الرجل عرفه، فيرجع يمشي القهقرى، فيتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه ثم يقول: صلِّ فإنما أقيمت لك، فيصلي عيسى وراءه، ثم يقول: افتح الباب، فيفتحون الباب، ومع الدجال يومئذٍ سبعون ألف يهودي، كلهم ذو ساج وسيف

(١) البدء والتاريخ ١: ١٩٠ ـ ١٩٢.
(٢) الفتن: ٣٨١ إسناده حسن.
(٣) الفتن: ٣٨١ إسناده حسن.

محلى، فإذا نظر إلى عيسى ذاب كما يذوب الرصاص، وكما يذوب الملح في الماء، ثم يخرج هارباً، فيقول عيسى: إن لي فيك ضربة لن تفوتني بها، فيدركه فيقتله، فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودي إلا أنطقه الله، ولا حجر، ولا شجر، ولا دابة إلا قال: يا عبد الله المسلم، هذا يهودي فاقتله...[١].

ـ قال الزهري: عن ابن المسيب سمع أبا هريرة (رضي الله عنه) يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم، حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد[٢].

والأخبار في ذلك مستفيضة وهو القول الصحيح الذي ذهب إليه المشهور وقال به الجمهور، وما في بعض الأخبار أو في بعض الكتب من أن المهدي يأتم بعيسى فهو شاذ متروك[٣].

قال أبو الحسن الإبري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وآله بخروجه، وإنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه[٤].

---

(١) الفتن: ٣٨٦ إسناده حسن.
(٢) الفتن: ٣٩١، أخرجه البخاري ٦: ٤٩٠، ومسلم في كتاب الفتن: ٢٤٢، وأبو عمرو الداني ٦: ٦٨٥.
(٣) الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢٤٣.
(٤) الحاوي للفتاوي ٢: ١٣٥.

الإمام المهدي(ع) يدخل الكوفة ويتخذها مقراً له ويقتل كل منافق ومرتاب

بعد أن يفتح الإمام المهدي عليه السلام الحجاز والشام والقدس يتجه إلى مدينة الكوفة ويتخذها مقراً له وعاصمة دولته العادلة بعد أن يقضي على كل الجيوب المناوئة له من المنافقين والمرتابين والبترية وغيرهم.

ثم يقوم بتخريب بعض المساجد، وبناء مسجد كبير له ألف باب ثم تتسع الكوفة حتى تتصل بكربلاء. وهذا ما أخبرت عنه الكثير من الأخبار المتعلقة بهذا الموضوع.

ـ ففي الإرشاد عن أبي جعفر عليه السلام: كأني بالقائم على نجف الكوفة قد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، والمؤمنون بين يديه وهو يفرق الجنود في البلاد[1].

ـ وفيه عنه عليه السلام بعد ذكر المهدي قال: يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفو له ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب فلا يدري الناس ما يقول من البكاء فإذا كانت الجمعة الثانية سأله الناس أن يصلي بهم الجمعة فيأمر أن يخط فه مسجد على الغري ويصلي لهم هناك، ثم يأمر من نجف من ظهر مشهد الحسين عليه السلام نهراً يجري إلى الغريين حتى ينزل الماء..[2].

---

(١) إلزام الناصب ٢: ٢٨٠، غيبة الطوسي: ٢٨١.

(٢) إلزام الناصب ٢: ٢٨٠، غيبة الطوسي: ٢٨١.

ـ وفيه أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام ذكر عنده مسجد السهلة فقال: أما أنه منزل صاحبنا إذا قدم بأهله[١].

ـ وفيه أيضاً عنه عليه السلام: إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله بنى في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب واتصلت بيوت أهل الكوفة بنهري كربلاء[٢].

ـ وفيه أيضاً: عن أبي جعفر عليه السلام إذا قام القائم (عج) سار إلى الكوفة فيخرج منها بضعة عشر ألف نفس يدعون البترية (عليهم السلاح) فيقولون: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة فيضع السيف حتى يأتي على آخرهم، ثم يدخل الكوفة فيقتل بها كل منافق مرتاب، ويهدم قصورها ويقتل مقاتلها حتى يرضى الله عزّ وعلا[٣].

ـ وعن غيبة الطوسي، عن أبي بصير في حديث له ـ إلى أن قال: ـ إذا قام القائم (عج) دخل الكوفة وأمر بهدم المساجد الأربعة ـ إلى أن قال: ـ ثم لا يلبث إلا قليلاً حتى يخرج عليه مارقة الموالي برميلة إلا سكرة عشرة آلاف شعارهم يا عثمان ويدعو رجلاً من الموالي فيقلده سيفه فيخرج إليهم فيقتلهم حتى لا يبقى منهم أحد ثم يتوجه إلى كابل شاه وهي مدينة لم يفتحها أحد قط غيره فيفتحها ثم يتوجه إلى الكوفة فينزلها وتكون داره..[٤].

---

(١) إلزام الناصب ٢: ٢٨٠، غيبة الطوسي: ٢٨١.
(٢) إلزام الناصب ٢: ٢٨٠، غيبة الطوسي: ٢٨١.
(٣) إلزام الناصب ٢: ٢٨١.
(٤) إلزام الناصب ٢: ٢٨٤ ـ ٢٨٥، غيبة الطوسي: ٢٨٣.

ازدياد سكان الكوفة وارتفاع أسعار أراضيها واتساع رقعتها في عهد الإمام(ع)

وفي عهد الإمام المهدي عليه السلام ودولته العادلة تكثر جمعية الناس في مدينة الكوفة التي اتخذها المهدي عليه السلام عاصمة له، وترتفع أسعار أرضها حتى تصل إلى أسعار غالية جداً، ويضيق المكان بالمؤمنين في مسجد الكوفة بحيث يضطر الإمام إلى بناء مسجد له ألف باب كما مرّ الحديث عنه. وهذه بعض الأخبار التي أشارت لذلك:

- عن مفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قائمنا عليه السلام إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها واستغنى الناس من ضوء الشمس، ويعمر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر لا يولد فيهم أنثى، ويبني في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب، وتتصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء، وبالحيرة حتى يخرج الرجل يوم الجمعة على بغلة سفواء يريد الجمعة فلا يدركها..[١].

- وفي العوالم عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا قام القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله بنى في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب، واتصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء[٢].

- ومن كتاب الفضل بن شاذان رفعه، عن سعد، عن أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام قال: لموضوع الرجل في الكوفة أحب إليّ من دار في المدينة[٣].

---

(١) غيبة الطوسي: ٢٨٠.
(٢) عن العوالم في إلزام الناصب ٢: ٣٠٦.
(٣) البحار ٥٢: ٣٨٦.

ـ وعنه عن سعد بن الأصبغ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من كانت له دار بالكوفة فليتمسك بها[١].

لماذا اتخذ الإمام المهدي(ع) الكوفة عاصمة له؟

يعلم الجميع أن مدينة الكوفة مدينة معروفة بولائها لأهل البيت وكانت فيما مضى عاصمة الإمام علي عليه السلام، وهي مدينة مقدسة ولمسجدها حرمة كحرمة بيت الله الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي أول أرض عُبد الله عليها وكانت مأوى لمعظم أنبياء الله فقلما نرى نبياً لم يعبد الله ولم يسجد له على تربتها المباركة التي خلق منها شيعة أهل البيت عليهم السلام ومواليهم. ولذا أصبح السكن فيها مستحباً لأنها ضمت بين طياتها جسد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأجساد الكثير من أنبياء الله كنوح وآدم وهود وصالح وغيرهم. فلهذه الأسباب وغيرها اتخذها الإمام المهدي عليه السلام عاصمة له، وسنترك المجال للأخبار والأحاديث لتحدثنا عن قدسية مدينة الكوفة وحرمتها ورفعة شأنها عند الله تعالى..

ـ عن حسان بن مهران قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال أمير المؤمنين عليه السلام: مكة حرم الله. والمدينة حرم رسول الله والكوفة حرمي لا يريدها جبّار بحادثة إلا قصمه الله. ورواه الشيخ بإسناده عن محمد بن يعقوب مثله[٢].

---

(١) البحار ٥٢: ٣٨٦.

(٢) الفورع ١: ٣١٩ طبع قديم، التهذيب ٢: ٥ وفيه: لا يردها جبار بجور فيها إلا قصمه الله، الوسائل ١٠: ٢٨٢.

ـ عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قلت له: أي البقاع أفضل بعد حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال: الكوفة يا أبا بكر هي الزكية الطاهرة فيها قبور النبيين والمرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه وفيها يظهر عدل الله، وفيها يكون قائمه والقوام من بعده. وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين[١].

ـ عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله اختار من البلدان أربعة، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ التين المدينة، والزيتون بيت المقدس، وطور سينين الكوفة، وهذا البلد الأمين مكة[٢].

ـ وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين، قال: الربوة الكوفة، والقرار المسجد، والمعين الفرات[٣].

ـ عن إسحاق بن داود قال: أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال له: إنّي قد ضربت على كل شيء لي من فضّة وذهب وبعت ضياعي، فقلت: أنزل مكة، فقال: لا تفعل إن أهل مكة يكفرون بالله جهرة،

---

(١) التهذيب ٢: ١١ و٤٤، والوسائل ١٠: ٢٨٢.
(٢) معاني الأخبار: ١٠٤، الوسائل ١٠: ٢٨٢ ـ ٢٨٣.
(٣) معاني الأخبار: ١٠٦، الوسائل ١٠: ٢٨٣.

فقلت: ففي حرم رسول الله صلى الله عليه وآله قال: هم شر منهم، قلت: فأين أنزل؟ قال: عليك بالعراق الكوفة فإن البركة منها على اثني عشر ميلاً هكذا وهكذا، وإلى جانبها قبر ما أتاه مكروب قط ولا ملهوف إلا فرج الله عنه[١].

وفي الخصائص نقل السيد الرضي عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال في مدح الكوفة: يا كوفة ما أطيبك وأطيب ريحك![٢].

ـ عن محمد بن عمر بن سالم، عن الحسن بن عبد الله بن محمد الرازي التميمي، عن أبيه، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: ذكر علي عليه السلام الكوفة فقال: يدفع البلاء عنها كما يدفع عن أخبية النبي صلى الله عليه وآله[٣].

ـ عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: كنت ذات يوم جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله إذ دخل عليه بن أبي طالب عليه السلام، فقال: إلي يا أبا الحسن ثم اعتنقه، وقبل ما بين عينيه، وقال: يا علي إن الله عزّ اسمه عرض ولايتك على السموات فسبقت إليها السماء السابعة فزيّنها بالعرش، ثم سبقت إليها السماء الرابعة فزيّنها بالبيت المعمور، ثم سبقت إليها السماء الدنيا فزيّنها بالكعبة، ثم سبقت إليها المدينة فزيّنها بي، ثم سبقت إليها الكوفة فزيّنها بك، الخبر[٤].

---

(١) التهذيب ٢ ١٥، الوسائل ١٠: ٣٤٥.
(٢) الخصائص: ٨٩، مستدرك الوسائل ١٠: ٢٠٣.
(٣) عيون أخبار الرضا (ع) ٢: ٦٥ ح ٢٩١، وعنه في البحار ١٠٠: ٣٩٢ ح ٢٢، مستدرك الوسائل ١٠: ٢٠٣.
(٤) تاريخ قم: ٩٤.

ـ العياشي في تفسيره: عن بدر بن خليل الأسدي، عن رجل من أهل الشام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أول بقعة عبد الله عليها ظهر الكوفة، لمّا أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة[١].

ـ عن المفضل الطويل، عن الصادق عليه السلام قال: حدثني أبي الباقر عن جدّي علي بن الحسين يرفعه إلى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: طينتنا من المدينة وطينة شيعتنا من الكوفة...[٢].

فتوحات الإمام المهدي وسعة دولته

ذكرت الأخبار أن الإمام المهدي عليه السلام سيحارب الشرك والكفر والنفاق والظلم والضلال في كل أنحاء العالم حرباً لا هوادة فيها حتى يسلم كافة المشركين في شرق الأرض وغربها من الأعاجم والأعراب ولا يبقى غير المؤمنين الموحدين.

وبذا يظهر الدين الإسلامي على الأديان كلها، ويخضع العالم أجمع لسلطانه ولحكومته العالمية العادلة..

وسيلقى الإمام في حربه ما لم يلقَ رسول الله صلى الله عليه وآله من الصعوبات، لأن الرسول أتاهم وهم يعبدون الحجارة المنقورة والخشبة المنحوتة بينما يقاتلهم الإمام على تأويل القرآن حيث أصبح أكثر مسلمي العالم يتأولون القرآن حسب أهوائهم ومصالحهم

(١) تفسير العياشي ١: ٣٤ ح ١٨، مستدرك الوسائل ١٠: ٢٠٦.
(٢) الهداية: ١١١، مستدرك الوسائل ١٠: ٢٠٨.

الدنيوية، وابتعدوا عن أحكام القرآن ومضامينه الواقعية بقدر ابتعادهم عن عدله ومفسريه وهم أهل البيت عليهم السلام المعصومون من الزلل والإثم والخطأ والسهو والنسيان.

ويصل هذا الابتعاد إلى درجة من البعد عن الإسلام وتعاليمه السامية بحيث لو جاء الإمام المهدي عليه السلام وأراد تطبيق أحكام القرآن كما هي ترى أكثر المسلمين يقولون له: قد جئتنا بقرآن جديد لم نعهده من قبل، ويتهمونه بالإسراف بالقتل لكثرة من يقتلهم من أصحاب المذاهب والعقائد الفاسدة الذين يدعون الإسلام ظلماً وعدواناً.

فأكثر الصعوبات التي سيواجهها الإمام في حربه ضد المسلمين الذين أحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأفسدوا عقائد المسلمين بالجبر والإرجاء والبترية والكفر والإلحاد، وأشاعوا المفاسد من خلال تحليلهم للقمار وشرب الفقاع والرقص والغناء واللواط وأجازوا زواج الذكر وغيرها من المنكرات والفسق والفجور..

فرسول الله صلى الله عليه وآله قاتل عباد الأصنام والأوثان الحجرية والبشرية، والإمام المهدي عليه السلام سيقاتل المسلمين المنحرفين عن الإسلام الأصيل والناطقين بالشهادتين والفرق شاسع بين من يقاتل المشركين المعلنين عن شركهم وبين من يقاتل مشركين متلبسين بالإسلام ومتظاهرين به.

وقد أشارت بعض الروايات لما سيواجهه الإمام المهدي (عج) في حربه من جهال الناس المسلمين الذين يتأولون القرآن حسب آرائهم ويحكمون بالقياس الباطل البعيد عن روح الفقه الإسلامي وأحكامه الشرعية.

- ففي غيبة النعماني، عنه عليه السلام يقول: ثلاث عشرة مدينة وطائفة يحارب القائم (عج) أهلها ويحاربه أهل مكة، وأهل المدينة، وأهل الشام وبنو أمية وأهل البصرة، وأهل دميسان والأكراد والأعراب، وضبة وغنى وباهلة وأزاد وأهل الري.

- فيه، عنه عليه السلام قال: إن القائم يلقى في حربه ما لم يلقَ رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن رسول الله أتاهم وهم يعبدون الحجارة المنقورة والخشبة المنحوتة، وإن القائم يخرجون عليه فيتأولون عليه كتاب الله ويقاتلونه عليه...[1].

- وروى الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله من جهال الجاهلية، قلت: وكيف ذاك؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوت، وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله، يحتج عليه به، ثم قال: أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحر والقر[2].

- وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن صاحب هذا الأمر لو قد ظهر لقي من الناس ما لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وأكثر[3].

---

(١) إلزام الناصب ٢: ٢٨٤، غيبة النعماني: ١٩٨ ب ١١ ح ٣.
(٢) غيبة النعماني: ١٩٨ ب ١٧ ح ١، الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢٦٨.
(٣) غيبة النعماني: ١٩٨ ب ١١ ح ٢، الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢٦٩.

ـ وفيه، عنه عليه السلام: إذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله في بدء الإسلام إلى أمر جديد[١].

فتح القسطنطينية

وقبل أن نذكر كيفية احتلال القسطنطينية نود أن نذكر خبراً يصف لنا أسوارها وسبب تسميتها بالاسم المذكور.

ففي رواية يفتح الإمام قسطنطينية لأنها نسبت إلى منشئها وهو قسطنطين الملك وهو أول من أظهر دين النصرانية، ولها سبعة أسوار: السور السابع منها المحيط بالستة أحد وعشرون ذراعاً[٢]، وفيه مائة باب، وعرض السور الأخير الذي يلي البلد عشرة أذرع، وهي ـ أي المدينة ـ على خليج يصب في البحر الرومي، وهي متصلة ببلاد رومية والأندلس. وأما رومية فهي أم بلاد الروم وكل من ملكها يقال له: الباب، وهو الحاكم على دين النصرانية بمنزلة الخليفة في المسلمين وليس في بلاد الروم مثلها كثيرة العجائب محكمة البناء...

وعن عقد الدرر: أن عليها سورين من حجارة عرض الأول اثنان وسبعون ذراعاً، وعرض الثاني اثنان وأربعون ذراعاً ومسافة ما بين السورين من الفضاء ستون ذراعاً، ولها ألف باب من النحاس الأصفر سوى العود والصنوبر والخشب والأبنوس المنقوش الذي لا تدرى قيمته، ومسافة ما بين الغربي منها إلى الشرقي مائة وعشرون ميلاً، وبين

---

(١) إلزام الناصب ٢: ٢٨١.

(٢) عرض السور.

السورين نهر مغطى ببلاط من نحاس طول كل بلاطة سبعون أو أربعون ذراعاً، وهذا النهر الذي بين السورين يتصل بالنهر الكبير الذي تدخل فيه المراكب وتعلوه إلى داخل البلد فتقف على جانب البحر فتبيع وتشتري. وفيها ألف ومائتا كنيسة وأربعون ألف حمام وفيها طلسمات للحيّات والعقارب تمنعهم من الدخول إليها وطلسم يمنع الغريب من الدخول إليها وفي وسطها سوق يباع فيه الطير، ...[(١)].

الكيفية التي تفتح بها القسطنطينية

ففي كتاب غيبة النعماني عن الصادق عليه السلام قال: إذا قام القائم (عج) في أقاليم الأرض في كل إقليم رجل يقول عهدك في كفك، فإذا ورد عليك ما لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيها. قال: ويبعث جنداً إلى القسطنطينية فإذا بلغوا إلى الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً ومشوا على الماء.

فإذا نظر إليهم الروم يمشون على الماء قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون على الماء فكيف هو؟ فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة فيدخلون فيحكمون فيما ما يريدون[(٢)].

ـ وعن عقد الدرر، عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قصة المهدي (عج) وفتوحاته ورجوعه إلى دمشق، قال: ثم يأمر المهدي بإنشاء مراكب فيبنى أربع مائة سفينة في ساحل عكا ويخرج الروم في مائة صليب تحت كل صليب عشرة آلاف فيقيمون على طرسوس

---

(١) إلزام الناصب ٢: ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٢) إلزام الناصب ٢: ٢٨٧.

فيفتحونها بأسنة الرماح ويوافيهم المهدي (عج) فيقتل من الروم حتى يتغير ماء الفرات بالدم وينهزم من في الروم فيلحقوا أنطاكية وينزل المهدي (عج) على قبة العباس فيبعث ملك الروم يطلب الهدنة من المهدي ويطلب المهدي (عج) منه الجزية فيجيبه إلى ذلك غير أنه لا يخرج من بلد الروم فلا يبقى في بلد الروم أسير إلا خرج، ويقيم المهدي (عج) بأنطاكية سنته تلك، ثم يسير بعد ذلك ومن معه من المسلمين لا يمرون على حصن من بلاد الروم إلا قالوا عليه: لا إله إلا الله فتتساقط حيطانها ويقتل مقاتلته حتى ينزل على القسطنطينية فيكبرون عليها تكبيرات فينشف خليجها ويسقط سورها فيقتلون فيها ثلاث مائة ألف مقاتل، ويستخرج منها ثلاثة كنوز ذهب وكنز فضة، وكنز أبكار فيفتضون ما بدا لهم بدار البلاط سبعين ألف بكر، ويقتسمون الأموال بالغرابيل، وبينما هم كذلك إذ سمعوا الصايح ألا إن الدجال قد خلفكم في أهليكم فيكشف الخبر فإذا هو باطل.

ويسير المهدي (عج) إلى رومية ويكون قد أمر أربع مائة مركب من عكا فيقيض الله تعالى لهم الريح فما يكون إلا يومان وليلتان ويحيطون على بابها ويعلقون رجالهم على شجرة على بابها مما يلي غربيها فإذا رآهم أهل رومية أحضروا إليهم راهباً كبيراً عنده علم من كتبهم فيقولون: انظر ما يريد فإذا أشرف على المهدي (عج) فيقول: إن صفتك التي هي عندي وأنت صاحب رومية فسأله الراهب عن أشياء فيجيبه عنها فيقول له المهدي (عج): ارجع فيقول: لا أرجع أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فيكبر المسلمون ثلاث تكبيرات فتكون كالرمانة على نشر فيدخلونها فيقتلون بها خمس مائة ألف مقاتل ويقتسمون الأموال حتى يكون الناس في الفيء شيئاً واحداً

لكل الأبناء منهم مائة ألف دينار ومائتا رأس ما بين جارية وغلام وعن الكتاب المزبور عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: يكون بين الروم وبين المسلمين هدنة وصلح يقاتلون معهم عدواً لهم فيقاسمونهم غنائمهم ثم الروم يغزون مع المسلمين فارسين فيقتلون مقاتليهم ويسبون ذراريهم فيقول الروم: قاسمونا الغنائم كما قاسمناكم فيقاسمونهم الأموال وذراري الشرك...[1].

ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: تغزون القسطنطينية ثلاث غزوات: فأما غزوة واحدة فتلقون بلاء وشدة، والغزوة الثانية يكون بينكم وبينهم صلح حتى يبتني فيها المسلمون المساجد، ويغزون معهم وراء القسطنطينية، ثم يرجعون إليها، والغزوة الثالثة يفتحها الله لكم بالتكبير فتكون على ثلاثة أثلاث، يخرب ثلثها ويحرق ثلثها، ويقسمون الثلث الباقي كيلا[2].

وخلاصة الأخبار الواردة من طريق الفريقين تؤكد أن الإمام المهدي يفتح القسطنطينية، ولا ضير في اختلافها في كيفية افتتاحها إذ إن النتيجة واحدة وهي خضوع الغرب لسيطرة الدولة المهدوية وإذعانهم لحكومته العادلة.

الإمام المهدي(ع) يفتح جميع أرجاء العالم ويخضعه لسيطرته

ففي كتاب الدمعة عن عقد الدرر، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قصة المهدي عليه السلام قال: ويتوجه إلى الآفاق فلا

(١) إلزام الناصب ٢: ٢٨٨ ـ ٢٨٩.
(٢) الفتن: ٣٢٦.

تبقى مدينة وطأها ذو القرنين إلا دخلها وأصلحها ولا يبقى كافر إلا هلك على يديه ويشفي الله قلوب أهل الإسلام ويحمل حلي بيت المقدس ويأتي مدينة فيها ألف سوق وفي كل سوق مائة دكان فيفتحها ثم يأتي مدينة يقال لها: القاطع وهي على البحر الأخضر المحيط بالدنيا ليس خلفه إلا أمر الله عزّ وجلّ طول المدينة ألف ميل وعرضها خمسمائة ميل فيكبرون الله عزّ وجلّ ثلاث تكبيرات فيسقط حيطانها فيقتلون بها ألف ألف مقاتل ويقيمون فيها سبع سنين..[1].

ـ وفيه عن كعب الأحبار يخرج المهدي إلى بلد الروم ويفتح القسطنطينية ثم يقضي على الدجال بعد نزول عيسى بن مريم ويحرر المدن الإسلامية من سيطرته..[2].

ـ وفي غيبة النعماني عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: لو قد خرج قائم آل محمد صلى الله عليه وآله لنصره الله بالملائكة المسومين والمردفين والمنزلين والكروبيين يكون جبرائيل أمامه وميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن يساره والرعب مسيره أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، والملائكة المقربون حذاه أول من يتبعه محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام الثاني ومعه سيف مخترط يفتح الله له الروم، والصين، والترك، والديلم، والسند، والهند، وكابل شاه، والخزر يا أبا حمزة لا يقوم القائم إلا على خوف شديد...[3].

---

(١) إلزام الناصب ٢: ٣٠٠.
(٢) إلزام الناصب ٢: ٣٠٢ ـ ٣٠٣.
(٣) عنه في إلزام الناصب ٢: ٣٠٣.

ـ وفي كتاب المهدي عند أهل السنة عن ابن ماجة في سننه، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوله الله عزّ وجلّ حتى يملك رجل من أهل بيتي جبل الديلم والقسطنطينية إسناده صحيح[١].

ـ وفيه أيضاً عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وآله وفيه بعد قوله ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم، ثم إن المهدي ومن معه من المسلمين يأتون إلى مدينة أنطاكية وهي مدينة عظيمة على البحر فيكبرون عليها ثلاث تكبيرات فيقع سورها من البحر بقدرة الله عزّ وجلّ فيقتلون الرجال ويسيرون ويعمر عمارة أهل الإسلام ثم يسيرون إلى رومية والقسطنطينية وكنيسة الذهب فيقتحمون القسطنطينية ورومية ويقتلون بها أربع مائة ألف مقاتل ويفتضون بها سبعين ألف بكر ويستفتحون المداين والحصون..[٢].

ـ وفي كتاب البحار عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: القائم منصور بالرعب مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عزّ وجلّ به دينه ولو كره المشركون[٣].

---

(١) التذكرة للقرطبي عنه: ٦١٩، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٢٠٤.
(٢) التذكرة للقرطبي عنه: ٦١٩، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٢٠٤.
(٣) البحار ٥٢: ١٩١ ح ٢٤ عن كمال الدين.

الإمام المهدي(ع) يبعث بأمرائه لسائر الأمصار ويوصيهم بالعدل والإحسان

وبعد أن يفرض الإمام المهدي (عج) سيطرته على العالم أجمع يبعث بالولاة والحكام إلى سائر أنحاء العالم ويطلب منهم أن يحكموا بالكتاب والسنة وأن يكافحوا كل أنواع الظلم والجور ويقيموا القسط والعدل وأن يساووا بين الناس في الحقوق والواجبات.

وهؤلاء الولاة هم من خيرة المجتمع كما مرّ وصفهم وهم العلماء والفقهاء الزهاد الأتقياء الذين يتمتعون بسلامة العقول وكمالها كما أنهم يحظون بالتسديد والرعاية الكاملة من قبل الله تعالى حيث قال في حديث قدسي نقل من صحف إدريس: فإنه يوم قضيت وحتمت أن أطهر الأرض ذلك اليوم من الكفر والشرك والمعاصي وانتخبت لذلك الوقت عباداً لي امتحنت قلوبهم للإيمان وحشوتها بالورع والأخلاق واليقين والتقوى والخشوع والصدق والحلم والصبر والوقار والتقى والزهد في الدنيا والرغبة فيما عندي، وأجعلهم دعاة الشمس والقمر، وأستخلفهم في الأرض وأمكن لهم دينهم الذي أرتضيه لهم، ثم يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً يقيمون الصلاة بوقتها ويؤتون الزكاة لحينها، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...[1].

وبالإضافة إلى ما ذكرنا من مواصفات هؤلاء ومؤهلاتهم التي تمكنهم من إقامة القسط والعدل بين الناس، أنهم مسددون من قبل الله

---

(١) إلزام الناصب ٢: ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

تعالى وإمامهم الذي سبق أن أشرنا إلى أنه يتمتع بالولاية التكوينية بالإضافة إلى الولاية التشريعية.

ففي حديث عن محمد بن جعفر، عن أبيه عليه السلام إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً يقول: عهدك في كفك، فإذا ورد عليك ما لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيها. فليس هناك أعظم من هذا التسديد والرماية الإلهية التي تحصل على نحو الإعجاز والكرامة العظيمة بإذن الله. فكلما يتعذر على ولاة الإمام المهدي عليه السلام حكم بالقضاء في أي قضية ينظرون إلى راحة كفهم فيجدون الحكم مكتوباً فيه، فهل هناك رعاية وتسديد أعظم من هذا؟!

فإن حكاماً كهؤلاء لا يمكن أن يصدر منهم ظلمٌ أو جورٌ طالما كانوا يحظون برعاية الله وتسديده.

سيرة الإمام المهدي(ع) كسيرة جده رسول الله(ص)

قال أهل العلم: يعمل بسنة النبي صلى الله عليه وآله لا يوقظ نائماً ويقاتل على السنة، لا يترك سنة إلا أقامها ولا بدعة إلا رفعها يقوم بالدين آخر الزمان كما قام به النبي صلى الله عليه وآله أوله، يملك الدنيا كلها كما ملك ذو القرنين وسليمان بن داود عليه السلام.

يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرد إلى المسلمين إلفتهم ونعمتهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يحثو المال حثواً ولا يعده عداً، يقسم المال صحاحاً بالتسوية، يرضى عنه

ساكن السماء وساكن الأرض والطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر.

يملأ قلوب أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم غنى حتى أنه يأمر منادياً ينادي ألا من له حاجة في المال؟

فلا يأتيه إلا رجل واحد فيقول: أنا، فيقول له، ائت السادن ـ أي الخازن ـ فقل له: المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احث حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم، فيقول: كنت أجشع ـ أي أحرص ـ أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أعجز عني ما وسعهم، قال: فيرده فلا يقبل منه، فقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه، الأمة..

تنعم أمة محمد برها وفاجرها في زمانه بنعمة لم يسمعوا بمثلها قط.. يأوي إليه الناس كما يأوي النحل إلى يعسوبه حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول.. ترعى الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد، وتلعب الصبيان بالحيات والعقارب لا تضرهم شيئاً ويزرع الإنسان مداً فيخرج له سبع مائة مد، ويرفع الربا والزنا وشرب الخمر وتطول الأعمار وتؤدى الأمانة، وتهلك الأشرار ولا يبقى من يبغض آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

محبوب ـ يعني المهدي ـ في الخلائق يطفئ الله به الفتنة العمياء وتأمن الأرض حتى أن المرأة تحج في خمس نسوة ما معهن رجل، ولا يخفن شيئاً إلا الله مكتوب في شعائر الأنبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب(١).

---

(١) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ٢: ١٣.

- ففي كتاب الفتن عن جعفر بن سيار الشافعي قال: يبلغ من رد المظالم حتى لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتى يرده[١].

- عن أبي رؤبة قال: المهدي كأنما يلعق المساكين الزبد[٢].

- عن ليث، عن طاووس قال: علامة المهدي أن يكون شديداً على العمال، جواداً بالمال، رحيماً بالمساكين[٣].

- عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ولا تدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبته، ولا الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته، حتى يتمنى الأحياء الأموات[٤].

- عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: تأوي إليه أمته كما تأوي النحلة يعسوبها، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول، لا يوقظ نائم ولا يهرق دمٌ[٥].

- حدثنا حميد الرواسي عن محمد بن مسلم عن إبراهيم بن مسيرة، عن طاووس قال: إذا كان المهدي زيد المحسن في إحسانه، وتيب على المسيء من إساءته، وهو يبذل المال، ويشد على العمال، ويرحم المساكين[٦].

---

(١) الفتن: ٢٤٩، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٨٣ ونسبه للمصنف.
(٢) الفتن: ٢٥٠.
(٣) الفتن: ٢٥٠، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٧٥ ونسبه للمصنف.
(٤) الفتن: ٢٥١، أخرجه عبد الرزاق ١١: ٣٧١، وأبو عمرو ٥: ٥٦٤.
(٥) الفتن: ٢٥٢، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٧٧ ونسبه إلى المصنف.
(٦) الفتن: ٢٥٣، اخرجه ابن أبي شيبة ٧: ٥١٤.

ـ حدثنا عبد القدوس، عن أبي بكر، عن يزيد بن سلمان الرحبي، عن دينار بن دينار قال: المهدي وقد تفرق الفيء فيواسي بين الناس فيما وصل إليه، لا يؤثر فيه أحد على أحد، ويعمل بالحق حتى يموت، ثم تصير الدنيا بعد هرجاً[١].

ـ عن جابر الجعفي ـ في حديث طويل ـ عن أبي جعفر عليه السلام يقول في آخره: فلا يترك عبداً مسلماً إلا اشتراه وأعتقه، ولا غارماً إلا قضى دينه ولا مظلمة لأحد من الناس إلا ردها ولا يقتل منهم عبد إلا أدى ثمنه ـ يعني دية مسلمة إلى أهلها ـ ولا يقتل قتيل إلا قضى عنه دينه وألحق عياله في العطاء، حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وعدواناً، ويسكنه هو وأهل بيته الرحبة[٢].

يبدو من النصوص السالفة الذكر أن سيرة الإمام المهدي عليه السلام كسيرة جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخلاقه كأخلاقه من حيث التواضع والتعاطف والمواساة، وأنه لا يؤاخذ من ارتكب المحرمات والقبائح قبل مجيئه كما فعل جده مع مشركي مكة، وإن جميع من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وصدق بإمامته وولايته يعيش آمناً تحت ظل دولته منعماً مرفّهاً طالما التزم بقوانين دولته العادلة، وأطاع أوامره.

---

(١) الفتن: ٢٥٤.

(٢) الحاوي للفتاوي ٢: ١٥٤.

الإمام المهدي(ع) يحكم بحكم الله ورسوله(ص) ويلفظ القياس

ففي الفتوحات الملكية ج ٣، ذكر حكم الإمام المهدي عليه السلام وقال: فالإمام يتعين عليه علم ما يكون بطريق التنزيل الإلهي وبين ما يكون بطريق القياس وما يعلمه المهدي ـ أعني علم القياس ـ ليحكم به، وإنما يعلمه ليتجنبه فما يحكم المهدي إلا بما يلقي إليه الملك من عند الله الذي بعثه الله إليه لتسديده، وذلك هو الشرع الحقيقي المحمدي الذي لو كان محمد صلى الله عليه وآله حياً ورفعت إليه تلك النازلة لم يحكم فيها إلا بما يحكم هذا الإمام.

فيعلمه الله أن ذلك هو الشرع المحمدي ليحرم عليه القياس مع وجود النصوص التي منحه الله إياها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله في صفة المهدي: يقفو أثري لا يخطئ. فعرفنا أنه متبع لا متبوع، وأنه معصوم، ولا معنى للمعصوم في الحكم إلا أنه لا يخطئ، فإن حكم الرسول لا ينسب إليه خطأ فإنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ كما أنه لا يسوغ القياس في موضع يكون فيه الرسول صلى الله عليه وآله موجوداً فلا يأخذون الحكم إلا عنه.

ولهذا الفقير الصادق لا ينتمي إلى مذهب إنما هو مع الرسول الذي هو مشهود له كما أن الرسول مع الوحي الذي ينزل عليه فينزل على قلوب العارفين الصادقين من الله التعريف بحكم النوازل أنه حكم الشرع الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

(١) عنه في الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ١١٤، إسعاف الراغبين: ١٤٥.

ـ وفي كتاب الفتن، عن كعب في خبر له: المهدي يبعث بقتال الروم يعطى فقه عشرة، يستخرج تابوت السكينة من غار بأنطاكية فيه التوراة التي أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام والإنجيل الذي أنزله الله عزّ وجلّ على عيسى عليه السلام، يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم(١).

ـ وفيه أيضاً عن كعب قال: إنما سمّي المهدي لأنه يهدي إلى أسفار من أسفار التوراة يستخرجها من جبال الشام، يدعو إليها اليهود فيسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة، ثم ذكر نحواً من ثلاثين ألفاً(٢).

ـ وفي إرشاد المفيد عن عبد الله بن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله حكم بين الناس بحكم داود عليه السلام لا يحتاج إلى بينة يلهمه الله فيحكم بعلمه ويخبر كل قوم بما استبطنوه، ويعرف وليه من عدوه بالتوسم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾(٣).

ـ وفي البحار عن حريز قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لن تذهب الدنيا حتى يخرج رجل منا أهل البيت يحكم بحكم داود وآل داود لا يسأل الناس بينة(٤).

---

(١) الفتن: ٢٤٩، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٧٥ ونسبه للمصنف.
(٢) الفتن: ٢٥١، أخرجه أبو عمرو الداني: ٥٨٦.
(٣) إرشاد المفيد: ٣٦٥.
(٤) البحار ٥٢: ٢٨٦.

- وعن الحسن بن طريف قال: كتبت إلى أبي محمد العسكري عليه السلام أسأله عن القائم عليه السلام إذا قام بما يقضي بين الناس، وأردت أن أسأله عن شيء لحمّى الربع فأغفلت ذكر الحمّى، فجاء الجواب: سألت عن الإمام فإذا قام يقضي بين الناس بعلمه كقضاء داود عليه السلام لا يسأل البينة الخبر(١).

هذه النصوص وغيرها مما لا يسع المجال لذكرها أعطتنا صورة جليّة ناصعة عن حكم الإمام وقضائه العادل حيث أكدت على أن حكمه مصداق تام لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وتجسيدٌ واقعيٌ عمليٌ لها.

وأكّدت النصوص على أنه عليه السلام عالم بحرام الله وحلاله، وأن الناس جميعاً يحتاجون إلى علومه وهو لا يحتاج لأحد منهم، وأنه يحكم كحكم داود أي يحكم بعلمه ولا يطلب البينة.

وهذا إن دل على شيء فهو يدل بما لا ريب فيه على غزارة علمه وإحاطته التامة بأحكام الكتاب والسنة وأنه ملهم ومسدد من قبل الله تعالى.

مدة حكم الإمام المهدي(ع)

اختلفت الروايات في تحديد مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام حيث ذهب بعضها إلى أنه يحكم خمساً أو ستاً أو سبعاً أو تسعاً. وبعضها ذكر أن مدة حكمه ١٤ سنة أو ٣٠ سنة أو ٤٠ سنة، وذكرت

---

(١) البحار ٥٢: ٣١٩ ح ٢٥.

بعض الروايات إلى أنه يحكم سبعاً إلا أن سني حكمه عليه السلام تكون طويلة تعد السنة الواحدة بعشر سنين.

وقبل أن نذكر محاولة الجمع بين هذه الأخبار المختلفة نورد بعض تلك الأخبار.

ففي كتاب المصنف للحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني ذكر خبراً مفاده أن مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام سبع سنين أو تسع سنين[١].

وفيه أيضاً: سبع أو ثمان أو تسع[٢]، وفي ص ٣٥ في خبر تردد بين سبع وإلا فتسع[٣].

وفي سنن أبي داود ج ٤ ذكر خبراً عن هشام: أنه يلبث سبع سنين أو تسعاً[٤].

وفي الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي خبر هذا نصه: إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً..[٥].

وفي معالم السنن ذكر خبراً مفاده أنه عليه السلام يحكم سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون[٦].

---

(١) المهدي عند أهل السنة ١: ٢٦.
(٢) المهدي عند أهل السنة ١: ٢٧.
(٣) المهدي عند أهل السنة ١: ٣٥.
(٤) سنن أبي داود ٤: ١٠٨، المهدي عند أهل السنة ١: ١٠٨.
(٥) الجامع الصحيح ٤: باب ٥٣ ح ٢٢٣٣، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٩.
(٦) معالم السنن: ٣٤٤ الطبعة الحجرية، المهدي عند أهل السنة ١: ٨٨.

وفي الفتوحات المكية ذكر أن مدة حكمه عليه السلام مردّدةً بين خمس وسبع وتسع..[١].

وفي الفصول المهمة عن عبد الكريم الجشعمي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم يملك القائم؟ قال: سبع سنين تطول له الأيام والليالي حتى تكون السنة من سنيه بمقدار عشر سنين من سنيكم فتكون سنيه بمقدار سبعين سنة من سنيكم هذه[٢].

وفي كتاب الحاوي للفتاوي للسيوطي جملة أخبار بعضها يقول: إن مدة حكمه عليه السلام سبع سنين وشهران وآخر يقول: أربع عشرة سنة، وآخر يقول: إنه يحكم ثلاثين سنة وآخر يقول: أربعين سنة[٣].

محاولة للجمع بين الأخبار المختلفة في تحديد مدة حكم المهدي(ع)

وقد اختلفت الروايات في مدة ملك المهدي عليه السلام، ففي بعضها يملك خمساً أو سبعاً أو ستاً بالترديد وفي بعضها تسع عشرة سنة وأشهراً، وفي بعضها عشرين وفي بعضها ثلاثين وفي بعضها أربعين، منها تسع سنين يهادن الروم فيها.

ويمكن الجمع على تقرير صحة الكل بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة، فيحمل الأكثر باعتبار جميع مدة الملك منذ البيعة، والأقل على غاية الظهور، والأوسط على الأوسط.

---

(١) عنه في المهدي عند أهل السنة ١: ١٠٦.
(٢) عنه في المهدي عند أهل السنة ١: ٣٤٧.
(٣) الحاوي للفتاوي ٢: ١٥٥، المهدي عند أهل السنة ١: ٣٨٦.

قال في الإشاعة: وهذا الذي تقتضيه بشارة النبي ﷺ بالمهدي وأن الله تعالى يعوضهم عن الظلم والجور قسطاً وعدلاً واللائق بكرم الله تعالى أن تكون مدة ذلك بقدر ما ينسون فيها الظلم والجور والفتن، والسبع والتسع أقل من ذلك مع أنه في مدته تفتح الدنيا كلها كما فتحها ذو القرنين وسليمان ويدخل جميع الآفاق كما في بعض الروايات ويبني المساجد والبلدان ويحلي بيت المقدس وهذا يقتضي مدة طويلة، مع ما ورد أن الأعمار تطول في زمانه فطولها مستلزم لطول مدته، والتسع ونحوها ليست من الطول في شيء، ولا سيما مهادنته للروم تسع سنين، ثم فتح القسطنطينية وروميه والمدائن وغيرهما وهذا يقتضي طول مدته وبالله التوفيق[1].

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢٠.

خلاصة الجمع

إذا قلنا: إن مدة خر ج الإمام المهدي ابتداءً من البيعة تحرير مكة المدينة انتهاءً بفتح القسطنطينية تحرير القارات السبع إخضاعها لسيطرته تستغرق على أقل تقدير عشرين عاماً مع مدة الهدنة السالفة الذكر، إذا قلنا بذلك تكون جميع الر ايات التي د ن تلك المدة لا موضوعية لها، أ أنها ذكرت فترة الازدهار الاقتصادي السياسي الاجتماعي العسكري حيث بلغت الد لة الإسلامية العالمية أ ج قوتها ظهر الإسلام بها على كل الديانات السما ية النظم الوضعية.

ثم بعد تفرغ الإمام عليه السلام من حر به انشغاله بالإصلاح البناء حتى تمكن من بناء المساجد الواسعة الجديدة إصلاح الأراضي الصحرا ية تنمية المحاصيل الزراعية، تحويل الصحاري القاحلة إلى أراضٍ خضراء بحيث يمشي الحاج ابتداءً من باب داره إلى مكة المكرمة على أرض خضراء يستظل بظل الأشجار الوارفة، إن تحقيق ذلك يحتاج إلى قت طويل قد يستغرق عشرات السنين هذا مع توفّر الوسائل الزراعية المياه الكافية الأيادي العاملة جود الرعاية

الغيبية، إذ بدون توفر الأمور المذكورة يصبح بلوغ مستوى الإصلاح المذكور أمراً مستحيلاً لا يمكن بلوغه حتى بمئات السنين.

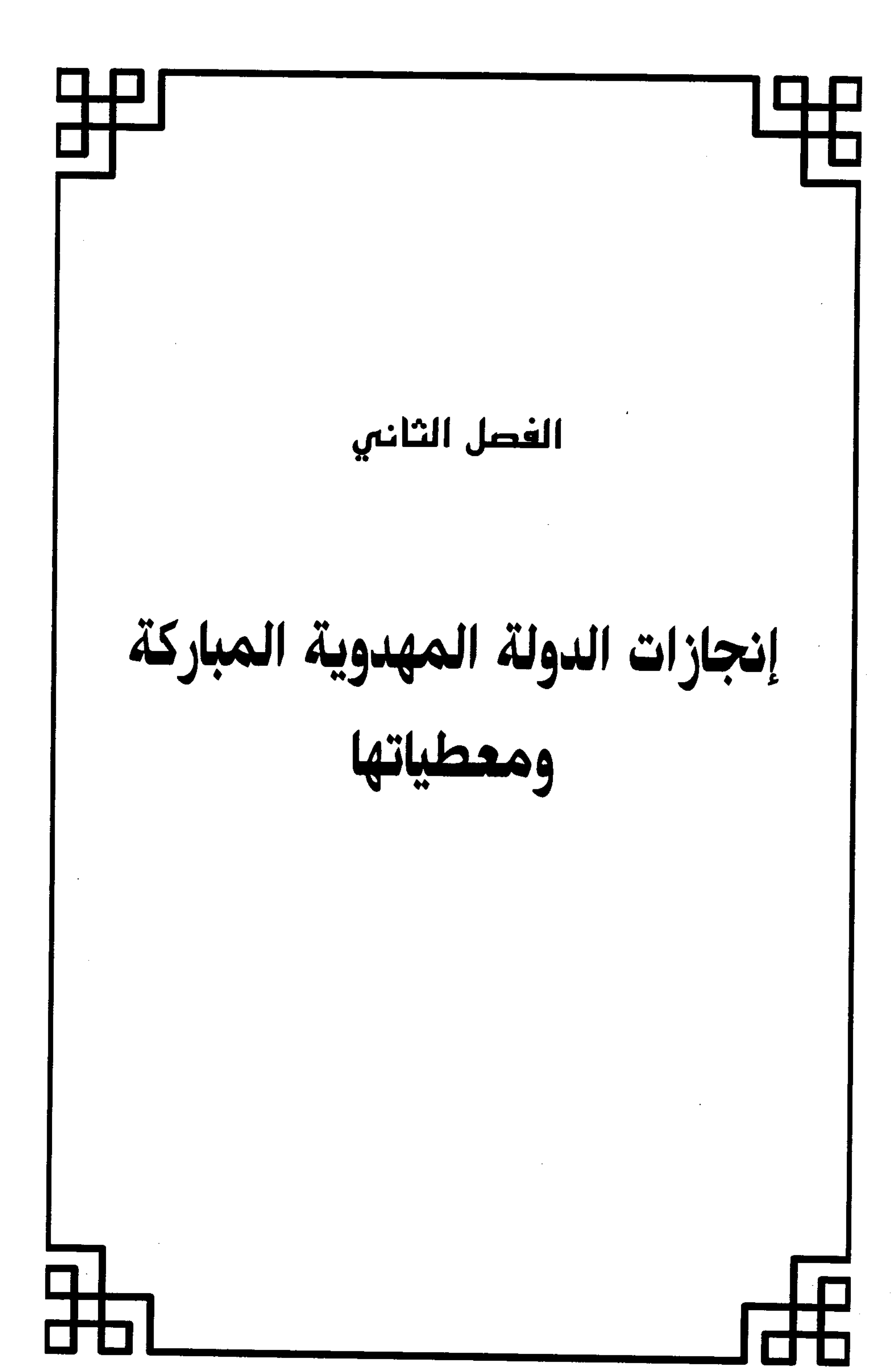
وإذا فرضنا أن أقل مدة تستغرقه إصلاحات الإمام عشرون سنة فتكون مدة حكم المهدي عليه السلام أربعين سنة على أقل تقدير. وبناءً على هذا تكون الأخبار التي حددت مدة حكمه بعشرين سنة تعني فترة الازدهار والاستقرار التي أعقبت حروبه عليه السلام. والأخبار التي ذكرت الأربعين سنة فإنها جمعت بين فترة الحرب والإصلاح معاً، وهذا ما أشارت له رواية الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام حيث جاء فيها: (يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه)[1].

وخرجت عن هذا الإطار رواية ذكرها الفضل بن شاذان عن أبي عبد الله عليه السلام أن مدة حكمه عليه السلام تمتد إلى يوم القيامة دون انقطاع[2].

---

(١) البحار ٥٢: ٢٨٠ عن الاحتجاج.
(٢) منتخب الأثر: ٢٩٦.





الفصل الثاني

إنجازات الدولة المهدوية المباركة ومعطياتها



بركات وجود الإمام المهدي(ع) وفيوضاته على المؤمنين والأمة المسلمة

إن لوجود الإمام المهدي عليه السلام بركات عظيمة يمن الله بها على عباده المؤمنين بفضل وجوده المبارك وعلى أمة محمد صلى الله عليه وآله التي ستسع العالم كله في زمان ظهوره. ففي عصر ظهوره تنعم الأمة بخير لم تنعم به من قبل، وإن الأرض تنار بنوره الوضاء، ويستغني الناس عن نور الشمس والقمر، ويكتفي جميع من على وجه الأرض بنور جماله وإشراقه عليه السلام وهذا ما أشارت له الآية الكريمة: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾.

ومن بركاته أيضاً أن الله يمد في أعمار شيعته وأسماعهم وأبصارهم حتى أنهم ينظرون إليه ويسمعون كلامه عن بعد وهو في مكانه. ثم تزداد قوة الرجل الواحد منهم إلى أربعين ضعفاً، ويكون بمقدورهم المشي على الماء، واجتياز المسافات البعيدة بأقصر وقت..

ثم إن الإمام عليه السلام يمسح على رؤوس شيعته فتكمل عقولهم وأحلامهم وتتفتح أذهانهم وتتسع مداركهم وتكون أكثر اقتداراً على استيعاب العلوم وأكثر خلاقية وابتكاراً. وهذا ما أشارت له مجموعة من الروايات ننقل بعضاً منها.

ـ عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: يكون في أمتي المهدي عليه السلام ـ إلى أن قال ـ: تنعم أمتي في زمانه نعيماً لم يتنعموا مثله قط البر والفاجر، يرسل السماء عليهم مدراراً ولا تدخر الأرض شيئاً من نباتها[١].

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ثم ذكر نحو الحديث المذكور وأضاف: تؤتي أكلها ولا تدخر منهم شيئاً والمال يومئذٍ كدُوس...[٢].

ـ وفي رواية يحبه ـ يعني المهدي ـ ساكن الأرض وساكن السماء، وترسل السماء قطرها، وتخرج الأرض نباتها لا تمسك منه شيئاً ـ إلى أن قال ـ: يتمنى الأحياء الأموات بما صنع الله بأهل الأرض من خيره[٣].

ـ وعن الفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها، واستغنى العباد عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة الحديث[٤]. وفي البحار نقلاً عن غيبة الطوسي ما يدل على ذلك، ويأتي الحديث تحت عنوان (تكثر جميعة الناس في الكوفة)[٥].

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٢٢٩.
(٢) سنن ابن ماجه ٢: ٢٢ ـ ٢٣، المهدي عند أهل السنة ١: ٣٤ ـ ٣٥.
(٣) الصواعق المحرقة: ١٦١ طبع القاهرة، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٢١.
(٤) الإرشاد للمفيد: ٣٦٣.
(٥) الإرشاد للمفيد: ٣٦٣.

ـ وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما كان يقول لوط عليه السلام: «لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد» إلا تمنياً لقوة القائم عليه السلام، ولا ذكر إلا شدة أصحابه فإن الرجل منهم يعطى قوة أربعين رجلاً، وإن قلبه لأشد من زبر الحديد، ولو مروا بجبال الحديد لقطعوها...[1].

ـ وفي حديث أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام: فينشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله عمودها من عمود العرش وسائرها من نصر الله، لا يهوى بها إلى شيء أبداً إلا هتكه الله، فإذا هزّها لم يبقَ مؤمن إلا صار قلبه كزبد الحديد، ويعطى المؤمن قوة أربعين رجلاً...[2].

ـ عن ابن أبي يعفور، عن مولى لبني شيبان، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت بها أحلامهم[3].

ـ وعن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع به عقولهم وأكمل به أخلاقهم[4].

ـ عن أبي الربيع الشامي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قائمنا إذا قام مد الله عزّ وجلّ لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى

---

(١) البحار ٥٢: ٣٢٧ عن كمال الدين.
(٢) كامل الزيارة: ١٢٠ باب ٤١.
(٣) البحار ٥٢: ٣٢٨ عن كمال الدين.
(٤) البحار ٥٢: ٣٣٦ عن الخرائج.

لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه(١).

نكتفي بهذا القدر من ذكر النصوص التي أشارت إلى بركات وجوده المبارك وكراماته، ربما يستبعد البعض صدور مثلها عنه عليه السلام لأنه يعتبره إنساناً لا يمتاز بشيء عليه وعلى سائر الناس، فيما أن الناس لا تصدر منهم مثل تلك الكرامات المذهلة وهو لا يمتاز عنهم بشيء فإذن لا يمكن صدورها منه أيضاً، ولكن هذا قياس باطل لم يستوفِ خصائص الطرفين وساوى بين أعلى مستوى للعلم وبين أدنى مستوى منه. وهذا ما لا يرتضيه أي إنسان عاقل، لأن الأئمة عليهم السلام أعلم الناس بعد رسول الله فكيف نساويهم بسائر أفراد الناس ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مالكم كيف تحكمون؟

إن منشأ هذا القياس هو الجهل لا محالة، إذ لو كان هؤلاء مطلعين على كتاب السيرة والتاريخ لما ابتدعوا قياساً كهذا، لأن كتب التاريخ والسيرة تنبئنا بكرامات كثيرة صدرت من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار وهم دون مستوى الإمام المعصوم علماً وإيماناً. فكيف يصح صدور تلك الكرامات منهم، ولا يصح صدورها ممن أطلعهم الله على بعض أسرار غيبه بواسطة جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم خزنة علم الله، وورثة علوم أنبيائه ورسله؟

إن ما ذكرناه من كرامات سيدنا ومولانا الإمام المهدي عليه السلام

(١) روضة الكافي: ٢٠١ ح ٣٢٩.

أقل من القليل إذ لو أردنا أن نستقصي جميع كراماته وبركات وجوده المشرق لاحتجنا إلى مزيد من الكتب والموسوعات الضخمة..

إزالة الظلم والجور ونشر العدل

من أهم إنجازات الإمام المهدي عليه السلام هو مكافحة الظلم والجور ونشر القسط والعدل وهذا ما نصت عليه النصوص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام ومفادها أن الهدف الأساسي الذي تسعى الحركة المهدوية إلى تحقيقه هو العدل والقسط، وهذا مستخلص من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أهل بيتي... يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً..)[1]، أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لو لم يبقَ من الدهر إلا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً)[2]. وعشرات النصوص الأخرى التي أشارت لذلك والواردة من كتب الفريقين والتي أشرنا إلى بعضها في باب حتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

ولذا نرى أن القائم حال قيامه ينتصف للمظلومين من الظالمين وينتقم من ذراري قتلة الإمام الحسين الراضين بفعل آبائهم والسائرين على نهجهم كالذين ناصروا السفياني ودافعوا عنه وارتكبوا في سبيل نصرته أفظع الجرائم وأشنع المنكرات.

---

(١) كنز العمال الجزء الرابع عشر، ح ٣٨٦٧٦، أخرجه أبو داود كتاب المهدي ج ٤٢٨٢ وح ٤٢٨٣، الإمام المهدي عند أهل البيت ١: ٤٤٨.

(٢) نفس المصدر السابق.

فقضاء الإمام على هذه الحركة السفيانية الأموية يعد أبرز معلم من معالم عدله حيث تمكن من الانتصاف لأعظم مظلومية عرفها التاريخ وهي مظلومية الإمام الحسين وأهله وأبنائه وإخوته وأصحابه الميامين.

ومن أبرز معالم عدله قضاؤه على جميع محاور الشر والعدوان في العالم وإزالة آثارها السلبية، وإجراء قوانين العدل والقسط الإلهية، وإعادة الحقوق إلى أهلها، ورد المظالم، وتوزيع الثروات والأموال بالتساوي على كل أرجاء العالم بدون تميز...

ومن معالم عدله أيضاً القضاء على جميع الأديان والمذاهب الباطلة المشركة التي تقود الناس إلى جهنم وبئس المصير.

ومعلوم لدى الجميع أن من أعظم الظلم هو الشرك بالله وجحد ولاية أوليائه وتحريف دينه وتسويف أحكامه واتخاذ الدين ستاراً للدفاع عن الطواغيت المتلبسين بلباس الدين ولتحقيق المصالح والأغراض الشخصية على حساب المظلومين الذين انتهبت أموالهم واغتصبت حقوقهم. والقضاء على هذا النمط من الناس المصلحيين المتسترين بلباس الدين يعد أعظم مكسب حققه الإمام المهدي عليه السلام على صعيد القسط والعدل، لأن هؤلاء هم الذين مهدوا لجرائم الطواغيت والمستبدين وأضفوا عليها الصفة الشرعية من خلال فتاواهم وأحكامهم المستمدة من أهوائهم ومصالحهم الشخصية.

وكنتيجة منطقية لحكم العدل الذي يمارسه الإمام المهدي عليه السلام تدفق الخيرات من الأرض والسماء وائتلاف الحيوانات الوحشية مع بعضها

ومع الإنسان، ونشر الأمن والاستقرار، وانتفاء الفقر والبؤس، وارتفاع المستوى المعاشي وازدهار الاقتصاد واستغناء الناس وتكدّس الأموال. .

وهذه بعض النصوص التي تعرضت لذكر أهم معالم عدله وما ترتب عليها من ثمار.

ـ في كتاب إلزام الناصب عن الإرشاد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله في بدء الإسلام إلى أمر جديد. وعنه عليه السلام: إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها وردّ كل حق إلى أهله ولم يبقَ أهل دين حتى يظهروا الإسلام، ويعترفوا بالإيمان أما سمعت الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا . .﴾[1]؟

وحكم بين الناس بحكم داود عليه السلام وحكم محمد صلى الله عليه وآله فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها ولا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته ولا لبره لشمول الغنى جميع المؤمنين. .[2].

ـ وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: تنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا بمثلها قط، ترسل السماء عليهم مدراراً، ولا تزرع الأرض شيئاً من النبات إلا أخرجته، والمال كدوس. .[3].

---

(١) إلزام الناصب ٢: ٢٨٢.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) الفتن: ٢٥٣، أخرجه ابن ماجه في مسنده رقم (٤٠٨٣)، والحاكم ٤: ٥٥٨، وأبو عمرو ٥: ٥٥٠.

- وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: تأوي إليه أمته كما تأوي النحلة يعسوبها، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول...[1].

- وفي ينابيع المودة، عن كتاب المحجة في قوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ عن سلام بن المستنير، عن الباقر (رضي الله عنه) قال: يحييها الله بالقائم عليه السلام فتحيا الأرض بالعدل بعد موتها بالظلم[2].

- عن الحسن بن علي بن أبي طالب، عن أبيه (صلوات الله عليهما) قال: يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكلب من الدهر، وجهل من الناس، يؤيده الله بملائكته ويعصم أنصاره، وينصره بآياته ويظهره على الأرض حتى يدينوا طوعاً أو كرهاً، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها، لا يبقى كافر إلا آمن ولا طالح إلا صلح، وتصطلح في ملكه السباع، وتخرج الأرض نبتها، وتنزل السماء بركاتها، وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه[3].

- قال فضل بن شاذان: حدثنا فضالة بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن سنان، قال: سألت أبي عن أبي عبد الله عليه السلام عن السلطان العادل؟

---

(١) الفتن: ٢٥٢، أورده السيوطي في الحاوي ٢: ٧٧، منتخب الأثر: ٤٧٨ عن الملاحم والفتن.
(٢) ينابيع المودة: ٤٢٩.
(٣) البحار ٥٢: ٢٨٠ عن الاحتجاج.

قال عليه السلام: هو من افترض الله طاعته بعد الأنبياء والمرسلين على الجن والإنس أجمعين، وهو سلطان بعد سلطان إلى أن ينتهي إلى السلطان الثاني عشر. فقال رجل من أصحابه: صف لنا من هم يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ والذين خاتمهم الذي ينزل في زمن دولته عيسى عليه السلام من السماء ويصلي خلفه، وهو الذي يقتل الدجال، ويفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها ويمتد سلطانه إلى يوم القيامة[١].

ـ ونختم هذا الموضوع بقول صاحب كتاب (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون) وهو عالم من علماء أهل السنة: ظهور الخليفة الأكبر، والإمام العادل الأشهر الذي يحيي (به الله)[٢] ما درس من آثار السنة النبوية، واندثر، ويميت به ما شاع من ضلالات أهل البدع وذاع وانتشر، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت بظلم من جار وفجر، ويحثو الماء حثياً ولا يعده عداً لكل من صلح وبر أمام العترة الظاهرة. . . إلخ[٣].

الازدهار الاقتصادي في عهد الإمام المهدي(ع)

عندما نتعرض لذكر موضوع ازدهار الاقتصاد في عهد سيدنا ومولانا الإمام المهدي عليه السلام، لا يتصور الإنسان القارئ أننا نبحث

(١) منتخب الأثر: ٢٩٦.
(٢) ما بين القوسين فيه تقديم وتأخير.
(٣) إبراز الوهم المكنون: ٤٣٣، الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ٢: ٢٢٩.

موضوعاً اقتصادياً مشفوعاً بالأرقام والإحصاءات العلمية الدقيقة الدالة على نمو الإنتاج الصناعي والزراعي، ووصوله إلى حد الاكتفاء الذاتي، أو الدالة على نشاط الحركة التجارية وتفوق ميزان الصادرات على الواردات ورفع حالة العجز من ميزانية الدولة، والقضاء على جميع الآفات الاقتصادية كالتضخم والركود وكساد الأسواق التجارية وغيرها.

لا ليس الأمر كذلك وإنما نحن نبحث الازدهار الاقتصادي من خلال القرائن اللفظية والحالية المذكورة في النصوص بعيداً عن لغة الأرقام والإحصاءات المدرجة عادة في البحوث الاقتصادية.

وفيما يلي نذكر بعض النصوص التي أشارت إلى ازدهار الاقتصاد وانعدام الفقر في عهد الإمام المهدي عليه السلام.

- عن علي بن عقبة، عن أبيه قال: وحكم بين الناس بحكم داود وحكم محمد صلى الله عليه وآله فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها وتبدي بركاتها ولا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته ولا لبره لشمول الغنى جميع المؤمنين... الحديث[١].

- وفي رواية جابر، عن الباقر عليه السلام وتجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام وسفكتم فيه الدماء الحرام وركبتم فيه ما حرم الله عزّ وجلّ، فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله...[٢].

(١) الإرشاد: ٣٦٥.
(٢) غيبة النعماني ب ٣ ح ٢٦.

ـ وفي عقد الدرر: يزرع الإنسان مداً يخرج له سبع مائة مد كما قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ...﴾[١].

ـ وروى الفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ـ إلى أن قال ـ وتظهر الأرض من كنوزها حتى تراها الناس على وجهها، ويطلب الرجل منكم من يصله بماله ويأخذ منه زكاته فلا يجد أحداً يقبل منه ذلك واستغنى الناس بما رزقهم الله من فضله[٢].

ـ وعن الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: تواصلوا وتباروا فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليأتين عليكم وقت لا يجد أحدكم لديناره ولا لدرهمه موضعاً (يعني لا يجد عند ظهور المهدي موضعاً يصرفه فيه لاستغناء الناس جميعاً بفضل الله تعالى وفضل وليه المهدي عليه السلام)[٣].

ـ وعن السيد ابن طاووس (قدس سره) عن كتاب سعد السعود نقلاً عن صحف إدريس النبي عليه السلام قال: ... وأنزل بركات من السماء والأرض، وتزهر الأرض بحسن نباتها وتخرج كل ثمارها وأنواع طيبها..[٤].

ـ وفي كتاب المهدي عند أهل السنة نقلاً عن كتاب الفصول المهمة خبر رواه جابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري قالا: قال

---

(١) عقد الدرر: ١٥٩ ب ٧، سورة البقرة الآية ٢٦١.
(٢) الإرشاد وفصل مدة حكم القائم.
(٣) عقد الدرر: ١٧١ باب ٨.
(٤) البحار ٥٢: ٣٨٤ ح ١٩٤.

رسول الله صلى الله عليه وآله: أبشركم بالمهدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً، قال رجل: ما معنى صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس ويملأ الله قلوب أمة محمد صلى الله عليه وآله غنى ويسمعهم عدله حتى يأمر منادياً ينادي بقوله: من له في المال حاجة فليقم، فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول: أنا.

فيقول له الإمام عليه السلام: ائت السادن ـ يعني الخازن ـ فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيحثو له في ثوبه حثواً حتى إذا صار في ثوبه يندم ويقول: كنت أجشع أمة محمد نفساً وأعجز عما وسعهم فيرده إلى الخازن فلا يقبل منه..[1].

ـ وفي كتاب الحاوي للفتاوي عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: تنعم أمتي فيها ـ يعني في مدة حكمه ـ نعمة لم ينعموا مثلها، البر منهم والفاجر، يرسل الله عليهم السماء مدراراً، ولا تدخر الأرض شيئاً من النبات، ويكون المال كدوساً...[2].

ـ وفي الفتن عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: يرضى عنه ساكن السماء، وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبته، ولا الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته، حتى يتمنى الأحياء الأموات[3].

---

(١) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ٣٤٢، وأخرجه أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري، وذكره السيوطي في الحاوي ٢: ١٢٤.

(٢) الحاوي للفتاوي ٢: ١٣١، المهدي عند أهل السنة ١: ٣٦٢.

(٣) الفتن: ٢٥١، أخرجه أبو داود (٤٢٨٦) ـ بتحقيقي ـ.

ونستخلص من القرائن الموجودة في النصوص المذكورة أن الخير والغنى سيعم المجتمع الإسلامي، وتنعدم فيه ظاهرة الفقر والحرمان، وتتكدس الأموال في بيت مال المسلمين لعدم وجود من يحتاج إليها من المسلمين.

ولذا سيكون عطاء الإمام المهدي عليه السلام في عهد حكمه لموظفي دوائره الحكومية وعمال مؤسساته الخدمية عطاءً جزيلاً غير محدود، لأنه سيكون حثواً لا عداً كما أشارت لذلك النصوص السابقة الذكر.

إن منشأ هذا الازدهار الاقتصادي الذي سيحصل في عهد الإمام المهدي عليه السلام يعود إلى أسباب وعوامل كثيرة:

منها: انخفاض سكان العالم إلى الثلث بعد ذهاب ثلثيه، وازدياد ثرواته حيث ستظهر الأرض ما في بطنها من الكنوز غير المستثمرة بالإضافة إلى الكنوز والأموال الكثيرة التي سيغنمها الإمام ويضع اليد عليها من خلال فتوحاته التي ستشمل العالم أجمع.

وإذا ما استثمرت هذه الأموال في مشاريع اقتصادية ستنمو وتتكاثر بمرور الأيام أكثر فأكثر، وهذا ما يؤدي حتماً إلى ازدهار الاقتصاد وتعميم الخير والرفاه.

ومنها: هطول الأمطار بغزارة، وازدهار الأرض بالنباتات والأشجار المثمرة، وتنامي كمية المحاصيل الزراعية إلى درجة بحيث تسد حاجة المجتمع وزيادة.

ومنها: اتباع النظام الاقتصادي العادل في توزيع الثروات على

سائر أقطار الدولة المهدوية العالمية بالتساوي وبدون تمييز بحيث تنعدم الفروق الطبقية، ويزول التفاوت الملحوظ في عصرنا الحاضر بين الغنى المفرط والفقر المدقع، وتنعم الأمة الإسلامية في عهده بنعمة لم تنعم بها من قبل.

وبزوال التفاوت والفروق الطبقية يزول الحقد والبغضاء والحسد من صدور الناس ويحل محله الحب والوفاء والألفة والتآخي مما يؤدي إلى تقوية أواصر المجتمع وتوثيق علائقه وروابطه الاجتماعية..

وربما يثير البعض إشكالاً مفاده أن الناس إذا ما انتفت حاجتهم إلى المال سيميلون إلى الراحة والدعة، ويمتنعون عن مواصلة العمل لانتفاء الحاجة له. وهذا ما يوجب شل الطاقات وتجميدها، وتعويق عجلة التطور والتقدم الاقتصادي.

ولأجل رفع هذا الإشكال الذي أثاره البعض، نقول: إن الأموال لوحدها لا تسد حاجات الناس ما لم تكن هناك مواد غذائية يسدون بها جوعتهم وملابس صوفية أو قطنية لستر عوراتهم وتقيهم الحر والبرد، ومساكن يسكنون بها مع أفراد أسرهم ويأوون إليها ليلاً لغرض النوم والراحة، ووسائل نقل، وأسواق تجارية، ومؤسسات خدمية، ومعامل صناعية تنتج السلع الضرورية لإدامة حياتهم على أحسن ما يرام.

ولا يمكن أن تتوفر هذه الحاجات والسلع الضرورية لإدامة الحياة ما لم يعمل الناس كل حسب اختصاصه في توفير جزء منها.

فإذا أراد الإنسان أن يديم حياته فلا بد له من الاشتغال في حقل

من حقول العمل، والتعاون مع أفراد جنسه لإيجاد ما يلزمه من الحاجات والسلع الضرورية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن الأخبار المتعلقة بهذا الموضوع لم تشر من قريب أو بعيد إلى حصول توقف في حركة العمل والعمران، بل أشارت بشكل صريح إلى اتساع نطاق دائرة العمل والعمران حيث باشر الإمام المهدي عليه السلام بإنجاز مشاريعه الإصلاحية الضخمة كبناء المساجد الواسعة وإصلاح الطرق، وشق الأنهر الكبيرة، وإصلاح الأراضي الزراعية المتروكة، وتعمير كل ما خربته الحروب التي سبقت ظهوره وأعقبته وإزالة كل مخلفاتها وآثارها السلبية التي تعيق حركة التطور والازدهار الاقتصادي.

علمنا مما تقدم أن العمل والاشتغال واحد من مقومات حياة الناس وازدهار اقتصادهم، وبدونه لا يمكن أن نتصور وجوداً إنسانياً حضارياً متطوراً، لأن العمل هو الذي يشيد المعالم الحضارية ويثبت أركانها..

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل إن العمل الذي يعمله الناس في زمن المهدي عليه السلام لقاء أجور أم مجاناً؟

وفي الإجابة على هذا السؤال نقول: إن الأمر لا يخرج عن احتمالين لا ثالث لهما إما أنهم يعملون مجاناً أو يتقاضون الأجور لقاء أعمالهم.

أما الاحتمال الأول فيمكن نقضه بالنقاط التالية:

أولاً: لو كان الناس في زمن الإمام المهدي يعملون مجاناً لما تقدم الاقتصاد وبلغ أعلى درجات عزه وازدهاره، لأن الأجور من العوامل التي تحفز الإنسان وتدفعه نحو العمل والبناء، وتحدد وقتاً معيناً لابتداء العمل وانتهائه يلتزم العامل بالتقيد به، فإذا كان العمل مجاناً فقد أهم محفزاته، وأصبح العامل مخيراً لا يتقيد بأوقات العمل وليس من حق رب العمل أو مسؤول المؤسسة والدائرة أن يلزمه بوقت معين لأنه لا يتقاضى أجوراً لقاء عمله فهو غير ملزم بالعمل شرعاً وعرفاً.

ولذا تقل ساعات العمل وينخفض مستوى الإنتاج، وتتوقف حركة التطور في كل مجالات الحياة، بل سترجع عجلة الاقتصاد إلى الوراء لتوقف معظم المعامل والمؤسسات عن العمل الدائم المستمر وهذا سيؤدي حتماً إلى تأخر البلد وتدهور اقتصاده.

ثانياً: إذا كان نظام العمل المجاني هو السائد في دولة الإمام المهدي عليه السلام لما تنامت أموال وما وجه فيها شيء من الزكوات والأخماس حتى يبحث الناس عمن يتقبل منهم زكواتهم وصدقاتهم، بل لعل أموالهم تتناقص بمرور الزمن تدريجياً ويصبحون في يوم ما هم مستحق الزكاة والصدقات، وهذا ينافي صراحة مفاد النصوص القائلة بانعدام الفقر وعدم وجود محتاج في عهده عليه السلام.

ثالثاً: يستحيل أن يعمل الإمام المهدي عليه السلام بنظام كهذا، لأنه منافٍ لموازين الشرع والعرف والعقل، فحاشا الإمام المعصوم الذي جاء لإعلاء كلمة الله وإظهار دينه على الأديان كلها أن يعمل بنظام يخالف أحكام شرعه.

وبهذه الأدلة الثلاثة تم إبطال الاحتمال الأول بل ثبت استحالة تنفيذه من قبل الإمام. وإذا بطل الاحتمال الأول ثبت الاحتمال الثاني القاضي بدفع الأجور لقاء أي عمل ينجزه العامل. وهذا ما ينسجم مع منطق الشرع والعقل، ويجسد مفاد النصوص المذكورة ويدفع بعجلة التطور الاقتصادي إلى الأمام.

اتساع حركة البناء والعمران في عهد الإمام المهدي(ع)

أشارت النصوص المعتبرة أنه عليه السلام في زمان دولته الحقة تكثر جمعية الناس في الكوفة حتى أن كل ذراع من أرضها تصل قيمته إلى أضعاف ما كانت عليه قبل ظهوره، ويضيق مكان المؤمنين في مسجد الكوفة، فتبنى أربعة مساجد أخرى بأمره عليه السلام فيكون أصغر هذه المساجد مساحة هو مسجد الكوفة الذي هو معمور الآن، مع أنه هو من المساجد الإسلامية الواسعة.

ومن هذه النصوص عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قائمنا عليه السلام إذا قام... ويبني في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب، وتتصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء وبالحيرة حتى يخرج الرجل يوم الجمعة على بغلة (سفواء)[1] يريد الجمعة فلا يدركها[2].

وفي حديث آخر طويل عن عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن أبي

(١) البغلة السفواء: يعني الخفيفة السريعة.
(٢) غيبة الطوسي: ٢٨٠.

جعفر عليه السلام أنه قال: ... فيخرج إلى الغري فيخط مسجداً له ألف باب يسع الناس. عليه (أصيص)[1] ويبعث فيحفر من خلف قبر الحسين عليه السلام لهم نهراً يجري إلى الغريين حتى ينبذ في النجف، ويعمل على فوهته قناطر وأرحاء[2] في السبيل، وكأني بالعجوز وعلى رأسها مكتل فيه برّ حتى تطحنه بكربلاء[3].

ومن هذه النصوص التي أشارت إلى إصلاحات الإمام تغير معالم المساجد وإزالة الزخارف منها وجعلها كما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإصلاح الطرق وتوسيعها وهدم المساجد التي تعترض سبيلها.

- عن أبي هاشم الجعفري قال: كمن عند أبي محمد عليه السلام فقال: إذا قام القائم عليه السلام أمر بهدم المنار والمقاصير التي في المساجد، فقلت في نفسي: لأي معنى هذا؟

فأقبل عليّ فقال: معنى هذا أنها محدثة مبتدعة لم يبنها نبي ولا حجة[4].

- وعن أبي بصير، عنه عليه السلام أنه قال: إذا قام القائم عليه السلام دخل الكوفة وأمر بهدم المساجد الأربعة حتى يبلغ أساسها ويصيرها عريشاً كعريش موسى عليه السلام وتكون المساجد كلها جماء لا شرف لهاكما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ويوسع الطريق الأعظم فيصير ستين

---

(١) الأصيص: كأمير البناء الحكم، والأصيص البيوت المتقاربة. (قاله في القاموس).
(٢) الأرحاء: يعني الطاحونة رحى وجمعها أرحاء.
(٣) غيبة الطوسي: ٢٨٠ - ٢٨١.
(٤) البحار ٥٢: ٣٢٣ ح ٣٢.

ذراعاً، ويهدم كل مسجد على الطريق، ويسد كل كوة إلى الطريق وكل جناح وكنيف وميزاب إلى الطريق...[١].

ـ وعن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث طويل ـ قال: إذا قام القائم سار إلى الكوفة فوسع مساجدها، وكسر كل جناح خارج إلى الطريق، وأبطل الكنيف والميازيب الخارجة إلى الطرقات[٢].

ـ وفيه أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: المهدي منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلا عمره...[٣].

إن حركة الإعمار والبناء والإصلاح المهدوي ستشمل العالم أجمع بحيث لم يبق خراب أحدثته الحروب التي سبقت ظهوره إلا وأصلحه الإمام المهدي كما أشارت لذلك الرواية الأخيرة. وما هذه النصوص التي ذكرناها إلا إشارات مقتضبة لما سيشمل العالم من إصلاح مهدوي شامل لا حدود له..

التقدم والتطور العلمي في عهد الإمام المهدي(ع)

نذكر هنا بعض المؤشرات التي تعلمنا بما ينجزه الإمام من التقدم والتطور العلمي بفضل بركات وجوده المقدس حيث سيرفع من

---

(١) غيبة الطوسي: ٢٨٣.
(٢) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ٢٤٧ عن الفصول المهمة.
(٣) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ٢٤٧ عن الفصول المهمة.

مستواهم العلمي إلى درجة تؤهلهم للمراكز القيادية التي سيستلمون مسؤوليتها في دولة الإمام المهدي عليه السلام.

فجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد توضيحاً لذلك في شرح إحدى خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ثم صرّح بذلك فقال ـ يعني الإمام علياً عليه السلام ـ: ويرمي بالتفسير في مسامعهم ـ أي في مسامع أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ـ أي يكشف لهم الغطاء، وتخلق المعارف في قلوبهم، ويلهمون فهم الغوامض والأسرار الباطنية، ويغبقون كأس الحكم بعد الصبوح، أي لا تزال المعارف الربانية والأسرار الإلهية، تفيض عليهم صباحاً ومساءً، فالغبّوق كناية عمّا يحصل لهم منه في الغدوات، وهؤلاء هم العارفون الذين جمعوا بين الزهد والحكمة والشجاعة وحقيق بمثلهم أن يكونوا أنصاراً لولي الله الذي يجتبيه..[1].

ومن مؤشرات ارتفاع المستوى العلمي في عهده هذه النصوص.

ـ روى جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله ضرب فساطيط ويعلم الناس القرآن على ما أنزل الله عزّ وجلّ، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم لأنه يخالف فيه التأليف[2].

ـ وعن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العلم سبعة وعشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ١٢٩، الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ١٦٤.

(٢) الإمام المهدي وظهوره: ٢٨٦ عن الإرشاد فصل سيرته(ع).

غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً(١).

ـ وفي حديث حمران، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: وتؤتون الحكمة في زمانه حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله(٢).

وأشارت بعض النصوص إلى ارتفاع مستوى العلم بفضل وجوده الشريف بحيث يمتطي هو السحاب وتطوى له الأرض وتسهل له الصعاب، ويمشي أصحابه على الماء، وتتحول أكفهم إلى أجهزة كمبيوتر تعكس لهم ما يحتاجون من الأحكام فيما إذا تعسر عليهم الحكم في قضية ما.

ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمّا إن ذا القرنين قد خيّر السحابين فاختار الذلول وذخر لصاحبكم ـ يعني القائم ـ الصعب، قال: قلت: وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق فصاحبكم يركبه، أما إنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السموات السبع والأرضين السبع..(٣).

ـ ففي غيبة النعماني عن الصادق عليه السلام قال... ويبعث جنداً إلى القسطنطينية فإذا بلغوا إلى الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً ومشوا على الماء... الحديث(٤).

(١) البحار ٥٢: ٣٣٦ عن الخرائج.
(٢) البحار ٥٢: ٣٥٢ ح ١٠٦.
(٣) البحار ٥٢: ٣٢١.
(٤) إلزام الناصب ٢: ٢٨٥، البحار ٥٢: ٣٦٥ عن النعماني.

- وعن محمد بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً يقول: عهدك في يدك، فإذا ورد عليك ما لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيها[١].

ومن النصوص التي أشارت إلى تقدم وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بحيث لو ظهر الإمام المهدي على شاشة التلفزيون في مدينة الكوفة يراه المسلمون أينما كانوا في أقاصي الأرض ويسمعون كلامه في أماكنهم. وتكون الدنيا بالنسبة للإمام ككفه يرى كل مفرداتها من جبل ووادٍ وبحر ومرتفع ومنخفض وسائر جزئياتها وهو جالس في مكانه.

- عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كأني بالقائم عليه السلام على نجف الكوفة وقد لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله فينتفض هو بها فتستدير عليه فيغشيها بحداجة من إستبرق ويركب فرساً أدهم بين عينيه شمراخ فينتفض به انتفاضة لا يبقى أهل بلد إلا وهم يرون أنه معهم في بلادهم، فتنتشر راية رسول اله صلى الله عليه وآله عمودها من عمود العرش وسائرها من نصر الله، الحديث[٢].

- عن أبي الربيع الشامي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قائمنا إذا قام مدّ الله عزّ وجلّ لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى (لا) يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه[٣].

---

(١) البحار ٥٢: ٣٦٥.
(٢) كامل الزيارات: ١٢٠ ب ٤١، المهدي وظهوره: ٢٨٨.
(٣) روضة الكافي: ٢٠١ ح ٣٢٩.

ـ وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنه إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى له كل منخفض من الأرض وخفض له كل مرتفع حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها؟[١].

ـ وفي البحار عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: القائم منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز..[٢].

ـ وفي خبر عبد العظيم الحسني، عن محمد بن علي بن موسى عليه السلام وهو الذي تطوى له الأرض ويذلّ له كل صعب، الحديث[٣].

ـ وبهذا الإسناد، عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كأني أنظر إلى القائم عليه السلام على ظهر النجف، فإذا استوى على ظهر النجف ركب فرساً أدهم أبلق بين عينيه شمراخ[٤] ثمّ ينتفض به فرسه فلا يبقى أهل بلد إلا وهم يظنون أنه معهم في بلادهم...[٥].

يبدو ظاهراً من النصوص التي أشارت إلى التقدم والتطور العلمي إلى أن ذلك يحصل على نحو الإعجاز. وهذا أمر غير معقول، لأنه

---

(١) البحار ٥٢: ٣٢٨ ح ٤٦ عن كمال الدين.
(٢) البحار ٥٢: ١٩١ ح عن كمال الدين.
(٣) البحار ٥٢: ٢٨٣ ح ١٠.
(٤) الشمراخ: غرة الفرس.
(٥) كمال الدين ٢: ٦٧٢.

يخالف القوانين والسنن الطبيعية التي جعلها الله أساساً وسبباً لكل ما يطرأ على الكون من أحداث وتغييرات.

يمكن تغير طبيعة الأشياء وإبطال أو تعطيل بعض السنن الطبيعية لفترة وجيزة بإذن الله إذا اقتضت المصلحة ذلك، أما إدامة ذلك الحال بصورة مستمرة أمر غير معقول لأنه يؤدي إلى اختلال نظم الكون واضطراب أوضاعه وهذا ما ينافي حكمة الله وتقديره.

لذا فإن الإمام المهدي عليه السلام باستطاعته وبحكم ولايته التكوينية أن يظهر مرة واحدة أو مرات ولفترة قصيرة ويراه الناس ويسمعون كلامه من خلال رفع الحجب والموانع بإذن الله. أما إدامة ذلك الحال ولفترة طويلة بحيث يكون بمقدور الناس أن يروه طالما هو موجود على قيد الحياة أمر مستبعد جداً لا يمكن حصوله ما لم تكن هناك وسائل علمية متطورة كالتلفزة والأقمار الصناعية ووسائل الإعلام الحديثة.

الإصلاح الديني والوحدة الإسلامية

إن من إنجازات الإمام المهدي عليه السلام وإصلاحاته هو الإصلاح الديني الذي سيتم من خلال إحياء السنن وإماتة البدع، ورفع المذاهب الباطلة والأديان المشركة والقضاء على الكفر وإظهار الدين الإسلامي على الأديان كلها بحيث لن يبقي الإمام على سطح الأرض غير الموحدين المؤمنين بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وبإمامته وولايته وقيادته الدينية والدنيوية إيماناً قطعياً لا ريب فيه.

وإذا ما أتم الإمام إصلاحاته الدينية على أحسن وجه تم تحقيق الوحدة الإسلامية تبعاً لذلك لعدم وجود موانع تحول دون تحقيقها. وتكون الوحدة حينذاك وحدة قوية متينة لا انفصام لها، لأنها قائمة على أسس فكرية عقائدية سليمة خالية من الشوائب والشبهات.

وللتدليل على ذلك وإثباته لا بد لنا من ذكر بعض النصوص التي تؤكد حصول ما ذهبنا إليه على وجه القطع واليقين.

ـ ففي كتاب الحاوي للفتاوي للسيوطي قال: وأخرج ابن المنادى في الملاحم قال ﷺ: ليخرجن رجل من ولدي عند اقتراب الساعة حتى تموت قلوب المؤمنين كما تموت الأبدان لما لحقهم من الضرر والشدة والجوع والقتل وتواتر الفتن والملاحم العظام وإماتة السنن وإحياء البدع، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيحيي الله بالمهدي محمد بن عبد الله السنن التي أميتت، وتسر بعدله وبركته قلوب المؤمنين..[1].

وعنه أيضاً: فيصلح الله به كل ما أفسد قبله، ويستنقذ الله به أهل الإيمان، ويحيي به السنّة، ويطفئ به نيران البدعة[2].

ـ وفي الفتوحات المكية قال: يخرج على فترة من الدين ـ إلى أن قال ـ: يقيم الدين ينفخ الروح في الإسلام، يعز الإسلام به بعد ذله، ويحيا بعد موته، يضع الجزية ويدعو إلى الله بالسيف، فمن أبى قتل، ومن نازعه خذل يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه لو كان رسول الله ﷺ لحكم به، يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقي

---

(١) الحاوي للفتاوي ٢: ١٦٣، الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ٣٩٥.
(٢) المصدر السابق.

إلا الدين الخالص، أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد ولما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم، فيدخلون كرهاً تحت حكمه خوفاً من سيفه وسطوته...[١].

- وفي حديث عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام: ولا يترك بدعة إلا أزالها، ولا سنة إلا أقامها، الحديث[٢] ومثله في عقد الدرر.

- وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام فإذا خرج القائم لم يبقَ كافر بالله العظيم، ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه، حتى لو كان كافراً أو مشركاً في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله[٣].

- وعن عبد العظيم الحسني قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فقال: يا أبا القاسم ما منا إلا قائم بأمر الله عزّ وجلّ وهادٍ إلى دينه، ولكن القائم الذي يطهر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملؤها عدلاً وقسطاً هو الذي يخفي على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه...[٤].

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ١٠٦ عن الفتوحات المكية المجلد الثالث طبع دار الصادر بيروت.

(٢) البحار ٥٢: ٣٣٩ ح ٨٤ عن الإرشاد، عقد الدرر: ٢٣٩ ب ١١.

(٣) البحار ٥٢: ٣٢٤ عن كمال الدين.

(٤) البحار ٥٢: ٢٨٣ ح ١٠ عن كمال الدين.

ـ وعن حذيفة بن اليمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يميز الله أولياءه وأصفياءه حتى يطهر الأرض من المنافقين والضالين وأبناء الضالين، وحتى تلتقي بالرجل يومئذٍ خمسون امرأة هذه تقول: يا عبد الله اشترني وهذه تقول: يا عبد الله آوني[1].

ـ وفي كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة: قال أهل العلم: يعمل بسنة النبي ﷺ ولا يوقظ نائماً ويقاتل على السنة لا يترك سنة إلا أقامها ولا بدعة إلا رفعها، يقوم الدين آخر الزمان كما قام به النبي ﷺ أوله يملك الدنيا كلها كما ملك ذو القرنين وسليمان بن داود عليه السلام. يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويرد إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم ـ إلى أن قال ـ: ويرفع الربا والزنا وشرب الخمر وتطول الأعمار وتؤدى الأمانة وتهلك الأشرار، ولا يبقى من يبغض آل محمد ﷺ محبوب ـ يعني المهدي في الخلائق ـ يطفئ الله به الفتنة العمياء...[2].

ـ وفي إلزام الناصب عن أبي جعفر عليه السلام: إذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعا رسول الله ﷺ في بدء الإسلام إلى أمر جديد وعنه عليه السلام: إذا قام القائم حكم بالعدل، وارتفع في أيامه الجور، وأمنت به السبل وأخرجت الأرض بركاتها، وردّ كلّ حق إلى أهله ولم يبقَ أهل دين حتى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان، أما سمعت الله سبحانه يقول: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾...؟[3]

---

(١) البحار ٥٢: ٢٢٥ عن مجالس المفيد.
(٢) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ٢: ١٣.
(٣) إلزام الناصب ٢: ٢٨١ ـ ٢٨٢.

- وفي صحف النبي إدريس: وألقي الرأفة والرحمة بينهم، فيتواسون ويقتسمون بالسوية فيستغني الفقير ولا يعلو بعضهم بعضاً ويرحم الكبير الصغير، ويوقر الصغير الكبير، ويدينون بالحق وبه يعدلون ويحكمون[١].

الصحة والأمان

ومن إنجازات دولة الإمام المهدي عليه السلام وعطاءاتها إطالة أعمار الناس وشفاؤهم من الأمراض والعاهات السائدة في عصرنا الحاضر، وازدياد قوة الرجل إلى أربعين ضعفاً بسبب انتشار الأمن والاستقرار في جميع أرجاء دولته المباركة وانتفاء حالة الصراع الدائم بين محاور قوى الشر والعدوان وما كانت تفرزه من الحروب المدمرة التي لا تخلف سوى البؤس والشقاء والحرمان.

ومن أروع المشاهد التي يراها الإنسان في عهد الإمام عليه السلام هي حالة التآلف والانسجام التام بين الناس والحيوانات المفترسة، ولعب الصبيان بالحيات والعقارب من دون أن تضرهم بشيء، وذهاب المرأة مع أقرانها إلى بيت الله الحرام ليس معهن من محارمهن رجل.

فالصحة والأمان اللذان يشملان الناس في عهده المبارك لم يسبق لهما نظير في تاريخ البشرية حيث لم ترَ طيلة حياتها أمناً واستقراراً سياسياً ومعافاة من الأمراض المزمنة كما تراه في عصر دولته المباركة.

(١) البحار ٥٢: ٣٨٤ ح ١٩٤.

ولا غرابة في حصول ذلك، لأن الأمن والاستقرار، وضمان حاضر الإنسان ومستقبله وانعدام الفقر والحرمان، وخلو العالم من موجبات القلق والاضطراب توجب الراحة النفسية وسلامة الأجسام من الأمراض، وازدياد قوتها، هذا إذا لم نقل: إن تلك النعم التي يمنها الله على عباده ببركة وجود الإمام الشريف ومعطيات ذاته المقدسة واستجابة دعواته.

ومن النصوص التي أشارت لذلك:

ـ في كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة قال: قال أهل العلم ـ إلى أن قال ـ: ترعى الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد وتلعب الصبيان بالحيات والعقارب لا تضرهم شيئاً... وتطول الأعمار وتؤدى الأمانة وتهلك الأشرار ولا يبقى من يبغض آل محمد ﷺ محبوب ـ يعني المهدي ـ في الخلائق يطفي الله به تلك الفتنة العمياء وتأمن الأرض حتى أن المرأة تحج في خمس نسوة ما معهن رجل لا يخفن شيئاً إلا الله...[1].

ـ وفي كتاب الإمام المهدي عليه السلام وظهوره قال: إن من بركات وجوده الشريف أنه ينتشر في الأرض الأمن والأمان حتى أنه يقع الصلح الكلي بين جميع ذوات الأرواح المتضادة من الإنسان والحيوان والوحوش حتى أنه يزول النفاق والعداوة من بين الجميع، وتعيش الوحوش والأفاعي والحيات والحيوانات مختلطين وممتزجين مع بني الإنسان ولا يتضرر واحد منها من الآخر ولا يضره[2].

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ١٣.

(٢) الإمام المهدي(ع) وظهوره: ٢٧٨.

- وفي الخصال في حديث الأربع مائة عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف زمان القائم: (ولذهبت الشحناء من قلوب العباد واصطلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلا على النبات، وعلى رأسها زبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه)[١].

- وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كأني بأصحاب القائم وقد أحاطوا ما بين الخافقين، ليس من شيء إلا هو مطيع لهم حتى سباع الأرض وسباع الطير تطلب رضاهم (في) كل شيء حتى تفخر الأرض على الأرض وتقول: مرّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم[٢]. ويستشف من هذا الحديث أن أصحاب الإمام لهم أيضاً ولاية يمنحها الله لهم بفضل وجود الإمام عليه السلام.

- وعن زوال الأمراض والآفات الظاهرية عن أبدان الناس كالعمى والبرص ونحوهما من العاهات جاء في غيبة النعماني بإسناده عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام، عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: إذا قام القائم أذهب الله عن كل مؤمن العاهة وردّ إليه قوته[٣].

- وعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من أدرك قائم أهل بيتي من ذي عاهة برأ ومن ذي ضعف قوي[٤].

---

(١) البحار ٥٢: ٣١٦ ح ١١ عن الخصال.
(٢) البحار ٥٢: ٣٢٧ ح ٤٣ عن الكمال.
(٣) غيبة النعماني باب ح ٢.
(٤) البحار ٥٢: ٢٨٧، عن غيبة الطوسي.

ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام ـ في حديث له ـ أنه قال: فينشر راية رسول الله من عمود العرش وسايرها من نصر الله لا يهوي بها على شيء أبداً إلا أهلكه الله، فإذا هزها لم يبقَ مؤمن إلا صار قلبه كزبر الحديد، ويعطى المؤمن قوّة أربعين رجلاً...[1].

رعاية الإمام لشيعته ودورهم في دولته

يبدو من النصوص أن رعاية الإمام المهدي عليه السلام تشمل الناس بصورة عامة وشيعته بصورة خاصة حيث يقضي ديونهم إن كانوا غارمين ويعتق رقابهم إن كانوا مستعبدين، ويبرئ ذمة الأحياء منهم والأموات من حقوق الناس، ثم يمر بيده الكريمة على رؤوسهم فتتكامل عقولهم وأحلامهم، وتتحسن أخلاقهم، وتنضج مداركهم، وتزداد علومهم، وتقوى أبصارهم وأسماعهم بحيث يرونه ويسمعون كلامه مهما بعد عنهم، ثم يكونون حكام وأمراء دولته المباركة.

ولعل البعض يتساءل عن سبب تراكم تلك الحقوق مع توفر المال وانتفاء الحاجة؟

وأفضل جواب لهذا السؤال هو: أن الديون التي تراكمت على شيعته كانت قبل زمن حضوره حيث كانوا مستضعفين ومسترقين، لأن في زمن حضوره تكدّست الأموال وانتفت الحاجة إليها، فلا يعقل أن يستغني الناس بفضل عطائه وتبقى الشيعة مقروضة مسترقة فيقوم الإمام بقضاء قروضهم وما في ذممهم من حقوق. نعم يصح ذلك بحق الأموات منهم حيث يقضي ديونهم ويسترضي الناس عنهم.

---

(١) إلزام الناصب ٢: ٢٩٧.

وهذه بعض النصوص التي أشارت لذلك:

- عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام يقول: فلا يترك عبداً مسلماً إلا اشتراه وأعتقه، ولا غارماً إلا قضى دينه ولا مظلمة لأحد من الناس إلا ردها ولا يقتل منهم عبدٌ إلا أدى ثمنه (يعني دية مسلمة إلى أهلها) ولا يقتل قتيل إلا قضى عنه دينه وألحق عياله في العطاء، حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً..[1].

- عن كعب قال: لواؤه يعقد المهدي يبعثه إلى الترك فيهزمهم ويأخذ ما معهم من السبي والأموال، ثم يصير إلى الشام فيفتحها، ثم يعتق كل مملوك معه، ويعطي أصحابه قيمتهم[2].

- وفي روضة الكافي، عن أبي الربيع الشامي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قائمنا مد الله عزّ وجلّ لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى (لا) يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه[3].

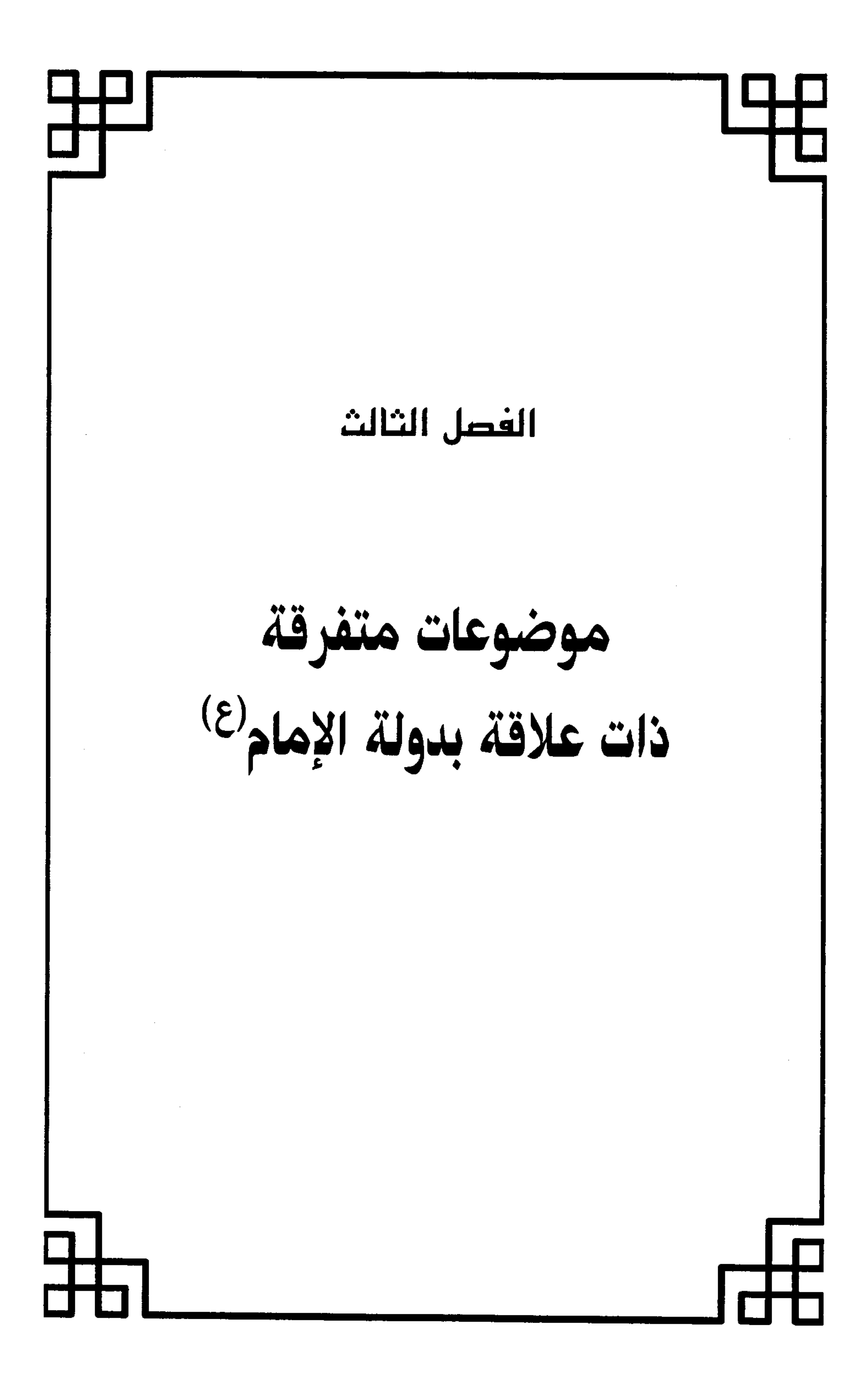
ففي الخبر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يكون من شيعتنا في دولة القائم سنام الأرض وحكامها، يعطى كل رجل منهم قوة أربعين رجلا[4].

- وعن عبد الملك بن أعين قال: قمت من عند أبي

(١) البحار ٥٢: ٢٢٤ ح ٨٧ عن تفسير العياشي.
(٢) الحاوي للفتاوي ٢: ١٥٤، الإمام المهدي عند أهل السنة ١: ٣٨٥.
(٣) روضة الكافي: ٢٠١.
(٤) الاختصاص: ٨.

جعفر عليه السلام فاعتمدت على يدي فبكيت، فقال: ما لك؟ فقلت: كنت أرجو أن أدرك هذا الأمر وبي قوة، فقال: أما ترضون أن عدوكم يقتل بعضهم بعضاً وأنتم آمنون في بيوتكم؟ إنه لو قد كان ذلك أعطى الرجل منكم قوة أربعين رجلاً وجعلت قلوبكم كزبر الحديد، لو قذف بها الجبال لقلعها، وكنتم قوام الأرض وخزانها(١).

(١) روضة الكافي: ٢٤٥.



الفصل الثالث

موضوعات متفرقة
ذات علاقة بدولة الإمام (ع)



المهدي(ع) خاتم الأئمة وليس بنبي

أشكل الشيخ الطبرسي في كتابه أعلام الورى على بعض إصلاحات الإمام المهدي وأحكامه فقال: فإن قيل: إذا حصل الإجماع على أن لا نبي بعد رسول الله ﷺ وأنتم قد زعمتم أن القائم إذا قام لم يقبل الجزية[1] من أهل الكتاب، وأنه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقه في الدين، وأمر بهدم المساجد والمشاهد، وأنه يحكم بحكم داود لا يسأل بينة وأشباه ذلك مما ورد في آثاركم، وهذا يكون نسخاً للشريعة وإبطالاً لأحكامها فقد أثبتم معنى النبوة وإن لم تتلفظوا باسمها فما جوابكم عنها؟

وأجاب الشيخ الطبرسي على هذا التساؤل بقوله: إنا لم نعرف ما تضمنه السؤال من أنه لا يقبل الجزية من أهل الكتاب وأنه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقه في الدين، فإن كان ورد بذلك خبر فهو غير مقطوع به.

---

(١) عن النبي(ص) أنه قال: والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية...

البحار ٥٢: ٣٨٢، ورواه البخاري ٤: ١٤٣ باب نزول عيسى وأضاف في آخره: (تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) ورواه أبو داود في سننه ٤: ١١٨ باختلاف في ألفاظه، ورواه مسلم ج ١: ٩٤ باب نزول عيسى بن مريم.

فأما هدم المساجد والمشاهد فقد يجوز أن يختص بهدم ما بني من ذلك على غير تقوى الله تبارك وتعالى وعلى خلاف ما أمر الله سبحانه به وهذا مشروع قد فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما ما ورد من أنه عليه السلام يحكم بحكم آل داود ولا يسأل عن بينة فهذا أيضاً غير مقطوع به، وإن صح فتأويله أنه بحكم علمه فيما يعلمه وإذا علم الإمام عليه السلام أو الحاكم أمراً من الأمور فعليه أن يحكم بعلمه ولا يسأل عنه وليس في هذا نسخ للشريعة على أن هذا الذي ذكروه من ترك قبول الجزية واستماع البينة إن صح لم يكن نسخاً للشريعة لأن النسخ هو ما تأخر دليله عن الحكم المنسوخ ولم يكن مصطحباً، فأما إذا اصطحب الدليلان فلا يكون ذلك نسخاً لصاحبه وإن كان مخالفه في المعنى.

ولهذا اتفقنا على أن الله سبحانه لو قال: الزموا السبت إلى وقت كذا ثم لا تلزموه لا يكون نسخاً لأن الدليل الرافع مصاحب الدليل الموجب وإذا صحت هذه الجملة وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أعلمنا بأن القائم عليه السلام من ولده يجب اتباعه وقبول أحكامه فنحن إذا صرنا إلى ما يحكم به فينا وإن خالف بعض الأحكام المتقدمة غير عاملين بالنسخ لأن النسخ لا يدخل فيما يصطحب الدليل، انتهى[١].

وتعقيباً على كلام شيخنا الطبرسي نقول: لقد ثبت أن الإمام المهدي عليه السلام أنه سيظهر الإسلام على سائر الأديان كلها ولن يبقى على سطح الأرض غير الموحدين.

---

(١) البحار ٥٢: ٣٨٣.

فإذا انتفى وجود المشركين من اليهود والنصارى وأسلموا على يدي القائم كرهاً أو طوعاً ينتفي الحكم بوجود الجزية تبعاً لذلك. وهذا ليس نسخاً كما يتصور البعض، وإنما هو انتفاء الحكم بانتفاء موضوعه.

وأما مسألة حكم الإمام بحكم داود لا ضير فيه، لأن حكم داود لا يختلف عن حكم الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء من حيث الأصل. ولذا جاء في بعض الروايات أنه يحكم بحكم داود ومحمد عليهما السلام وهذا يعني أن حكمهما حكم واحد لا اختلاف فيه، وإن حصل اختلاف في إجراء بعض الأحكام يعود ذلك إلى اختلاف الظروف الموضوعية المحيطة بها، فإذا جاز لداود عليه السلام الحكم بعلمه جاز لسائر الأنبياء ذلك، بما فيهم خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله.

وبما أن الأئمة عليهم السلام هم ورثة علوم الأنبياء، وأنهم عليهم السلام معصومون عصمة مطلقة لا يجوز عليهم الخطأ والسهو، وأننا مأمورون بطاعتهم، وأن مقامهم يعد امتداداً لمقام النبي صلى الله عليه وآله في قيادة الأمة دينياً وسياسياً. فإن ما جاز له صلى الله عليه وآله من ممارسات وصلاحيات في إدارة حكمه جاز لهم ذلك بالتأكيد.

فإذا علم الإمام بشكل ما أن جزءاً من أرض مسجد أو مشهد مغصوبٌ جاز له هدم ذلك المسجد أو المشهد وإخراج ذلك الجزء منه وأعاد بناءه ثانية. أنا لا أجزم أن المساجد التي سيهدمها فيها أرض مغصوبة، فلعل هناك أسباب أخرى موجبة لهدمها علمها الإمام وخفيت علينا والله أعلم.

وخلاصة الموضوع أن الإمام المهدي عليه السلام هو خاتم الأئمة الأطهار عليهم السلام وليس بنبي ولم ينسخ شيئاً من أحكام الإسلام وتشريعاته ولم يأتِ بشيء جديد، وإنما يأتي بالإسلام الأصيل الذي لم يطرأ عليه أي تغيير وتحريف.

وأشارت بعض الروايات إلى أنه عليه السلام (إذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله في بدء الإسلام إلى أمر جديد)[1]. تعني أن الإمام حال ظهوره عليه السلام تكون الأمة بعيدة عن الإسلام وتشريعاته بعد السماء عن الأرض وموغلة بالجهل والتخلف بحيث لو جاء الإمام عليه السلام ودعا إلى الإسلام والقرآن وأراد تطبيقهما تراه الأمة ديناً جديداً وكتاباً جديداً، تماماً كما كان الإسلام ديناً جديداً بالنسبة للمشركين حين دعاهم له رسول الله صلى الله عليه وآله.

استغلال قضية المهدي(ع) لا يوجب إنكارها

زعم البعض من منكري ظهور الإمام المهدي في آخر الزمان أن هذه القضية استغلّت لأغراض سياسية وأن الداعين لها مختلفون في تعيين من هو المهدي الذي سينقذ البشرية من الظلم والجور، وهذا ما يدعو للشك في صحة الأحاديث المروية فيها. فقال قائلهم:

وقد اتخذ مسألة المهدي كثير من القائمين لإنشاء دول، وسيلة إلى الوصول إلى غاياتهم، فادعوا المهدوية ليتهافت الناس على الالتفاف حولهم، فالدولة الفاطمية قامت على هذه الدعوة، إذ زعم

---

(١) إلزام الناصب ٢: ٢٨١.

مؤسسها عبيد الله أنه المهدي. ودولة الموحدين جرت على هذه الدعوة، فإن مؤسسها محمد بن تومرت أقام أمره على هذه الدعوة.

وظهر في أيام الدولة المرينية بفاس رجل يدعى التوزري، واحتمى حوله رؤساء صنهاجة وقتله المصامدة.

وقام رجل اسمه العباس سنة ٦٩٠ هـ في نواحي الريف من الغرب وزعم أنه المهدي، واتبعه جماعة، وآل أمره إلى أن قتل وانقطعت دعوته.

وبعد ثورة أحمد عرابي بمصر ظهر في السودان رجل يسمى محمد أحمد ادعى أنه المهدي، واتبعته قبيلة البقارة عن جهبنة على أنه المهدي سنة ١٣٠٠ هـ، وهو الذي خلفه بعد موته التعايشي أحد زعماء قبيلة البقارة.

والفرقة الكيسانية يجعلون المهدي محمد بن الحنفية، ويزعمون أنه مختفٍ في رضوى بين المدينة وينبع.

والشيعة الإمامية يقولون: إن محمد بن الحسن العسكري هو المهدي المنتظر، ويزعمون أنه اختفى في سرداب بالحلة من بلاد العراق في أواخر القرن الخامس الهجري.

وأجاب الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين هذا النفر من المنكرين في مجلة التمدن الإسلامي بقوله: وإذا أساء الناس فهم حديث نبوي، أو لم يحسنوا تطبيقه على وجهه الصحيح، حتى وقعت وراء ذلك مفاسد، فلا ينبغي أن يكون ذلك داعياً إلى الشك في صحة

الحديث، أو المبادرة إلى إنكاره. فإن النبوة حقيقة واقعة بلا شبهة، وقد ادعاها أناس كذباً وافتراءً، وأدخلوا بدعواهم كثيراً من الناس، مثل ما يفعل طائفة القاديانية اليوم. والإلهية ثابتة بأوضح من الشمس في كبد السماء، وقد ادعاها قوم لزعمائهم على معنى أن الله ـ جل شأنه ـ يحل فيهم، مثلما يفعل طائفة البهائية في هذا العهد فليس من الصواب إنكار الحق من أجل ما ألصق به من باطل[١].

هل إن القول بصحة خروجه يترتب عليه مضار ومفاسد كبيرة؟

زعم الشيخ عبد الله بن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعية في دولة قطر في رسالته التي أسماها (لا مهدي منتظر بعد رسول خير البشر) أن (القول بصحة خروجه يترتب عليه من المضار والمفاسد الكبار ومن إثارة الفتن وسفك دماء الأبرياء ما يشهد بعظمته التاريخ المدروس والواقع المحسوس من كل ما يبرئ النبي ﷺ عن الإتيان به إذ الدين كامل بدونه).

وقال أيضاً: أما اعتقاد بطلانه وعدم التصديق به فإنه يعطي القلوب الراحة والفرح والأمان والاطمئنان والسلامة من الزعازع والافتتان[٢].

فأجابه فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد في مجلة الجامعة الإسلامية بقوله: والجواب على ذلك من وجوه:

---

(١) مجلة التمدن الإسلامي العدد ٣٥ و٣٦ محرم الحرام سنة ١٣٧٠ هـ، الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢١٣.

(٢) رسالة لا مهدي...: ٥ و٣٧، المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٤٣.

الأول: أن خروج المهدي في آخر الزمان من الأمور الغيبية التي يتوقف التصديق بها على ثبوت النص فيها عن رسول الله ﷺ وقد ثبتت النصوص في خروج المهدي عن رسول الله ﷺ في آخر الزمان وأن عيسى بن مريم عليه السلام يصلي خلفه، والذين قالوا بثبوتها هم العلماء المحققون وجهابذة النقاد من أهل الحديث، والواجب تصديق الرسول ﷺ فيما يخبر به من أخبار سواء كانت أموراً ماضية أو مستقبلية أو موجودة غائبة عنا.

الثاني: إن إنكار خروج المهدي في آخر الزمان ليس هو الذي يمنع من وقوع الفتن، ويحصل به الأمن والاطمئنان بدليل أن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وقال ﷺ: وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ومع ذلك وجد كثيرون ممن ادعى النبوة. وحصل بذلك للمسلمين أضرار كثيرة، وإنما الذي يعصم حقيقة من الفتن والمصائب ويكفل السلامة والأمن والنجاة الاستمساك بشرع الله والاعتصام بحبله كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ

﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ وقال ﷺ: احفظ الله يحفظك إلى غير ذلك من أدلة الكتاب والسنة.

ثالثاً: إن وجود متمهدين من المجانين وأشباه المجانين يخرجون في بعض الأزمان ويحصل بسببهم على المسلمين أضرار كبيرة لا يؤثر في التصديق بمن عناه الرسول ﷺ في الأحاديث الصحيحة وهو المهدي الذي يصلي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه. فما ثبت عن رسول الله ﷺ وجب التصديق به. ويجب القضاء على كل متمهد أو غير متمهد يريد أن يشق عصا المسلمين ويفرق جماعتهم. والواجب قبول الحق ورد الباطل لا أن يرد الحق ويكذب بالنصوص من أجل أنه ادعى مقتضاها مدعون مبطلون دجالون[1].

زعم المنكرين أن فكرة المهدي وسيرته لا تتفق وسيرة الرسول(ص)

وقال الشيخ ابن محمود في ص ٢٥ من رسالته المذكورة: ففكرة المهدي وسيرته وصفته لا تتفق مع سيرة رسول الله ﷺ وسنته بحال فقد أثبت التاريخ الصحيح حياة رسول الله ﷺ من بداية مولده إلى حين وفاته كما أثبتها القرآن، وليس فيها شيء من ذكر المهدي كما لا يوجد في القرآن شيء من ذلك فكيف يسوغ لمسلم أن يصدق به والقرائن والشواهد تكذب به؟

والجواب: أن هذا الكلام من النوع الذي لا ينتهي عجب

(١) مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٥، الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

الواقف عليه لا سيما قوله فيه فقد أثبت التاريخ الصحيح حياة رسول الله ﷺ من بداية مولده إلى حين وفاته كما أثبتها القرآن، وليس فيها شيء من ذكر المهدي، كما لا يوجد في القرآن شيء من ذلك، فإن كان الكاتب يقصد الحياة العملية فلا وجه للبحث عن خروج المهدي في آخر الزمان ضمن السيرة النبوية العملية.

وإن كان يقصد بحياته ﷺ ما صدر عنه ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات فلا وجه لقوله: «ليس فيها شيء عن ذكر المهدي» ومعلوم أن حد الحديث النبوي الشريف عند أهل الحديث ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو أخلاقي. وكتب الحديث الشريف مليئة بالنصوص الواردة في المهدي وفيها كما قال أهل العلم بالحديث الصحيح والحسن والضعيف والموضوع..

وعلى هذا فقوله: «فكرة المهدي وسيرته وصفته لا تتفق مع سيرة رسول الله ﷺ وسنته بحال» من قبيل الكلام البارد الذي لم يفكر في معناه عند تسطيره وإلا فإن خروج المهدي في آخر الزمان لم يعرفه أهل السنة والجماعة المتبعون للنصوص الشرعية إلا بثبوته في السنة النبوية، ولا يقل عن قوله ذلك قوله: «فكيف يسوغ لمسلم أن يصدق به والقرائن والشواهد تكذب به» فإن المسلم الناصح لنفسه لا يصدق ويكذب تبعاً للهوى، وإنما يكون تصديقه أو تكذيبه متمشياً مع النصوص الشرعية فيجعل النقل حكماً على العقل لا أن يجعل العقول محكمة في النقول فيقع في فضول القول ورديء الكلام[1].

(١) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ٢: ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

زعم المنكرين أن عدم الاعتقاد بخروجه لا يوجب نقصاً بالمعتقد

وقال الشيخ ابن محمود في ص ١٧ من رسالته: ولقد عاش الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون ثم عاش من بعدهم العلماء والسلف الصالحون ممن كانوا في القرون الثلاثة المفضلة، ثم عاش من بعدهم جميع العلماء والحكام ومنهم عماد الدين زنكي ونور الدين محمود الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي وجميع الناس بعدهم وفي مقدمتهم شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم فلم ينقص إيمانهم وتقواهم عدم وجود المهدي من بينهم لعلمهم واعتقادهم أن الدين كامل وبدونه فلا حاجة لهم به خرج أو لم يخرج.

والجواب أن يقال:

أولاً: هذا الكلام من النوع الذي يصلح أن يوصف بأنه ليس له معنى مستقيم.

وثانياً: إن الزمن الذي يخرج فيه المهدي، أوضحته النصوص الصحيحة وهو آخر الزمان حيث يخرج الدجال في زمنه، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام ويصلي خلفه.

وثالثاً: إن عدم وجوده بين الناس في أزمنة قتل زمانه لا ينقص الإيمان والتقوى، وإنما الذي ينقص الإيمان والتقوى عدم تصديق الرسول ﷺ فيما يخبر به والقدح بالنصوص الشرعية استناداً إلى الشبهة العقلية كما هو مسلك بعض الكتاب في القرن الرابع عشر[1].

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٨٠.

وقال الشيخ ابن محمود في مواضع متعددة من رسالته أن القول بخروجه على فرض صحته ليس من عقائد المسلمين، فقال في ص ٥٦ من رسالته: وإنه على فرض صحة هذه الأحاديث أو بعضها أو تواترها بالمعنى حسب ما يدعون فإنها لا تعلق بها بالعقيدة الدينية ولم يدخلها علماء السنة في عقائدهم ثم مثل شيخ الإسلام ابن تيمية والطحاوي وشارح عقيدته، وابن قدامة والأشعري في الإبانة ثم قال: فعدم إدخالها في عقائدهم مما يدل على أنهم لم يعتبروها من عقائد الإسلام والمسلمين.

وأجابه فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد في مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٦ بقوله:

والجواب على ذلك بوجوه:

الأول: أن مذهب أهل السنة والجماعة التصديق بكل ما صحّ عن رسول الله ﷺ من أخبار سواء كانت عن أمور ماضية أو مستقبلية أو موجودة غائبة عنا ومن ذلك التصديق بخروج المهدي كما صحت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ والتصديق بما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ مما تقتضيه شهادة المسلم بأن محمداً رسول الله ﷺ وقد قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في بيان معنى شهادة أن محمداً رسول طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرح، وقال أبو محمد بن قدامة المقدسي في كتابه لمعة الاعتقاد، ويجب الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ وصح به النقل عنه فيما

شاهدناه أو غاب عنا نعلم أنه حق وصدق وسواء في ذلك ما عقلنا وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه مثل حديث الإسراء والمعراج ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك مما صح به النقل.

فكلام ابن قدامة هذا يدخل فيه التصديق بخروج المهدي في أوله وآخره. فأوله قوله: ويجب الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ وصح به النقل عنه. وآخره قوله بعد أن ذكر أمثلة من أشراط الساعة وأشباه ذلك مما صح به النقل.

الثاني: أن من العلماء الذين كتبوا في عقائد أهل السنة والجماعة من نص على خروج المهدي في آخر الزمان ومنهم الحسن بن علي البرباري والسفاريني وسبقت الإشارة إلى ذلك في رقم ١٤ ثم إن عدم ذكر بعض الأئمة لخروج المهدي في آخر الزمان في كتبهم لا يدل على عدم اعتبارهم ذلك من عقائد المسلمين لأنهم لم يلتزموا التنصيص على كل شيء يعتقد ولأن منهم من يأتي بعموم يدخل فيه وجوب التصديق بكل ما أخبره به الرسول ﷺ وصح به النقل عنه كما فعل ابن قدامة المقدسي.

الثالث: قول ابن محمود وأنه على فرض صحة هذه الأحاديث أو بعضها تواترها بالمعنى حسبما يدعون فإنها لا علاقة لها بالعقيدة ويجاب عنه بأنه كلام غير مستقيم وإلاّ فكيف يقال بصحة النقل ثم لا يصدق به لا يعتقد بمقتضاه، وسبق في رقم ١٦ ما نقله السيوطي عن

الشافعي رحمه الله أنه روى يوماً حديثاً وقال: إنه صحيح فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟ فاضطرب وقال: يا هذا أرأيتني نصرانياً؟ أرأيتني خارجاً من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زناراً؟ أروي حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أقول به؟ وسبق أيضاً في رقم ٦ ما رواه البيهقي بإسناده إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال لنا الشافعي: أنتم أعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحاً لأعلموني إن شاء يكون كوفياً أو بصرياً أو شامياً حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً.

والحاصل أن صحة الحديث في خبر يقتضي التصديق به، وأن كلام ابن محمود هذا متناقض وغير مستقيم المعنى[1].

زعم البعض أن انتظار المهدي(ع) تحجر فكري للأوهام والخرافات

زعم الشيخ ابن محمود في رسالته ص ٨٥: فلا حاجة للمسلمين في أن يهربوا من واقعهم ويتركوا واجبهم لانتظار مهدي يجدد لهم دينهم ويبسط العدل بينهم فيركنوا إلى الخيال والمحالات ويستسلموا للأوهام والخرافات، ثم يفرض عليهم علماؤهم التحجر الفكري والجحود الاجتماعي على اعتقاد ما تربوا عليه في صغرهم وما تلقوه عن آبائهم ومشايخهم، أو على رأي عالم أو فقيه يوجب الوقوف على رأي مذهبه وعدم الخروج عنه، وعلى أثره يوجب عليهم الإيمان بشخص غائب هو من سائر البشر يأتي في آخر الزمان فينقذ الناس من الظلم والطغيان.

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٨١.

وأجابه الشيخ العباد قائلاً: أن الله قد تكفل ببقاء هذا الدين وإن الموفقين لسعادة الدنيا والآخرة في مختلف العصور من جعلهم الله من أنصار دينه وفي صحيح البخاري من حديث معاوية (رض) سمعت رسول الله ﷺ: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله، فلا يخلو عصر من العصور من إقامة شرع الله، والمهدي الذي أخبر به الرسول ﷺ ما هو إلا حلقة في أواخر سلسلة طويلة ينصر الله به في زمنه دينه ذلك الزمن الذي يستشري فيه الشر ويخرج الدجال الأعظم. وليس للمسلمين في أي زمن أن يتركوا ما أوجبه الله عليهم من نصرة الدين واتكالاً على ما جاء في أحاديث المهدي، أما وصف الشيخ ابن محمود: (التصديق بخروج المهدي بأنه مركون إلى الخيال والمحالات واستسلام للأوهام والخرافات) فسبق أن ذكرت أن هذه المسألة من الأمور الغيبية وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ في أحاديث صحيحة عن خروجه في آخر الزمان والواجب التصديق بكل خبر يثبت عن الرسول (صلى الله عليه [وآله] وسلم).

وأما ما تضمنه بقية كلامه من العتب على العلماء في بيانه ما تضمنته النصوص عن التصديق بشخص يأتي في آخر الزمان فإن واجب العلماء أن يكون كلامهم وبيانهم مبنياً على الأدلة الشرعية الثابتة لا على شبهة عقلية واهية، وهذا هو ما قام به علماء هذه الأمة سواء في الأخبار أو الأحكام[١].

---

(١) الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ٢: ٤٨٩.

علماء السنّة لم ينكروا وجوب خروج المهدي(ع)

اعترف الشيخ ابن محمود بأن علماء السنّة لم ينكروا وجوب خروج المهدي فقال: والذي جعل أمر المهدي يستفحل بين أهل السنة من المسلمين وكان بعيداً عن عقيدتهم هو عجز العلماء المتقدمين وكذا العلماء الموجودين على قيد الحياة فلم نسمع بأحد منهم رفع قلمه ولا نطق ببنت شفة في التحذير من هذا الاعتقاد السيء وكونه لا صحة له اللهم قد بلّغت بل ينكرون على من يقولون بإنكاره فيزيدون الحديث علّة والطين بلّة.

والجواب على هذا أن نقول: هكذا ينحى ابن محمود بالأئمة على علماء الأمة متقدميهم، والموجودين على قيد الحياة منهم لعدم قيام أحد منهم بإنكار خروج المهدي وذلك دليل واضح من كلام ابن محمود على شذوذه في هذا الأمر وانه وحده في وادٍ وعلماء الأمة الإسلامية سابقهم ولاحقهم في وادٍ آخر.

هذا وليس له رفيق في الطريق الموحش الذي سلكه إلا أمثال محمد فريد وجدي وأحمد أمين ممن حكموا العقل في النقل وردوا النصوص الصحيحة لشبه عقلية واهية. وقد صان الله العلماء المحققين المعتد بهم من الإصابة بأمراض الشبهات العقلية ووفّقهم لتعظيم السنّة النبوية والتصديق بأخبارها الثابتة عن الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله.

ولذلك لم يحصل ابن محمود على واحد منهم يرفع قلمه أو

ينطق ببنت شفة في إنكار خروج المهدي سواء في ذلك سابقهم ولاحقهم. وكيف يطمع ابن محمود أن يجد عالماً ناصحاً لنفسه يتجرأ على رد النصوص الصحيحة ودعوة الناس إلى التكذيب بالسنّة الثابتة عن رسول الله ﷺ ثم بماذا بلّغ ابن محمود في قوله اللهم قد بلّغت؟

إن من الواضح للمتعلم فضلاً عن العالم أنه بلّغ عن عدم معرفته بالحديث النبوي الشريف وعدم تميّز صحيحه من سقيمه وبلّغ عن تمكّن شبه بعض كتاب القرن الرابع عشر العقلية من فكرة بحيث قدمها على النقل وبلغ من شذوذه وسلوكه مسلكاً مخالفاً لمسلك أهل السنّة والجماعة وسواء كان صدور ذلك منه عن جهل أو علم هو بليّة ومصيبة.

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وجوب الإيمان بالمهدي وغيبته وموالاته

دلت النصوص المتواترة والأحكام المستنبطة منها على وجوب الإيمان بالمهدي وغيبته وموالاته، وحثت الناس على الالتحاق به وبأنصاره والممهدين لدولته المباركة ولو حبواً على الثلج.

وقبل أن نشرع بالبحث نذكر النصوص التي أشارت لذلك:

١ ـ وفي صحيح البخاري من حديث معاوية (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين

وإنما أنا قاسم والله يعطي ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله. فلا يخلو عصر من العصور من إقامة شرع الله، والمهدي الذي أخبر به الرسول صلى الله عليه وآله ما هو إلا حلقة في أواخر سلسلة طويلة ينصر الله به في زمنه دينه...»[(١)].

٢ ـ وقال الشيخ عبد المحسن العباد في مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٥: وقد صحت الأحاديث بخروج المهدي عليه السلام في آخر الزمان والعقل السليم لا يختلف مع النقل الصحيح بل يتفق معه إذ إن العقل تابع للنقل وهو معه كالعامي المقلد مع العالم المجتهد كما قال ذلك بعض العلماء، وخروج المهدي في آخر الزمان متفق مع سنة الله في خلقه فإن سنة الله تعالى: أن الحق في صراع دائماً مع الباطل والله تعالى يهيئ لهذا الدين في كل زمان من يقوم بنصرته، ولا تخلو الأرض في أي وقت من قائم لله بحجّته، والمهدي فرد من أمة محمد صلى الله عليه وآله ينصر الله به دينه في الزمن الذي يخرج فيه الدجال وينزل فيه عيسى عليه السلام...»[(٢)].

٣ ـ فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة وكذا عند أهل الشيعة...»[(٣)].

٤ ـ ... وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الآثار، وشاع

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٨٦.
(٢) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٦٠.
(٣) الإمام المهدي عند أهل السنة ٢: ٢١.

ذكره وانتشر خبره بين الكافة من أهل الإسلام على مر الدهور والأعصار فالإيمان بخروجه واجب واعتقاد ظهوره تصديقاً لخبر الرسول صلى الله عليه وآله محتم لا ريب كما هو مدون في عقائد أهل السنة والجماعة من سائر المذاهب، ومقرر في دفاتر الأمة على اختلاف طبقاتها..[1].

٥ ـ وفي كنز العمال في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ... حتى يدفعها إلى رجل من أهل بيتي، مواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي فيملك الأرض فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملؤوها جوراً وظلماً، فمن أدرك ذلك منكم أو من أعقابكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج، فإنها رايات هدى ـ يعني رايات أنصار المهدي ـ[2].

٦ ـ وفي كتاب الفتن للمروزي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قِبَل خراسان فائتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي[3].

وبعد تدوين هذه النصوص نبدأ باستخلاص الواجبات التي توجبها علينا والمهام التي تلزمنا بها إزاء إمامنا ومنقذنا من الظلم والضلال.

أولاً: أوجب النصين الأول والثاني علينا الإيمان بالإمام المهدي عليه السلام باعتبار هذا الإيمان ملازماً لحتمية ظهوره إذ بدونه لا

---

(١) إبراز الوهم المكنون...: ٤٣٣ طبعة قديمة، انظر الهدي عند أهل السنة ٢: ٢٢٩.
(٢) كنز العمال ١٤: باب خروج المهدي(ع)، انظر المهدي عند أهل السنة ١: ٤٤٩.
(٣) الفتن: ٢١٣، أخرجه أحمد والحاكم وأبو نعيم وأبو عمرو الداني ٥:٥٤٨.

يمكن أن نتصور لظهوره من وجود حيث لا يعقل وجود اللازم بدون ملزومه. فالإيمان بحتمية الظهور توجب علينا الإيمان بالمهدي عليه السلام نفسه.

ثم أشار النصان إلى أنه لا بد أن يكون لله في كل زمان وعصر حجة أو قائم يقوم بدينه ويصونه من الانحراف والاضمحلال، ولا بد أن يكون القائم بدين الله معصوماً عصمة مطلقة حتى يتمكن من إنجاز أهدافه الرسالية على أحسن وجه.

وبما أنه ليس في الوقت الحاضر إمام معصوم ظاهر غيره، فلا بد أن يكون المراد بالقائم هو الحجة ابن الحسن العسكري عليه السلام وإن كانت الظروف لا تسمح بظهوره وقيادته للأمة بصورة مباشرة.

ثانياً: لا ريب أن الشيعة يؤمنون إيماناً قطعياً بوجود الإمام المهدي عليه السلام وبغيبته منذ ألف ومائتي سنة تقريباً وأنه الإمام الثاني عشر، وإن طول عمره الشريف وغيبته كانتا على نحو الإعجاز وبعناية من قبل الله تعالى وأنه سيظهر عندما يتفشى الظلم والضلال ويطهّر الأرض من الكفر والشرك والنفاق، ويظهر الإسلام على الأديان كلها وليس في عقيدتهم هذه من ابتداع وخرافة كما يزعم أعداؤهم[١] وإنما

---

(١) إن عقيدة الشيعة في وجود الإمام المهدي(ع) حياً مستمدة من آيات قرآنية كآية ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فهاتان الآيتان أثبتتا وجوده(ع) إذ لم لم يكن موجوداً لما أمر الله تعالى المؤمنين ليكونوا معه ولأصبح كلامه جل اسمه (في كل زمان هاد) لا مصداق له.

ومن الأحاديث التي نصت على وجوده الشريف حديث الأئمة الاثني عشر الذي ذكر فيه الرسول(ص) اسم الإمام المهدي باعتباره الإمام الثاني عشر، وحديث الثقلين الذي ينص على عدم افتراق العترة عن القران حتى الورود على الحوض. فهذان الحديثان يدلان بشكل صريح على وجوده حياً إلى يوم ظهوره فتأمل.

هي مستنبطة من آيات قرآنية وأحاديث متواترة وافقهم علماء المسلمين في بعضها وخالفوهم في البعض الآخر.

وعلى فرض عدم وجوده في الوقت الحاضر وأنه سيوجد على صعيد المستقبل كما يدعي إخواننا أهل السنة استناداً إلى رواية (يصلحه الله تعالى في يوم وليلة) فلا بد أن تكون له غيبة بموجب هذا الاحتمال أيضاً سواء كانت طويلة أو قصيرة، لأن الإمام لا يعقل أن يولد رجلاً حتى إذا أوجده الله في يوم وليلة وإنما سيولد طفلاً[1] ثم يمكث فترة من السنين حتى ينمو ويتدرج بالعمر ليصبح رجلاً كاملاً مؤهلاً للقيام بأعباء نهضته.

فخلال هذه الفترة لا بد له أن يغيب عن أنظار الناس لئلا يشعر بوجوده أعداؤه فيفتكوا به وبأصحابه ويقضوا عليه قبل أن يستفحل أمره فيعصف بهم وبعروشهم الخاوية ويقذفهم في مزابل التاريخ..

وبناءً على ما تقدم تكون الغيبة واجباً احترازياً لا بد منه لأن حياة الإمام وبقاءه حياً إلى يوم نهضته متوقف عليها.

ثالثاً: إذا ثبت بما تقدم وجوب الإيمان بالإمام المهدي عليه السلام وغيبته وحتمية ظهوره فلا بد أن نؤمن بوجوب نصرته وموالاته. إذ كيف نؤمن بعدالة قضيته وأنه سيمحق الكفر والشرك والظلم والضلال ويميت البدع ويحيي السنن ولا نبادر إلى نصرته والدفاع عن مبادئه الحقة وإسلامه الأصيل الذي لا تشوبه شائبة؟

---

(١) إن القول بولادته رجلاً أمر غير معقول وهو أكثر إعجاباً من قول الشيعة بوجوده حياً، لأن الأول لا نظير له في القرآن والتاريخ ولا يقره العلم والثاني ذكرنا أدلته من القرآن والسنة وله في التاريخ كثير من الشواهد.

ولهذه الأسباب السالفة الذكر حثنا رسول الله صلى الله عليه وآله بإصرار على المبادرة فوراً إلى نصرته حال سماعنا بظهوره عليه السلام ولو حبواً على الثلج كما أشارت النصوص المارة الذكر لذلك بوضوح..

فلو لم يكن الأمر واجباً لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالالتحاق به رغم ما يعترض سبيل وصولنا إليه من المصاعب والشدائد..

فضل انتظار الفرج

لما أثبت الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام وجوده الشريف وطول غيبته وحتمية ظهوره دعوا المؤمنين لانتظار فرجه وصرحوا في جملة من الأحاديث على أهمية انتظاره وأنه أفضل من سائر العبادات والطاعات المندوبة.

ـ عن أبي الحسن، عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: افضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ[1].

ـ عن العلاء بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن في فسطاط القائم عليه السلام[2].

ـ عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله[3].

---

(١) كمال الدين ٢: ٦٤٤.

(٢) كمال الدين ٢: ٦٤٤.

(٣) كمال الدين ٢: ٦٤٥.

ـ وعن الفيض بن المختار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال: من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم في فسطاطه.

قال: ثم مكث هنيئة ثم قال: لا بل كمن قارع معه بسيفه، ثم قال: لا والله إلا كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله[(١)].

انتظار الفرج لا يعني الاستسلام للواقع الفاسد

ربما يتصور البعض أن انتظار فرجه عليه السلام يستوجب التراخي والانزواء والسكوت عن المنكرات، والإقرار بالظلم والضلال، وعدم مقارعة الطاغوت والتخلي عن جميع المسؤوليات الرسالية والإنسانية الملقاة على كاهل الفرد المكلّف، وبناءً على هذا التصور يبدأ هؤلاء بشن هجوم عنيف على المنتظرين للإمام المهدي عليه السلام واصفين إياهم بالمتقاعدين والمتخاذلين.

لا ليس انتظار الفرج يقود الإنسان إلى التخاذل والتنصل من المسؤوليات والتغاضي عن المنكرات، وإنما الذي يسوق الإنسان بهذا الاتجاه هو حب الدنيا ومغرياتها. وإن المنتظر الحقيقي هو الذي يصلح نفسه ويعدها إعداداً رسالياً، ويمهد الأرضية الصالحة لظهور سيده ومولاه ويتحمل من المصاعب ما لا تطيقها الجبال الراسية من جراء جهاده لأعداء الدين ومقارعته للطاغوت وما يفرزه من المنكرات والآثار السلبية التي تشيع الفساد والانحطاط الأخلاقي. وهذا هو المجاهد الحقيقي الصابر المحتسب..

---

(١) البحار ٥٢: ١٢٦، عن المحاسن.

إن الانتظار الذي يكون أفضل من سائر العبادات المندوبة كما قال الرسول صلى الله عليه وآله، ويترتب عليه الأجر والثواب الجزيل هو الانتظار المقترن بالطاعة والعمل الصالح وأداء الوظائف الشرعية والإنسانية، وتحمل المشاق والصعوبات بسببه، والاستعداد الكامل للبذل والتضحية في سبيل إعلاء كلمة الله ودحض كلمة الباطل..

فالانتظار المثمر الذي يفرز عطاءً وعملاً صالحاً هو الانتظار الإيجابي الموجب لهطول رحمة الله وجزيل ثوابه، لأن إنجاز العبادة والطاعة والاهتمام بشؤون المسلمين، ورعاية فقيرهم، ومساعدة ضعيفهم والسعي إلى توحيد صفوفهم في ظروف صعبة مدلهمة بالمكاره، وتحت ظل دولة الباطل تعرض العاملين لأخطار جسيمة، وتضحيات عظيمة توجب مضاعفة الأجر والثواب لهم ولشمولهم بعطف الله ورحمته لأن الأجر على قدر المشقة.

المنتظرون لفرجه أفضل من أصحابه المقاتلين معه

ذكرت النصوص أن المنتظرين لفرج الإمام المهدي عليه السلام أفضل بكثير من أصحابه وقواد جيشه المقربين له، لأن المنتظرين يمسون ويصبحون خائفين على إمامهم وأنفسهم من أئمة الجور، وإنهم يمارسون الفرائض بتقية تامة وسريّة، ويخفون الكثير من عقائدهم خشية أن يطلع عليها النواصب الحاقدون فيكيدوا لهم كيداً.

فالمؤمنون الذين يعيشون تحت ظل أئمة الجور والنفاق وفي أجواء الحقد والاضطهاد أفضل من أولئك المجاهدين بين يدي الإمام المهدي عليه السلام لأنهم مضطهدون معذبون محتقرون خائفون على

إمامهم وأنفسهم، بينما يعيش أصحاب الإمام باحترام وتقدير فائق، ويحظون بلطفه ورعايته، وتنظر الناس إليهم نظرة إكبار وإجلال، ولا تقرع أسماعهم فتاوى فقهاء السوء القائلة بأن قتل واحد ممن يعتقد بوجود الإمام حياً أفضل من قتل مائة كافر(١).

وفيما يلي نذكر روايتين تشيران إلى أن المنتظرين أفضل من أصحابه عليه السلام:

ـ ففي الاختصاص للشيخ المفيد، عن أمية بن علي، عن رجل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّنا أفضل نحن أو أصحاب القائم عليه السلام؟

قال: فقال لي: أنتم أفضل من أصحاب القائم وذلك أنكم تمسون وتصبحون خائفين على إمامكم وعلى أنفسكم من أئمة الجور، إن صلّيتم فصلاتكم في تقية، وإن صمتم فصيامكم في تقية، وإن حججتم فحجكم في تقية وإن شهدتم لم تقبل شهادتكم وعد أشياء من نحو هذا مثل هذه، فقلت: فما نتمنّى القائم عليه السلام إذا كان على هذا، قال: فقال لي: سبحان الله أما تحبّ أن يظهر العدل ويأمن السبل وينصف المظلوم(٢).

ـ وعن الاحتجاج في البحار، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده.

---

(١) الفتاوي الحديثية للهيثمي: ٣٧ الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ، انظر الإمام المهدي(ع) عند أهل السنة ١: ٤٣٢.

(٢) الاختصاص: ٢٠، البحار ١٣: ١٤٠ باب فضل انتظار الفرج طبع قديم.

يا أبا خالد إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته، المنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان، لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف. أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً، وقال عليه السلام: انتظار الفرج من أعظم الفرج(١).

عبادة المنتظر مع الإمام المستتر أفضل من العبادة مع الظاهر

ـ عن عمار الساباطي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: العبادة مع الإمام منكم المستتر في دولة الباطل أفضل، أم العبادة في ظهور الحق ودولته مع الإمام الظاهر منكم؟

فقال: يا عمار الصدقة والله في السر في دولة الباطل أفضل من الصدقة في العلانية وكذلك عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر في دولة الباطل أفضل لخوفكم من عدوّكم في دولة الباطل وحال الهدنة ممّن يعبد الله عزّ وجلّ في ظهور الحق مع الإمام الظاهر في دولة الحق، وليس العبادة مع الخوف وفي دولة الباطل مثل العبادة مع الأمن وفي دولة الحق، اعلموا أن من صلى منك صلاة فريضة وحداناً مستتراً بها من عدوه في وقتها فأتمها كتب الله عزّ وجلّ له بها خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانية، ومن صلى منكم صلاة نافلة في وقتها فأتمها كتب الله عزّ وجلّ له بها عشر صلوات نوافل، ومن عمل منكم

---

(١) البحار ٥٢: ١٤٠ عن غيبة النعماني.

حسنة كتب الله له بها عشرين حسنة، ويضاعف الله حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله، ودان الله عزّ وجلّ بالتقية على دينه وعلى إمامه وعلى نفسه، وأمسك من لسانه أضعافاً مضاعفة كثيرة، إن الله عزّ وجلّ كريم.

قال عمّار: فقلت: جعلت فداك قد رغبتني في العمل وحشتني عليه ولكني أحب أن أعلم كيف صرنا اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام منكم الظاهر في دولة الحق ونحن وهم على دين واحد وهو دين الله عزّ وجلّ؟

فقال: إنكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عزّ وجلّ وإلى الصلاة والصوم والحج وإلى كل فقه وخير وإلى عبادة الله سراً مع عدوكم مع الإمام المستتر مطيعين له، صابرين معه، منتظرين لدولة الحق، خائفين على إمامكم وأنفسكم من الملوك، تنظرون إلى حق إمامكم وحقكم في أيدي الظلمة قد منعوكم ذلك واضطّروكم إلى حرث الدنيا وطلب المعاش مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف من عدوكم، فبذلك ضاعف الله أعمالكم، فهنيئاً لكم هنيئاً.

قال: فقلت له: جعلت فداك فما نتمنى إذاً أن نكون من أصحاب الإمام القائم في ظهور الحق ونحن اليوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمالاً من أعمال أصحاب دولة الحق؟

فقال: سبحان الله أما تحبون أن يظهر الله عزّ وجلّ الحق والعدل في البلاد، ويحسن حال عامة العباد، ويجمع الله الكلمة ويؤلف بين

قلوب مختلفة ولا يعصي الله عزّ وجلّ في أرضه، وتقام حدود الله في خلقه، ويرد الله الحق إلى أهله فيطهّرون حتى لا يستخفى بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق، أما والله يا عمار لا يموت منكم ميت على الحال التي أنتم عليها إلا كان أفضل عند الله عزّ وجلّ من كثير ممن شهد بدراً وأحداً فأبشروا[١].

نختم كتابنا هذا بالدعاء التالي: اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين..

تم الكتاب بعون الله وتوفيقاته

في أربع ربيع الأول عام ١٤٢٥ للهجرة

---

(١) كمال الدين ٢: ٦٤٦.

الشيخ كاظم الصباح

دولة الإمام المهدي و عصر الظهور

دار الكاتب العربي

